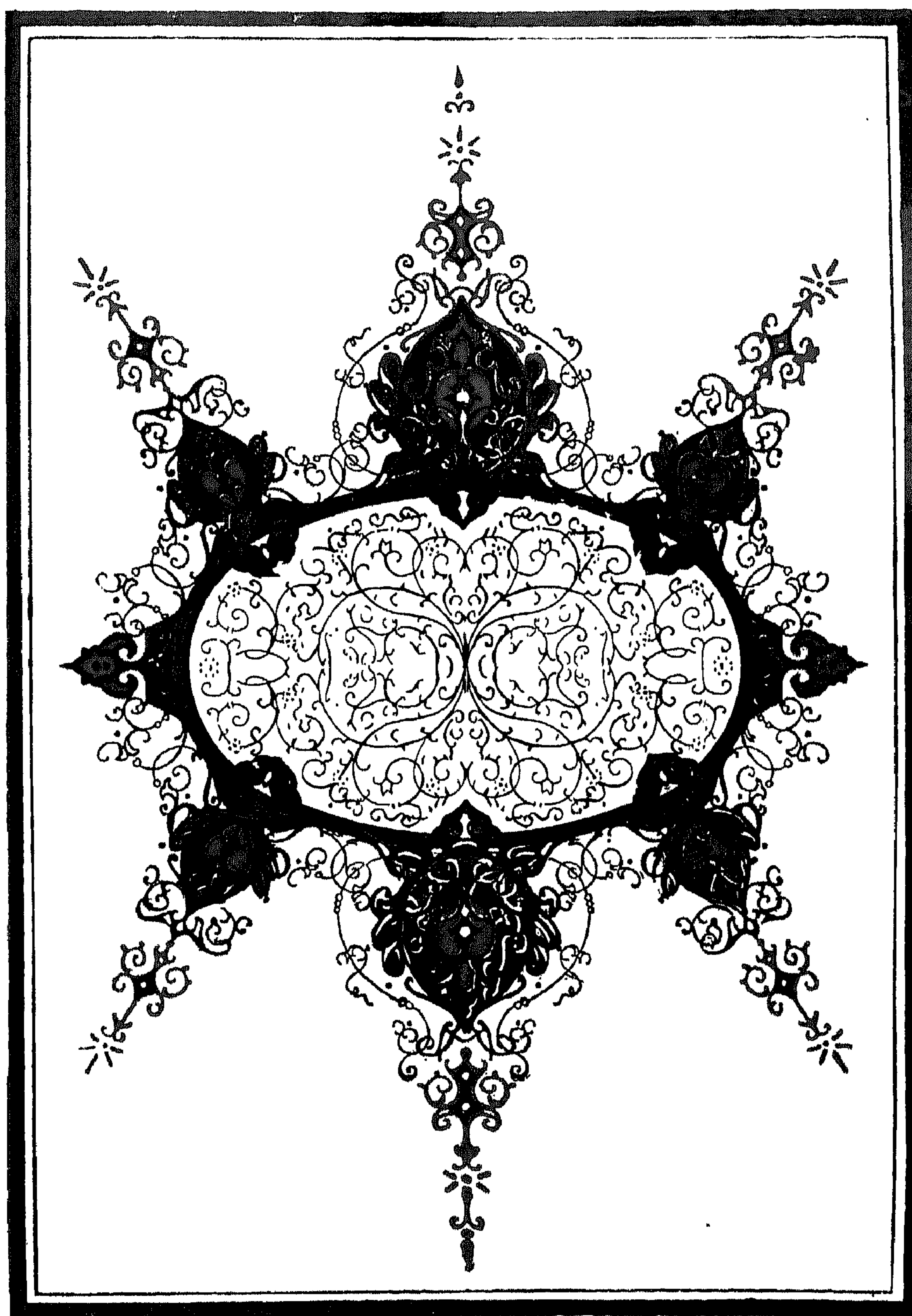


مجلة مجمع اللغة العربية



الجزء الثاني والرابعون
ذو الحجة ١٣٩٨ هـ
نوفمبر ١٩٧٨ م



مجتمع اللغة العربية بالقاهرة
شارع الدكتور طه حسين
(مراد سابقاً) بالجيزة

مجلة مجمع اللغة العربية

(تصدر مرتين في السنة)

الجزء الثاني والأربعون

ذو الحجة ١٣٩٨ هـ - نوفمبر ١٩٧٨ م

المشرف على المجلة:

الدكتور مهدي علام

رئيس التحرير

إبراهيم الترتري

الفهرس

تصدير:

● من مكتبتى

للدكتور مهدي علام

ص ٥

بحوث ومقالات:

● مجمع القاهرة والمصطلح العلمى (١)

للدكتور ابراهيم مدكور

ص ١٠

● البلاغة عند ابن رشد

للدكتور شوقى صيف

ص ١٤

● وقفات الشعراء بالاطلال

للدكتور أحمد الحوفى

ص ٢٩

● من التراث المجمعى

مثال « أخذ » من معجم فيشر

للأستاذ محمد شوقى أمين

ص ٣٤

● طرف من الأدب واللغة

للدكتور أحمد عمار

ص ٦٢

● كوكب الزهرة : كوكب النار

بين كشف علماء الحقيقة ..

وكشف علماء الفضاء

للأستاذ المهندس صلاح عامر

ص ٦٨

● قادة الفتح الاسلامى

عبد الله بن عبد الملك بن مروان

للواء الركن محمود شيت خطاب

ص ٧٥

● المعادن عند العرب

للدكتور على على السكرى

ص ٩٧

● القلب المكانى فى اللغة العربية

للدكتور حسين محمد شرف

ص ١٠٤



تعريف ونقد :

● أدب القاضى

تأليف أبو الحسن البصرى الماوردى
تحقيق الأستاذ محيى هلال السرجانى
تعريف ونقد : الأستاذ محمد
عبد الفنى حسن

ص ٢١٩

من أبناء المجمع :

ص ٢٢٧

● المركب الاسمى

للدكتور محمود عبد السلام
شرف الدين

ص ١٢٥

● فى الاعراب ومشكلاته (١)

للدكتور أحمد علم الدين الجندى

ص ١٥٤

من التراث اللغوى :

● القزاز القيروانى

وكتابه فى ضرورة الشعر (٢)
للدكتور رمضان عبد التواب

ص ٢٠٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تصدير

من مكتبتى

الدكتور مهدي علام ، الأمين العام للمجمع ، والمشرف على المجلة

قروشا قليلة (في كثير من الأحيان) كما نذكر بعض ما جاء في تلك الكتب من مسائل علمية كان لها أهمية عظيمة في مرحلة من مراحل حياتنا .

وأستأذن القراء في الإشارة إلى عمل شائع - أو حادث - بين كثير ممن يلحقهم الإرهاق أحيانا ، ويريدون أن يلتمسوا الراحة في قراءة حرة لم يخطط لها ، ولم تعتمد إلى هدف فكري خاص ، فينفضون إلى رفوف كتبهم يتوسسونها حتى تقع عينهم على أحدها ، فيستلمونه ويقبلون صفحاته ، وقد يقفون عند بعضها وقفة طويلة ، فإذا هذه القراءة تجلب الراحة للنفس ، وتزيل الإجهاد بما تعيد إلى الذهن من ذكريات تتصل بالمادة المقرؤة في الكتاب الذي قدمته المصادفة .

وكثيراً ما ألقى مثل هؤلاء الأصدقاء فأجد في لقاءهم متعة عقلية عظيمة .

وقد وجدت في أحد هذه الكتب طرفة تاريخية رأيت أن أشرك قراء المجلة فيها .

المكتبة الشخصية رفيق عزيز لصاحبها ، وترداد الصداقة بينهما على مر الأعوام ، بل على مر الأيام فكلما أضاف إليها كتاباً كان ذلك بمثابة التنمية الروحية للعلاقة بين المكتبة وصاحبها .

بل إنه إذا لم يضيف إليها جديداً من الكتب ، على مدى فترة قصرت أو طالت ، فإن الشعور بالإعزاز لها لا يقل ، فهي للعالم الذي يفتننا أعز من كثر المال لمخترته .

ولا أريد - ولا أستطيع - أن أدعي أن شعوري نحو مكتبتى يمتاز عن شعور زملائي ونظرائي نحو مكتباتهم . فمن قديم وصف الكتاب بأنه « خير صديق في الزمان » وصداقة الكتاب دائماً مهما غطى الزمان على بدنها أو على بعض مراحلها . ونحن حين يتاح لنا من الزمن ما يجعلنا نقالب بين كتب طال العهد بقراءتها ، أو بمجرد رؤيتها ، نشعر بأننا نلقى أصدقاء قدامى ، وكأنما تناجينا ، وتناجينا ، فتعود بنا الذاكرة إلى يوم شرائها ، وإلى مبلغ السرور الذي شعرنا به حين دفعنا لها ثمنها ،

ومنذ بضع سنوات انتحل صحفي نابه
قدير حرفة الشحاذة .

وقد عرض في الصحف وفي التليفزيون
النتائج الباهرة التي كانت من نصيبه .
وكان مما عرفناه من تجربته أن هناك مناطق
نفوذ لعدد من المحترفين لا يستطيع أن
يعتدى عليها غيرهم . وأن هناك مناطق
تؤجر أو تباع لاستغلالها ، على نحو ما هو
متبع بين النشالين المتخصصين في « استغلال »
خطوط خاصة من طرق المواصلات العامة .

ولكن هذا يجرنا إلى موضوع خطير له
تاريخ قديم في الإنتاج الأدبي وفي البحث
الاجتماعي ، وهو موضوع الكدية .

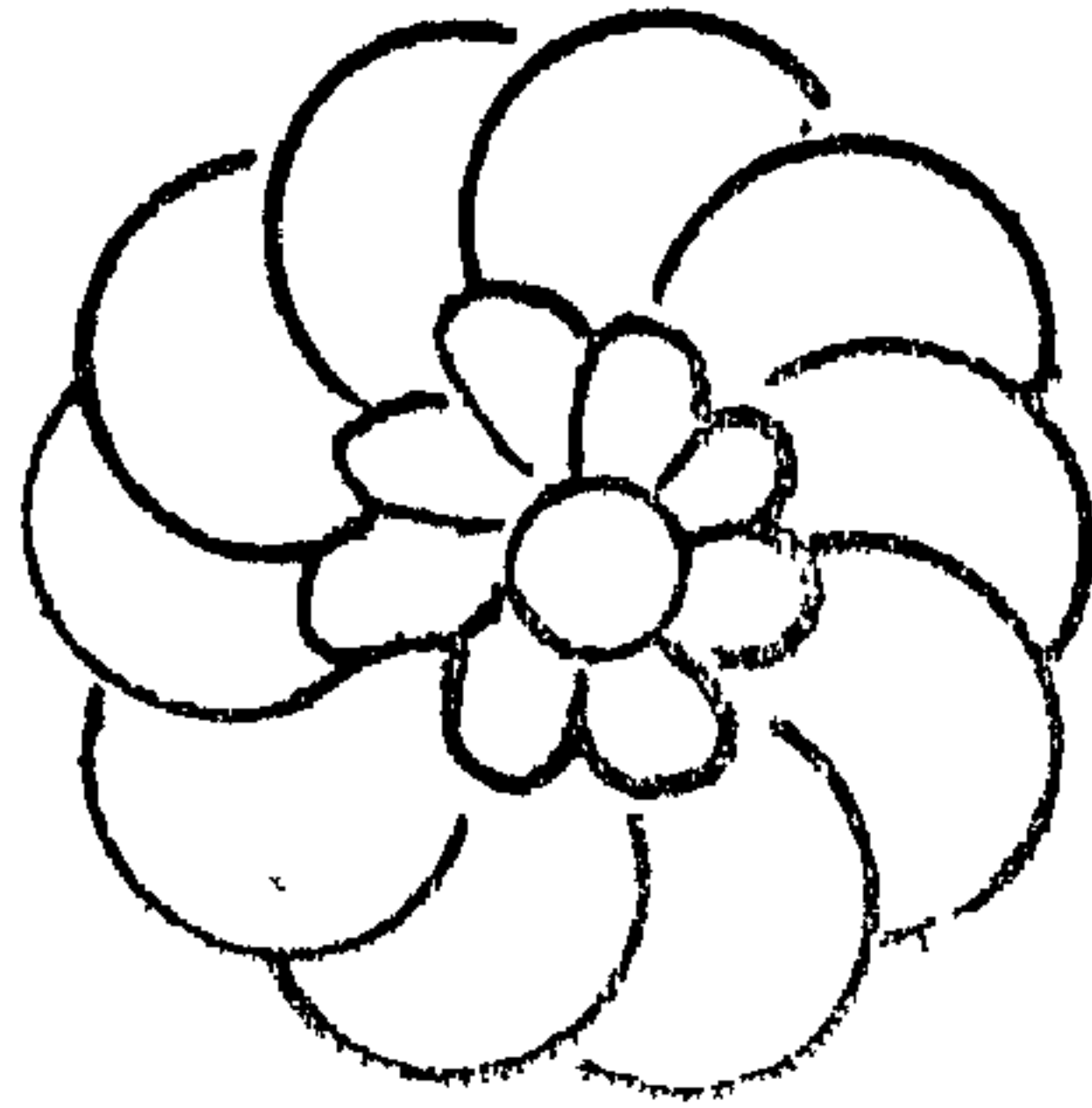
ولعل الله تعالى يأذن أن يتاح لنا من الزمن
ما يمكننا من الكتابة فيه .


مهدي علام

أن زوارها يتجددون يوما بعد يوم ،
وموسما بعد موسم ، من أهل الريف .
ومنهم من يعول على المناسبات ، كالأعياد
الدينية أو حالات الوفاة أو الدعاء لأهل
المرضى أمام المستشفيات .

وقد رأيت شحاذة «مجادة» كانت تأتي
أمام كلية البنات الإسلامية بمدينة نصر ،
في صباح أيام الامتحان ، وتدعوا بالنجاح
لكل طالبة وهي تعبر إلى مدخل الكلية .
وكان معظم هؤلاء الألوف من الفتيات
يسقط في حجر هذه « الفنانة » ما تيسر
من النقود .

وقد نشرت إحدى الجرائد في الصيف
الماضي أن الشرطة ألقت القبض على شحاذة
في العباسية ، ووجدت معها مبلغا كبيرا
جدا من النقود ، قالت إنه حصيلة
يومها من الطلاب في جامعة عين شمس
وهم في طريقهم إلى لجان الامتحان .



A decorative border with a repeating floral and geometric pattern, forming a rectangular frame around the central text.

بحوث ومقالات

مجمع القاهرة للصطلح العلمي

للككتور إبراهيم سليم مذكور

نصفهم من المصريين ، والنصف الآخر من العرب والمستعربين ، ولم يراع في اختيار هؤلاء جميعاً أى اعتبار لتمثيل سياسى أو إقليمي ، بل بنى هذا الاختيار على أساس خدمة العربية والاشتغال بعلومها. وبقى هذا محترماً ومعدولاً به بنسب متفاوتة حتى عام ١٩٦١ ، ثم أريد أن تقصر هذه العضوية على المصريين وعلماء العرب ، وفي تعديل أخير لقانون المجمع حرص الجمعيون على أن يعودوا إلى تقليدهم القديم ، وفتحوا باب العضوية العاملة للمستعربين مرة أخرى . أما العضوية المراسلة فكانت ولا تزال تغذى بخدام اللغة والثقافة الإسلامية شرقاً وغرباً ، من آسيويين وأفريقيين وأوربيين وأمريكيين . وكان لهذا التعاون شأن في وضع قواعد العمل الجمعى ، ورسم خطة واضحة لخدمة اللغة.

(أ) اللغة بين الحاضر والمضى :

حياة كل لغة في أمرين هامين : ماض له قدامه ، وحاضر له متطلباته ، واللغات الحية هى تلك التى تعزز بماضها وحاضرهما معا . وتكساد تتخلص مهمة المجمع اللغوية

فكرة هذا المجمع إلى القرن الماضي ، دعا إليه الأستاذ الإمام محاكاة لما عرفه عن الأكاديمية الفرنسية أثناء إقامته في باريس وحقق الفكرة بالفعل في صورة متواضعة في نهاية هذا القرن ، وفيما نسمى « بمجمع البكرى » ولم يقدر لهذا المجمع أن يعمر طويلاً. ثم أثير الموضوع في قوة في أوائل القرن العشرين ، وبخاصة في « نادى دار العلوم ». وأعيدت التجربة مرة أخرى في العقد الثانى من هذا القرن فيما سمي « مجمع دار الكتب » وكان هو الآخر مجعاً أهلياً متواضعاً ، عمر بضع سنوات ، ولم يلبث أن توقف نشاطه. وكان لابد لنا أن ننتظر إلى العقد الرابع من هذا القرن ، لكي نشهد ميلاد مجمع القاهرة الحالى (١٩٣٢) وقد أريد به أن يأخذ في تكوينه شكلاً يختلف عن المجمع والأكاديميات اللغوية الأخرى ، فلم تقصر عضويته العاملة على الأعضاء المصريين وحدهم ، بل امتدت إلى غيرهم من العرب والمستعربين وكان عدد أعضائه عند تكوينه عشرين .

ترجم

في الملازمة بين هذين الجانبين ، فتستقي من الماضي أسلسه وأنفسه ، وتتقبل من الحاضر أحكمه وأدقه ، وماضي اللغة تراث أدبي من نثر ونظم ، وتراث فكري من علم وفلسفة . وعلى المجامع أن ترعى هذا التراث ، وتدعو إلى إحيائه ، وعبثاً تحاول إن شاءت أن تحيي الألفاظ الغريبة والمهملة . وفي الماضي اللغوي عصور ازدهار وعصور ركود . وكثيراً ما طال الحديث حول عصر الاحتجاج اللغوي : أنقف به عند القرن الثاني للهجرة أو نمده إلى القرون التالية ؟ ولعل من الخير ألا نقف طويلاً اليوم عند هذا الخلاف ، لأن في عصور الركود الأدبي درراً لا يصح أن نهملها .

وحاضر اللغة ما تعيش فيه من مستحدثات العمران والمدنية ، ومبتكرات العلم والتكنولوجيا . وما تواجهه من مشاكل الفرد والمجتمع ، وما تضطلع به من أعباء السام والحرب ، وما تعبر عنه من شؤون المال والاقتصاد والسياسة . وحاضر اللغة باختصار هو المجتمع في شتى مظاهره ، وقد عدت بحق ظاهرة اجتماعية تسير بسير المجتمع ، وتقف بوقوفه . وتمتاز العربية - بين اللغات العالمية الكبرى - بأنها قديمة وحديثة في آن واحد ، واستطاعت أن تسد في الماضي

حاجة العلم والحضارة الإسلامية الكبرى ، وها هي ذه تواجه متطلبات النهضة العربية المعاصرة . وفي حاضرها ما علمونا ثقة بأنفسنا ، وما يشعرا لنا بأننا نملك حقاً لغتنا ، ونستطيع أن نتصرف فيها .

(ب) العمل المجمعي :

إنه لطويل وشاق ، يتطلب صبراً وأناة ، وعلماً ودراية ، وذوقاً وحسن تقدير . ويعيش المجمعون - كغيرهم - بين تيارين متقابلين : محافظة وتجديد ، ويكاد يدور حوارهم وجدلهم حول هذين الاتجاهين ، وفي هذا التقابل ما يضمن قسطاً غير قليل من الاتزان في الحكم وسلامة التقدير . وقد تكتب الغلبة أحياناً لأنصار القديم ، ولكن الزمن في سيره يفرض سلطانه على أشد الناس محافظة . وفي تاريخ مجامعنا اللغوية العربية المعاصرة - على قصره - ما يشهد بتطورها ، ويبرهن على تلاقى المحافظين والمجددين على كلمة سواء .

ونخطئ إن زعمنا أن المجامع تستأثر وحدها بخدمة اللغة . لأن لكل لغة حياة أطول وأعرض ، وأقوى وأنشط مما يجرى بين جدران مجمع لغوي . لها حياتها في البيت والمدرسة ، في الحقل والمصنع ، في السوق والمتجر ، في المكتب والديوان ، في

وجنبتها الصحيح . وحياء المصطلح في استعماله
وشيوعه بين أخص المختصين به ، وإن لم يقبله
هؤلاء فمن العسير أن يقبله الآخرون . وفي
توحيده تثبيت له وتعزيز . وتحياء اللغة العلمية
كلها بحياة العلم نفسه ، وحيث لا علم لا سبيل
إلى التحدث عن لغة علمية .

وحظيت العربية قديما بعلم أصيل ؛ أخذت
وأعطت ، وكان لعلمها شأن في النهضة
الأوربية الحديثة . ولهذا العلم لغته ومصطلحاته .
وقد عول واضعوها على النقل والاشتقاق ،

ولم يبالوا بأن يكون المصطلح عربيا أو معربا
وربما آثروا المعرب إن كان أدل على المعنى
وأكمل في الأداء . وما إن حل القرن الرابع
الهجري حتى اكتملت لغة العلوم الإسلامية ،
واستقرت مصطلحاتها ، وتداولها الباحثون في
العالم الإسلامي جميعه ، وانتقل قدر منها
إلى اللغات الأجنبية . ويوم أن ركذ البحث
العلمي في العالم العربي ، ركذت لغته معه .

ثم جاءت النهضة العربية الحديثة في القرن
الماضي ، فحاولت أن تحيي علومها . وقد
نشطت الحركة العلمية العربية في القرن
الحاضر ، وأخذت تكون من جديد لغتها ،
مستعينة بالدراسات العالية والجامعية ، ومعولة
على الهيئات العلمية بوجه عام ، وعلى الجامعات
اللغوية بوجه خاص .

الصحف والمجلات في المسرح والسينما ، في
الكتب والمؤلفات ، في المعاهد والجامعات
وهنا تحيا اللغة وتتطور ، تخلق وتبتكر .
تسير مع الزمن ، وعلى الجامع اللغوية أن
تتابع هذا السير ، وتراقب خطاه ، فتلاحظ
وتسجل ، وتقر ما استقام وشاع ، وترفض
ما اعوج أو خرج على الأصول الثابتة . توحى
ولا تأمر ، ولوحيا أثره ، ولتوجيهها
فعاله ، وعليها أن تعول دائما على الخبراء
والمختصين .

ويدور العمل انجمنى حول أبواب مختلفة
أخصها تيسير اللغة في متنها وقواعدها وكتابتها ،
وتهذيب المعجم اللغوي وتطويره بحيث يتمشى
والمنهج العلمي الحديث ، وإمداد لغة
العلم والحضارة بما تحتاج إليه من مصطلحات
وألفاظ ، ووضع معجمات علمية متخصصة
وإحياء التراث اللغوي ، وتشجيع الإنتاج
الأدبي .

ويعيننا أن نقف قليلا عند المصطلح
العلمي ، ونبين مدى إسهام مجمع القاهرة فيه .

(ج) المصطلح العلمي :

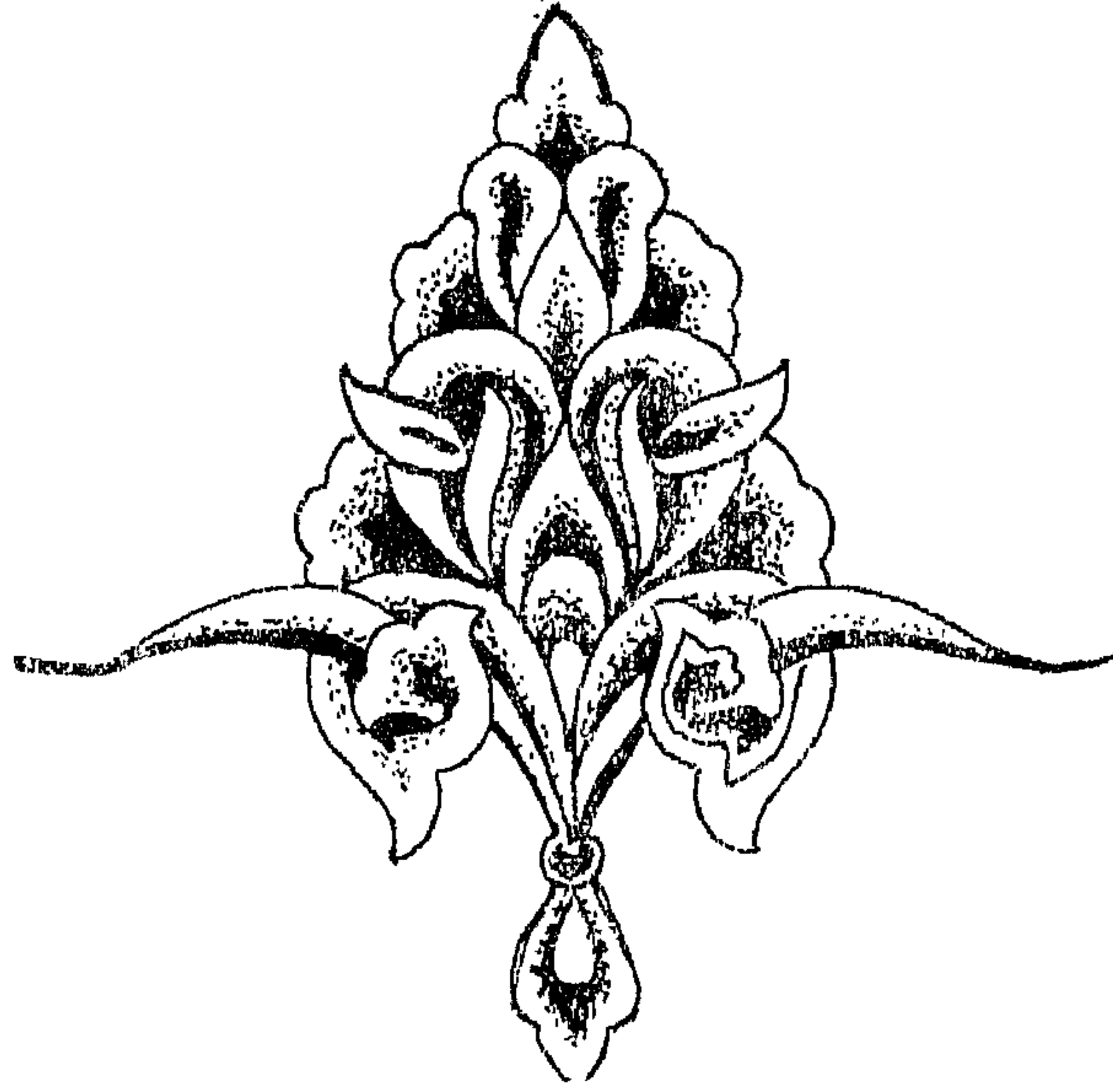
لكل علم لغة خاصة تعتمد على مصطلحاته
وتعبيراته ، وبها يتم الفهم والتفاهم بين
طلابه والمشتغلين به . وكم من مصطلحات
ماتت في مهدها ، لأنها لم تؤد وظيفتها على

(د) عناية مجمع القاهرة به :

لاشك في أن لغة العلم ومستحدثات الحضارة كانت من أهم البواعث التي دفعت إلى قيام المجامع العربية . ويكفي أن نشير إلى أن « مجمع البكري » شغل ببعض ألفاظ حضارية « كالمدره » للأفوكاتو، « والمسرة » للتليفون ، واقترح « مجمع دار الكتب » : « الليل » للقول المدمس، « والوثل » للساب. وللمجمع القاهرة شأن كبير في وضع المصطلح

العلمي ونشره ، والدعوة إلى توحيدده ، وقد أعد للأمر عديته ، فكون منذ نشأته لخانا متخصصة لتحرير لغة العلوم المختلفة ، ورسم على مر الزمن منهجا واضحا لسوضع المصطلح والتعريف به ، وحرص على نشر مقرراته في هذا الباب بشتى الوسائل، وآمن بضرورة توحيد المصطلح العلمي والأخذ به .
وسنعرض لهذه الجوانب في الأعداد التالية،
إن شاء الله .

ابراهيم مدكور
رئيس المجمع



البلاغة عند ابن رشد للكتور شوقي ضيف

(١)

مقدمة :

لا نكاد نتقدم في القرن الثالث الهجري حتى نرى القائلين على وضع معايير البلاغة العربية تتوزعهم ثلاث اتجاهات : اتجاه لغوى محافظ يتخذ من الأمثلة العربية الحالية معايير هذه البلاغة على نحو ما هو معروف عن اللغويين ، واتجاه مجدد مسرف في التجديد يتخذ من البلاغة اليونانية معايير للبلاغة العربية ، ويمثله المتفلسفة والمترجمون ممن ياتمسون تلك المعايير لدى اليونان ، واتجاه معتدل لا يسرف في التجديد ولا في المحافظة ، بل يوازن بين معايير اليونان ومعايير اللغويين ويختار منها جميعا ما يلائم البلاغة العربية ، ويمثله المتكلمون :

وكان من أهم ما عُنيت به بيئة المترجمين والمتفلسفة نقل كتابي أرسطو عن الخطابة والشعر الى العربية ، أما كتاب الخطابة فيذكر ابن النديم في مصنفه «الفهرست» أن اسحق بن حنين المتوفى سنة ٢٩٨ للهجرة نقله الى العربية ، ويقول إنه يصاب بنقل قديم ، وأكبر الظن أنه نُقل منذ أواخر

القرن الثاني الهجري أو على الأكثر منذ أوائل القرن الثالث فإن من يقرأ الملاحظات والوصايا البلاغية الكثيرة المتناثرة في كتاب البيان والتبيين للجاحظ المؤلف في أواخر العقد الثالث من هذا القرن السالف يحس بوضوح أثر القسم الخاص بالعبارة أو الأسلوب من كتاب الخطابة لأرسطو : ويتسع فيما بعد أثر هذا القسم في كتاب البرهان في وجوه البيان لابن وهب المؤلف في النصف الأول من القرن الرابع الهجري : ومعروف أن القسم الأول من كتاب الخطابة لأرسطو يتحدث في تفصيل عن أنواع الخطابة السياسية والقضائية والحفلة ما يتصل بها جميعا من غايات كفاية النفع في السياسية ودفع الظلم في القضائية وبت الفضائل في الحفلة . ويتحدث القسم الثاني من الكتاب عن انفعالات السامعين وعواطفهم وما ينبغي أن يلاحظه الخطيب من الملاءمة بين خطبته وما يناسب سامعيه مفيضا في تحليلات نفسية قيمة . ولم ينتفع أصحاب البلاغة العربية أي انتفاع بهذين القسمين : الأول والثاني من كتاب

الخطابة لأرسطو إلا ما تمثلوه من فكرة مقتضى الحال . وهي مكررة مراراً في كتاباتهم ، بل جعلوها جزءاً لا يتجزأ من تعريف البلاغة إذ قالوا إنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته .

ويرجع عدم انتشاعهم بالقسامين الأول والثاني من كتاب الخطابة المذكور إلى أنهما يتناولان بالتنصیل نظاماً من الحكم تتصل بالخطابة السياسية لم يكن يعرفها العرب ، وكانوا لا يعرفون الخطابة القضائية . نأهملوا لذلك هذين القسامين من الكتاب إجمالاً تاماً ، بينما انتفعوا بالقسم الثالث الخاص بالعبارة أو الأسلوب ، إذ وجدوه عاماً لا يختص بأمة دون أمة ولا بلسان دون لسان . وبدأ بهذا الانتفاع الجاحظ ثم ابن وهب ، ثم أربى عليهما عبد القاهر الجرجاني في هذا الانتفاع مضيفاً إلى أرسطو ما لا يكاد يخصى من المعاني والخواطر والآراء مما يجعله بحق مؤسس البلاغة العربية ورافع صرحها القويم .

ونقل إلى العربية كتاب الشعر لأرسطو مبكراً فيما يبدو لما ذكره ابن النديم من أن للكندى الفيلسوف المتوفى سنة ٢٥٢ مختصراً فيه ، مما يؤكد أنه كان قد ترجم إلى العربية ، إذ لم يكن الكندى يعرف اليونانية فهو لم يختصره عنها مباشرة ، بل اختصره عن ترجمة عربية إما كانت معاصرة له ، وإما كانت سابقة لزمته . ويقال إن إسحاق بن

حنين ترجم الكتاب ، غير أن العصور بعده لم تحمل ترجمته . ونمضى إلى القرن الرابع الهجري فتجدد كمتى بن يونس يعنى بترجمته ، وقد حدثت إلينا العصور الماضية تلك الترجمة ومن يقرأها يلاحظ تواتر كمتى في الترجمة وأن معاني الكتاب استغامت عليه ، لسبب طبيعي ، وهو أن أرسطو في الشطر الأكبر منه يتحدث عن المسرح والتراجيديا والكوميديا ، مما لا يعرفه متى والعرب من حوله ، فلم يفهم أفكار الكتاب ، وبأن من سوء فهمه أن ظن أن التراجيديا عند اليونان تقابل شعر المديح عند العرب وأن الكوميديا تقابل شعر الهجاء ، وأدار معاني الكتاب على هذا الفهم المخطيء ، وبذلك أفسد ترجمته وغدت سقيه أشد السقم .

(٢)

ابن رشد وتلخيص كتاب الخطابة

أخذ فلاسفة العرب يعنون بكتاب الخطابة لأرسطو منذ القرن الرابع الهجري يتقدمهم الفارابي المتوفى سنة ٣٣٩ للهجرة ، إذ وضع شرحاً له ، غير أن هذا الشرح سقط من يد الزمن فلم يصل إلينا ، وصنع له ابن سينا المتوفى سنة ٤٢٨ تلخيصاً وصل إلينا ، كما وصلت إلينا ترجمته العربية القديمة ولخصه الفيلسوف القرطبي ابن رشد المتوفى سنة ٥٩٥ ونُشر هذا التلخيص في القاهرة مرتين مرة بتحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي سنة ١٩٦٠

ومرة بتحقيق الدكتور محمد سليم سالم :
ولاحظ الدكتور بدوى أن ابن رشد لا
يحتفظ في تلخيصه لكتاب الخطابة من كلام
أرسطو إلا بألفاظ قليلة وأنه تحول بتلخيصه
إلى شرح موسع لنصوصه ، ولاحظ الدكتور
سالم أن ابن رشد يورد في عرضه للكتاب
أمثلة من الشعر العربي لكل مبدأ من مبادئ
البلاغة اليونانية ، ويتضح ذلك في القسم
الثالث من الكتاب وهو القسم الخاص
بالعبارة وما أنشد فيه من أشعار الشعراء .

وابن رشد في هذا القسم يفصل القول
مرارا في الأبواب الأساسية في علم البيان :
أبواب التشبيه والاستعارة والسكناية . أما
التشبيه فقد أشار إلى أدواته وإلى أن للأمم
أعرافا في تشبيهاتها تستمدّها من بيئتها ويقه ل
إن كثيرا من تشبيهات العرب غير بيّن عند
سائر الأمم ، مثل قول امرئ القيس يصف
حمار الوحش وما يثير من غبار في الصحراء
أثناء عدوه :

يُسهِّل ويُنذِرِي تُرْبَهَا وَيُسِيرُهُ
إِثَارَةَ نَبَاتِ الْهَوَاجِرِ مُخْمَسِ

وهو يشبه إثارة حمار الوحش للغبار بإثارة
نبات الهواجر الخمس ، وهو البعير الذي يثير
التراب في وقت الهاجرة والقبض الشديد
ليحس برد الثرى فيسكن عنه العطش .
ويقول إنه مخمس أى أنه شديد الظمأ وأنه
ما يزال يطلب الماء خمسة أيام طوال ،
وواضح أن التشبيه مستمد من البيئة

الصحراوية خاص بها ، فإن نبات الهواجر
المخمس إنما يعرفه سكان البوادي والصحارى .

ويذكر ابن رشد تشبيه المفرد وأنه يرتفع
درجات حين يستم المشبه به صفة أو فعله ،
فينزع الشبه بذلك من أحواله ، ويمثل
لذلك بقولهم : «فلان يشبه قردا يزمر
بأنبوب» ويتابع أرسطو في أن التشبيه قد يكون
نايبا كقول القائل عن شخص إن ساقيه
جعدتان كالكرفس ، ويحذر الشعراء من
الوقوع في مثل هذا التشبيه الثاني . وينبّه
إلى أن التشبيه ينبغي أن يكون بين أشياء
متجانسة ، إما في النوع مثل تشبيه الإنسان
الحميل بيوسف ، وإما في الجنس القريب
مثل تشبيه العرب المرأة الحسنة بالطيبة ،
وإما في الجنس البعيد مثل تشبيه المرأة
الحسنة بالشمس . فلا بد من وجه شبه
يجعل طرفي التشبيه يلتقيان في جنس واحد
أو جامع واحد وإلا كان التشبيه رديئا .
ويذكر أرسطو التشبيهات التمثيلية المركبة
وأنها تنزع من أمور متقابلة في الطرفين ،
ويمثل لذلك بقول بعض اليونانيين عن
شبان من إحدى المدن قُتلوا في بعض
المعارك أنهم «فُقدوا من المدينة كما لو أن
أحدا أخرج الربيع من دور السنة» . ويقول
هنا إن أرسطو ذكر أمثلة أخرى كثيرة
من أقاويل مشهورة عندهم يعسر فهمها
بحسب لساننا وعاداتنا ، ويضرب لذلك
مثالا عربيا بوضح هذا النوع من التشبيه

التمثيلي هو قول المتنبي في جنات شعيب
بَوَّانَ ورياضه .

مغاني الشعْب طيباً في المغاني

بمنزلة الربيع من الزمان

فتلك المغاني والرياض تفضل سائر المغاني
في الدنيا طيباً وشذى عطراً كما يفضل الربيع
بحسنه وبهائه سائر الفصول والأزمنة .

ويتحدث ابن رشد مرارا عن الاستعارة
على هدى مانثره أرسطو من آراء . ويذكر
أن الاستعارة التصريحية تقوم على التشبيه بين
المستعار والمستعار له ، وأنها تأتي طيبة منقادة
على نحو ما يلاحظ في تشبيه النساء بالطباء ،
فقد يذكر المشبه والمشبه به معا ، فيقال
النساء كالطباء وقد يذكر المشبه به وحده ،
يقول : وهذا النوع يسميه أهل زماننا
بالاستعارة مثل قول ابن المعتز :

يادار أين ظباؤكِ الثَّاعْسُ

قد كان لي في أنسها أنسٌ

فقد عبّر ابن المعتز عن النساء بالطباء على
طريقة الاستعارة التصريحية .

ومعروف أن هذه الاستعارة تقابلها عند
البلاغيين الاستعارة المكنية في مثل « أنشبت
المنية أظفارها بفلان » فإنهم يرونها هي الأخرى
قائمة على التشبيه ، وكأن قائل هذه الكلمة
يشبه المنية بحيوَان مفترس . وجعلهم ذلك
يحملون حملات شعواء على أبي تمام إذ
رأوه يكثر من هذه الاستعارة دون أن

يتضح فيها التشبيه وهي لا تقوم على التشبيه
وإنما تقوم على بث الحياة والأفعال في الأشياء
من المعاني المجردة وعناصر الطبيعة ، ولذلك
فصاها أرسطو عن الاستعارة وسماها « وضع
الشيء نَصْبَ العين » أي جعله حياً وله أفعال
الأحياء المنظورة : وتبعه ابن رشد يفصلها
عن الاستعارة ، ومثل لها بيت لأبي العلاء
يصف فيه سيفاً وبطشه بالأعداء ، إذ يقول :

توهَّم كلَّ سَابِغَةٍ غَدِيرَا

فرنَّق يشرب الحلقَ الدُّحَالَا

وواضح أن أبا العلاء بث الحياة في
السيف إذ جعله ظمآن يظن لظمته الشديد كل
درع سَابِغَةٍ مصبوبة على الفرسان غديرا ،
فرنَّق وحووم حولها تحويم الطير الظامئة يريد
أن يسقط على حلق الدروع المتداخلة
يظنها ماء . وكل ذلك تصوير لفتك السيف
بالأعداء ، ولم يشبه أبو العلاء السيف بطائر
على طريقة الاستعارة المكنية كما قد يظن ذلك
البلاغيون عندنا ، بل جعله طائرا فعلا ،
يتنفس تنفسه ويفعل أفعاله من التحويم
والسقوط على المياه . ويدل على صحة نظر
أرسطو أنك لا تستطيع أن تقول السيف طائر
على التشبيه أو الاستعارة ، إنما يقع ذلك في
ذهنك بعد أن ترى ما يضاف إليه من الأفعال
والصفات ، فالتشبيه لا ينتزع من الطائر مباشرة
وإنما ينتزع مما يضاف إليه . ومن المؤكد أن
ابن رشد كان دقيقا كل الدقة حين تابع
أرسطو في تصور هذه الصيغة البيانية ، ولم

يطلق عاها اسم الاستعارة المكنية : ويعرض ابن رشد للاستعارة التمثيلية عن طريق الأمثال التي تضرب في حوادث مشابهة للحادثة الأصلية كقول بعض العرب : « ذكررتني الطعن وكنت ناسيا » ويشير إلى الأمثال الكثيرة ، المضروبة في كتاب كليلة ودمنة ؛

وفي مواضع مختلفة من التلخيص أو الشرح يعرض لصور من الكناية مثل التعريض وما يحمل من تأويجات دالة مثل قول أحد اليونانيين لمن كان ينافره : « ما أنى بآثم ولا أمي بآثمة » فظاهر التعبير أنه نفى الإثم عن نفسه زمقتضى الحال يدل على أنه أثبتته على خصمه . ويقول إن الكناية قد تستخدم رغبة في التخلص من الألفاظ القبيحة والحسيئة والبشعة الثقيلة ، ويذكر أنه يمكن الخلوص إلى ذلك باستخدام لفظ أعم أو أخص أو لفظ مشترك له معنيان : معنى قبيح ومعنى غير قبيح ، ويقول ابن رشد إن هذا النوع من الكناية في كلام الفصحاء كثير . ويعرض مثلا للكناية التي تكثر فيها الوسائط ، نقله عن الفارابي ، وهو لامرئ القيس إذ يقول :

بُدِّلْتُ من وائل وكندة عدّه

وان وفههما صمى ابنة الجبل

وابنة الجبل : الحصاة ، وصممها كنى به امرؤ القيس عن اشتداد الأمر عليه . وقد نظم البيت في أثناء مطاردة المنذر بن ماء السماء أمير الحيرة له بعد مقتل أبيه ، وهو يتنقل في القبائل يستغيث ولا مغيث . ويذكر ابن رشد الوسائط أو البدائل الكثيرة بين

ظاهر قول امرئ القيس : « صمى ابنة الجبل » ومراده ، يقول : إنه جعل ابنة الجبل بدلا من الحصاة وقال : « صمى » بدلا من عدم الصوت لأن عدمه وعدم السمع يتقاربان ، فإنه قسيمه ، إذ عدم السمع يكون عن عدم الصوت ، وجعل عدم صوت الحصاة بدلا من ابتلال الأرض ، وجعل ابتلالها بدلا من انصباب الدماء على الأرض ، وجعل انصباب الدماء بدلا من القتال الشديد ، وجعل القتال الشديد بدلا من الأمر العظيم ، فكأنه أراد : وفي ذلك أمر عظيم . وهي وسائط كثيرة كما يقول البلاغيون ، ويرى ابن رشد أن مثل هذه الكناية كثيرة البدائل إنما تليق بالشعر ، فينبغي أن لا تستخدم في سواه .

ومن الملاحظات البلاغية الطريفة التي - رسمها ابن رشد على هدى كلام أرسطو في الخطابة درجات الحسن والقبح المتفاوتة في التعبير عن صورة بيانية ، ويضرب مثلا لذلك أن يصف واصف امرأة مخضوبة اليد بالحناء ، فيقول فيها : حمراء الأطراف أو قرمزية الأطراف أو وردية الأطراف أو كما قال بعض الشعراء :

من كفّ جارية كأن بنانها

من فضةٍ قد طوّقت عُنابها

يقول : فإن قولنا : وردية الأطراف إبدال حسن أى استعارة حسنة ، وكذلك قولنا : عنابية الأطراف ، وقولنا : حمراء

الأطراف أحسن منه ، وأقبح من هذا قولنا :
قرمزية الأصابع ، ولو قال فيها : دَمِيَّةُ
الأصابع لكان أن يكون هجواً أقرب منه إلى
أن يكون مدحاً . وواضح أن ابن رشد رتب
التعبيرات في درجات بعضها فوق بعض ،
وقد جعل أَدْنَاهَا « دمية الأصابع » بل جعل
هذا التعبير يدنو من الهجاء لنبوه عن الذوق .
ووضع في الدرجة التالية له : « قرمزيه
الأصابع » لأن كلمة قرمزية منسوبة إلى
القرمز وهو دودة حمراء مستقدرة ، مما يجعل
الصورة أو العبارة شديدة القبح . وجعل
كلمة « حمراء الأطراف » أقل درجة في
القبح ، بل في الخسة ، ولعل الخسة جاءت
من أنها حقيقة مجردة ، وليست من التعبيرات
التصويرية التي تعد بلاغياً أسماً منها وأرفع ،
ووضع في أعلى الدرجات التعبيرين التصويريين
« وردية الأطراف » و « عنابية الأطراف »
والعنا بثمر شديد الحمرة .

ويلاحظ ابن رشد مستضيئاً بكلام أرسطو
تفاوت درجات البيان أيضاً في التعبيرات
الحقيقية ، ويضرب مثلاً لذلك السرقة فإن
من يريد أن يحكى الواقع تماماً عن شخص
سارق يقول إنه سرق ، ومن يريد أن يحقر
أمره يقول : خان ، ومن يريد أن يعظم أمره
يقول أغار . ومثل ثان هو : الشفاعة والتضرع
فهما داخلان تحت جنس واحد ، وهو
المسألة ، يقول : « التضرع أحسن من الشفاعة
وذلك أن التضرع يكون ممن هو دونك ،

والشفاعة من المساوي ، فتي أردنا أن نحسن
التضرع سميناه شفاعة ، ومتى أردنا أن
نحسّس الشفاعة سميناه تضرعاً . وكذلك إذا
أردنا أن نعظم الشيء الواحد بعينه سميناه
بالأعظم من ذلك الجنس ، وإذا أردنا أن
نصغره سميناه بالأصغر » :

وهذه الدرجات البلاغية والبيانية للتعبيرات
عن معنى حقيقي أو صورة أدبية كان حرياً
بالبلاغيين من أسلافنا الذين قرأوها عند
ابن رشد أن يدخلوها في بحوثهم وأن ينموها
في دراساتهم بعقولهم البصيرة النافذة : وكذلك
كان ينبغي أن يضيفوا إلى دراساتهم ما ذكره
ابن رشد من تعبير البلاغ في كلامهم بالأفعال
الدالة على الحركة مما يحيل كلامهم إلى مشاهدة
نابضة ، من مثل قول النابغة في وصف المتجرّدة
ورؤيته لها وقد سقط نصيفها أو خمارها :

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه

فتناولته واتقتنا باليد

فالتجرّدة سقط خمارها عفواً دون قصد ،
فأسرعت إلى التقاطه بيد وسترت باليد
الأخرى وجهها حياء وخفراً . وهو مشهد
متكامل ، وليس فيه مجاز ولا ما يشبه المجاز ،
إنما هي أفعال تصور واقعاً بكل هيئته ،
وكأنما يحدث تحت عين السامع أو القارئ .
ويذكر ابن رشد أبياتاً أخرى لأبي تمام
وغيره تصور مشاهد حقيقية تامة بما تحمل
من أفعال الحركة حتى كأنما تشاهدها الأبصار .

ويعرض ابن رشد رأى أرسطو في المبالغة المفرطة وأنها تُقبَلُ في الشعر ولا تقبل في الخطابة ، وكذلك لا تقبل في الرسائل ، بل تقبح فيها قبحاً شديداً . وبالمثل يعرض ابن رشد آراء أرسطو في الطباق والتاباة والإيجاز والإطناب ، ويلاحظ أن الإيجاز تقل فيه أدوات الربط بين العبارات ويمثل لذلك - تابعاً للفارابي - بخطب الجاهلية إذ تقل فيها تلك الأدوات قلة شديدة . إذ تأخذ شكل حكم متعاقبة . وقد أفاض أرسطو في بيان تلك الأدوات ودقة استخدامها في العبارات . وينتهي أرسطو مراراً عن استخدام الألفاظ المشتركة ، لأن استخدامها يجال الكلام مبهماً فلا يدري السامع مراد المتكلم كاستخدام لفظة الأبيض مكان اللبن ، ومثل تسمية العرق رطوبة باسم جنسه ويلاحظ أرسطو أن الخطباء والشعراء يستخدمون الكلمات المترادفة كثيراً ، ورأى ابن رشد البلاغيين من أسلافنا يلحون على نبذها وعدم استخدامها في الشعر ، ويسمون ما جاء منها حشواً كقول بعض الشعراء :

ألا حبذا هندٌ وأرضٌ بها هندٌ
وهندٌ أتى من دونها النأى والبعدُ

يقولون إن كلمة البعد مع النأى فضل وزيادة، ينبغى طرحها . ويخالفهم ابن رشد ، فيقول إنها جاءت لتصحيح الوزن والقافية ، وكأنما يشعر أن لها دلالة موسيقية بجانب دلالتها اللغوية . ويبسط ابن رشد القول

فما عرض له أرسطو من الفروق بين موسيقى النثر الخطابي والشعر ، فالكلام الخطابي لا يخلو من الإيقاع الموسيقي ، ولكن ينبغى أن لا يكون موزوناً إذ هو نثر وليس شعراً . ويعرض ابن رشد للازدواج في النثر ويقول إنه كثير في الكتاب العزيز مثل : (فاصبر صبراً جميلاً) (إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً) فإن جميلاً وبعيداً وقريباً على صيغ واحدة وشكل واحد . ويذكر أرسطو أن العبارات المتعاقبة في النثر تختلف طولاً وقصراً مع انتظامها في النسق حتى تحدث متعة ، ويعقب على ذلك ابن رشد بقوله : « وذلك مثل ما محمده الكتاب عندنا من كون الفقرة الثانية أطول من الأولى ، كما هو معروف في كلام أصحاب البلاغة عن السجع ، إذ يطلبون أن تكون السجعة الثانية هي الأطول من السجعة الأولى لا العكس . ويطلب أرسطو الحديث عن أجزاء الخطبة ، ويقول إن المصدر مبدأ الكلام وفتحته ، وينبغى أن يحترس الخطيب فيه من إيراد كلام تنفر منه النفوس والأسماع . ويورد أرسطو بعض الأمثلة الموضحة لرأيه ، ولا يلبث ابن رشد أن يسرد فواتح لبعض المدائح عابها البلاغيون من مثل قول المتنبي في مطلع مدحة لكافور :

كفى بك داءً أن ترى الموت شافياً
وحسبُ المنايا أن يكنَّ أمانياً

وكأنما صكَّ المتنبي وجه كافور بهذا البيت ، إذ جعله يواجه أول ماسمعه غمَّ الموت ، وقال إنه الدواء الوحيد لداء التعاسة والكرب ، بل جعله الأمل المنقذ من الهم والغم .

وفي مواضع كثيرة من كتاب الخطابة يتحدث أرسطو عن الغرابة والابتذال في الكلام ملاحظاً أن الغرابة تكثر في الشعر كما تكثر الصور البيانية ، وينصح أن لا يكون الكلام كله بألفاظ غريبة أو مستعارة أو مألوقة ، بل يخلط المتكلم بين هذه الألوان ليكون الكلام أشد تخيلاً وأكثر تأثيراً في النفس . ومن طريف ما نقرأ في هذا الجانب أن الكلام إذا كان كله مكوناً من ألفاظ غريبة أو مستعارة أشبه الكلام المألوف فلم يحرك النفوس . ولا يحاول ابن رشد أن يأتي بأمثلة توضح غرابة الألفاظ ، وكأنه أحس بأن مباحث البلاغيين منذ الحافظ استوعبت الحديث فيه ، ولم تعد هناك بقية لكلام أو تطبيق .

(٣)

ابن رشد وتعریب کتاب الشعر

عنى فلاسفة العرب بكتاب الشعر لأرسطو على نحو ما عنوا بكتابه عن الخطابة فقد كتب الفارابي على هديه رسالة في قوانين صناعة الشعراء ورسالة أخرى صغيرة ، ويبدو من الرسالة الأولى أنه فقه بعض الشيء ما تحدث به أرسطو عن المحاكاة في الشعر وبالمثل ما تحدث به عن الطراغوذيا (التراجيديا)

والقوموذيا (الكوميديا) وإن كانت صورتها لم تتضح له تماماً . وصنع ابن سينا بعده تلخيصاً لكتاب الشعر ، وهو يبدو فيه متمثلاً له بأكثر مما تمثله مترجمه متى بن يونس ، ولعله اعتمد في تلخيصه على ترجمة تالية له ليحيى بن عدى لم تصلنا . وهو في تلخيصه يحس بوضوح الفروق بين الشعر اليوناني والشعر العربي ، مما جعله يبتقى على اصطلاحى الطراغوذيا والقوموذيا فلم يسمهما المديح والهجاء كما صنع متى . ومع فطنته في تصور الكتاب يظل غامضاً عنده أو بعبارة أدق تظل أطراف منه غامضة ، وإن كان مما لا ريب فيه أن تلخيصه أجود من ترجمة متى ، وقد سمي مصطلح التعرف في المأساة باسم الاستدلال ، وسمى مصطلح الانقلاب في البطل من السعادة إلى الشقاء والعكس باسم الاشتمال .

وجاء ابن رشد بعده فحاول تلخيص الكتاب ، ويبدو أنه أحس أن من الصعب تلخيصه ، وأنه أولى من ذلك أن يكتب تفسيراً ملخصاً له ، لا ينقل فيه نصوص الكتاب نقلاً حرفياً ، بل يشرحها في إجمال ، وأراد أكثر من ذلك أن يقترب بعمله من الذوق العربي ، فأكثر فيه من الأشعار العربية ، بحيث غداً صنيعة أشبه بتعريب للكتاب ، وكأنه يريد أن يطبق قضاياه على الشعر العربي ، مع عدم إدراكه بوضوح لهذه القضايا ، وفي مقدمتها حديث أرسطو عن الطراغوذيا والقوموذيا فقد مضى في أثر

متى بن يونس وترجمته يظنهما على الترتيب المديح والمهجاء. وإذا كان ابن سينا والفارابي قبله أدركا إلى حد بعيد ما يريد أرسطو بالمحاكاة في التراجيديا والكوميديا وأنها محاكاة لأفعال وأحداث ، فإن ابن رشد غاب عنه هذا المعنى تماماً وظن أن المحاكاة تقابن التشبيه في البلاغة العربية ، وسمى الانقلاب في المأساة من السعادة إلى الشقاء والعكس إرادة . ومضى في الكتاب يكثر من ضرب الأمثلة من الشعر العربي : أبياته وشطوره ، ابتغاء الشرح والتفسير .

وفي الحق أننا عند ابن رشد - كما قلنا - بإزاء تعريب لكتاب الشعر لأرسطو ، وهو تعريب يداخله الخطأ أحيانا في فهم بعض النصوص والمصطلحات في الكتاب ، ومع ذلك فقد نثر فيه الفيلسوف القرطبي كثيرا من الآراء البلاغية الصائبة . وأول مانقف معه عنده المحاكاة وظنه أنها تقابل في البلاغة العربية التشبيه ، فقد خصه بكلام كثير تحدث فيه - متابعا للبلاغيين عندنا - عن أدواته ومجيبته أحيانا بدونها مما يسدونه تشبيها بليغا ، ومجيبته أحيانا أخرى في صورة عكسية يصبح فيها المشبه مشبها به والمشبه به مشبها كقول ذي الرمة في أحد شطوره أبياته « ورمل كأوراك العذارى قطعته » . ويقول إن التشبيه قد يكون تشبيه محسوس بمحسوس ، ومثل لذلك ببعض الأبيات ، وقد يكون

تشبيه معنوي بمحسوس كقولهم في الإحسان إنه قيد على شاكلة قول المتنبي :
وقيدتُ نفسي في ذراك محبة
ومن وجد الإحسان قيِّداً تقيِّداً

ويرى أنه ينبغي في التشبيه أن يكون بالأشياء الفاضلة لا بالأشياء الخسيسة ، وقد يكون في ذلك متأثرا بما جاء عند عبد القاهر في كتابه « أسرار البلاغة » من أنه ينبغي أن لا يقرن في التشبيه الخسيس بالشريف ، ويضرب ابن رشد لذلك مثلا هو قول شاعر في مديح سيف الدولة وفتكه بالبيزنطيين في بعض معاركه :

وكانوا كفأر شوشوا خلف حائط
وكنت كسنورٍ عليهم تسلقنا

وواضح أن الشاعر شبه سيف الدولة في سحقه للبيزنطيين بسنور أوهر ، وهم خلف حائط يتهامون هلعا كأنهم فأر مذعور ، وما لبث سيف الدولة يتسلق الحائط عليهم ويمزقهم إربا . ويعيد هنا ما مر بنا في تلخيصه لكتاب الخطابة من أن الأمم تختلف في تشبيهاها باختلاف أعرافها وبيئاتها وعاداتها كتشبيه العرب النساء بالظباء وبقر الوحش ، ومثل تشبيها الضب - حيوان من الزواحف - بالنون (الحوت) لمكان السراب الموجود في بلادهم ، ويقول : ومن ذلك قول الله تعالى في تصوير أعمال الكفار : (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة) .

ويعرض أمثلة للاستعارة المكنية في غير موضع من كلامه ، ويقف مع الآمدى في حملته على أمثلة جاءت منها عند أبي تمام لا يتضح فيها التشبيه من مثل قوله :

لا تَسْقَى مَاءَ الْمَلَامِ فَإِنِّي
صَبًّا قَدْ اسْتَعَذَبْتُ مَاءَ بَكَائِي

وقوله في مدح أحد القواد وتنكيله بالأعداء :

يَوْمَ فَتَحَ سَقَى أَسْوَدَ الضَّوَاحِي
كُتِبَ الْمَوْتُ رَائِبًا وَجَلِيسًا

الكُتِبَ جمع كُتِبَ وهي من اللبن الجرعة . يقول ابن رشد - كما قال الآمدى وغيره من بلاغى العرب - إن الماء في البيت الأول غير مناسب للملام وكأنه افتقد في الصورة التشبيهية الذى يؤهل للاستعارة ، ولم يلاحظ أن ماء البكاء في نهاية البيت هو الذى أتاح لأبى تمام أن يأتي بماء الملام على سبيل المشاكلة وكان للملام جدولا كبيرا . وبالمثل نقد ابن رشد التشبيه الذى قامت عليه الاستعارة في البيت الثانى إذ جعل أبو تمام للموت جرعا كجرع اللبن منها الرائبة ، وغير الرائبة . والصورة غريبة غير أن أبا تمام استوحاها من مثل قول العرب : جرّع فلان أعداءه الصلب والعلقم . وابن رشد - مثل الآمدى وبلاغى العرب - مخطئ في طلبه أن تكون هذه الصورة وسابقتها قائمتين على التشبيه ، وهما من صور الاستعارة المكنية التى لا تعتمد على التشبيه ، وإنما تعتمد على تجسيم الأشياء تارة وتشخيصها وبث الحياة فيها تارة ثانية ، وكان ابن رشد لم يتنبه إلى

مانقله عن أرسطو في وصفها وبيانها ، على نحو ما مر بنا آنفا في تلخيصه لكتاب الخطابة ، إذ نقل عنه هناك أنها وضع الشيء نصب العين أى تجسيده أو إيداع الحياة فيه ، وليس في ذلك تشبيه ولا استعارة كما ظن الآمدى وأضرابه ، وكان ينبغى أن يفتحوا أبواب التصوير البيانى لاستقبال هذا النوع من التشخيص والتجسيم الذى أكثر منه أبو تمام على أن ابن رشد نفسه عاد في صحف من الكتاب بلون من هذا النوع شاع عند العرب قديما ، وهو مخاطبتهم للأطلال والديار ومحاروتهم مع الجبال وغيرها مما يبث الحركة في الأشياء ويضعها نصب العين كما يقول أرسطو ، ومما مثل له فيلسوف قرطبة من ذلك مخاطبة مجنون ليلى لجبل التّوباد وحواره معه على هذا النمط :

وَأَجْهَشْتُ لِلتَّوْبَادِ لِمَا رَأَيْتُهُ

وَكَبَّرَ لِلرَّحْمَنِ حِينَ رَأَى

فَقُلْتُ لَهُ أَيْنَ الَّذِينَ عَاهَدْتَهُمْ

حِوَالِيكَ فِي أَمْنٍ وَخَفَضَ زَمَانَ

فَقَالَ : مَضُوا وَاسْتَوْدَعُونِي بِلَادَهُمْ

وَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْقَى عَلَى الْحَدِّ ثَانٍ

وهى أبيات طريفة تصور مجنون ليلى وقد ألم بديارها فلم يجد من معاهدها سوى جبل التوباد ، فاجهش بالبكاء ، وامتلأ الجبل اشفاقا عليه فكبر لله لعله يرحمه ، ويسأله المجنون عن ليلى وأهلها الذين كانوا يروحون ويغدون في ظله آمنين وادعين ، ويقول الجبل بلسان

حاله : لقد مضوا وخلصت الديار منهم ، ومن
ذا الذي يبقى على الليالي والأيام ، فالكل
إلى زوال والجميع إلى فناء . وكان ابن رشد
يعجب بمثل هذا المشهد الكامل في الشعر وأدائه
ذلك إلى إظهار إعجابه بالأبيات التي تحمل
مشاهد أو أحاسيس كلية كأحاسيس الذكريات
من مثل قول متمم بن نويرة في رثاء أخيه مالك :

وقالوا أتبكي كل قبر رأيت
لقبر ثوى بين الثوى والدكادك

فقلت لهم إن الأسي يبعث الأسي
دعوني فهذا كله قبر مالك

والبيتان يحملان أحاسيس حادة بذكرى أليمة
وتوجع ممض وحزن لاشاطئ له ، فالأرض
كلها أصبحت قبرا كبيرا للملك وهو يذرف
الدمع سخينا على شقيق روحه والدمع لا يرقا
ولا يجف ، وينشد ابن رشد من هذه الأحاسيس
والمشاهد والصور الكلية قول مجنون ليلى ،
وقد ذهب إلى حج بيت الله لعله يتعزى عنها
أو يتسلى :

وداع دعا إذ نحن بالخيف من منى
فهيج أحزان الفؤاد وما يدرى

دعا باسم ليلى غيرها فكأنما
أطار بليلى طائرا كان في صدرى

والبيتان يصوران مجنون ليلى وهو يؤدي
عبادة الحج متنقلا بين مناسكه ومشاعره ،
وإذا شخص يدعو باسم ليلى أخرى ، فيخفق
قلبه حين سماع اسمها ، وتتوالى ضرباته
ونخفقاته في صدره ، وتعود إليه رعداته في

جلده وعظامه ، وتعود إليه ذكرياته مع
ليلى في أيام الحمى ، وكأنما يتصدع قلبه
تصدعا . ويذكر ابن رشد لمجنون ليلى صورة
كلية أو قل مشهدا كليا ، إذ يقول :

رأى لأستغشى رماني نعمة
لعل خيالا منك يلقى خيالها
وأخرج من بين البيوت لعاني
أحدث عنك النفس في السر خيالها

والمتنى في البيت الأول يتردد عند
الشعراء . خير أن البيت الثاني رائع إذ يكمل
المشهد أو الصورة . إذ يقول المجنون إنه
يعتزل أهله ويوتهم في الحى ليخاوا إلى نفسه
وحبه ومناجاته ليلى ، وكأنه يطالب الاعتكاف
دائما . ليس إلى معبودته بحبه في همس ،
بل في صمت . وليس في البيتين استعارة
ولا تشبيه ولكن فيهما استوحاه عن أرسطو
في تلخيصه لخطابته ، كما أسلفنا ، من الأفعال
البدالة على الحركة التي ترفع أمام أبصارنا
أو قل ترسم مشاهد حية نابضة . وكان حربا
بالبلاغيين عندنا أن يفتحوا في البلاغة بابا
لهذه المشاهد الخافقة بالحياة ، مما تداخله الصور
البيانية . مما يخاو منها متحولا بالأحاسيس
والحقائق الواقعية إلى مشاهد خافقة بالحياة
والحركة . ومن بديع ما ذكره من هذا
اللون أو الباب قول المتنبي يصف فرع
رسول للروم حين دخل على سيف النولة
في قلعة خراب :

أتاك يكاد الرأس يجحد عنقه
وتنقد تحت الذئعر منه المفاصل

يقومُ تقويمُ الساطنِ مشيئته
إليك إذا ما عتوجتُه الأفاكلُ

تَهوون علينا في المعالي نفوسنا
ومن خطب الحسناء لم يغلبها المهز

والسماطان : الصفان من الحاشية وغيرهم .
والافاكل : جمع أفكل وهي الرعدة .
والمتنبى يصور حالة الرسول النفسية ،
وكأننا نراه أمام أبصارنا وقد دخل على سيف
الدولة ، والرعب يملأ نفسه من لقاءه ،
وكأنما رأسه تنكر أن يظل عنقه متصلا بها ،
وكأنما مفاصله تتقطع خوفا وهلعا ، والرعدات
تأخذه من كل جانب ، فيضطرب في مشيئته
حتى ليكاد ينكفيء ، لولا السماطان اللذان
يقومان سيره بينهما ، فيتداسك ونفسه لا تكاد
تستقر ضيقا وقلقا وفزعا ما بعده فزع .
وقد عرف المتنبى كيف يعرض عاينا هذا
المشهد الكامل لفزع رسول الروم وبيان حالته
النفسية . ولو أن البلاغيين من أسلافنا عنوا
بعرض مثل هذه المشاهد الكلية في البلاغة العربية
وما يطرأ فيها من وصف الأحوال النفسية
الحقيقية والمتخيلة لأثروا مباحثهم ولاستحالت
في بعض جوانبها خصبة ممتعة .

والشطر الأخير مثل واضح . ويقول
إن هذا الجنس من الأمثال والحكم كثير في
شعر المتنبى ، وهي ملاحظة صحيحة فشعره
يمتلئ بالحكم ، ولاحظ ذلك معاصروه ومن
جاءوا بعده فألفوا فيه رسائل مختلفة .

وذكر ابن رشد الجناس التام والناقص ومثل
لهما كما مثل للطباق والأضداد ملاحظا ما فيها
من المتاع والجمال الفني ، وأشار إلى تصنع
المتنبى للمصطلحات العامية في شعره ،
وقال أنه ربما استعمل تعريفات واشتقاقات
لم تستعمل من قبل ، ناقلا في ذلك كله عن
سبقيه من البلاغيين والنقاد . وعرض للأسلوب
المعروف عند البلاغيين باسم الاستثناء أو المدح
بما يشبه الدم من مثل « على لا عيب فيه غير
أنه شجاع » وقد جعله من باب السلب
والإيجاب ، وكأنه يشير بذلك إلى السر في
المتاع الأدبي به وأنه يعود إلى مسحة من
التناقض تبدو في ظاهر التعبير .

ويعرض ابن رشد مرارا للكناية ويمثل
لها ، ومما عرض له الأمثال ومعروف أنها
تدخل في باب الاستعارة التمثيلية ، ويقول
إنها أدخل في باب الإقناع منها في باب التخيل
لأنها تقيس أحوالا حقيقية حاضرة على
أحوال حقيقية ماضية ، ويذكر من أمثالها
قول أبي فراس :
ونحن أناس لا توسط بيننا
لنا الصدر دون العالمين أو القيير

ويصطدم فيلسوف قرطبة بما جاء على لسان
أرسطو في كتاب الشعر من حديث عن
تسلسل التراجمي بحيث يكون لما فاتحة ووسط
ونخاتمة ويحاول أن يطبق ذلك على الشعر
العربي . ويلقاه ما يذكره أرسطو عن الربط
والحل في المأساة ، ويخال أن الربط ياتي
في قصيدة المديح العربية بالبيت الذي يتخاص
فيه الشاعر من النسيب أو وصف الصحراء إلى

المديح ، ويمثل لذلك بتخلصين بديعيين لأبي تمام والمنتبي ونكتني بما جاء عند الأول من تخلص في مديحه لأحمد بن أبي دواد :

عامي وعام العيس بين وديقة
مشجورة وتنوفة صيخود
هيات منها روضة محمود
حتى تساخ بأحمد المحمود

والعيس : الأبل ، والوديقة : الهاجرة . ومسجورة : موقدة . وتنوفة : فلاة وصيخود : محرقة يقول أبو تمام إن عامه وعام إبله كان عسفا في هاجرة متقدة وفلاة مهلكة ، وما كان أبعاده وأبعدها من النزول بديار الممدوح ورياضها الغناء . وهو تخلص بديع . ويقول ابن رشد إن هذا الربط أو هذا التخلص يكثر في أشعار العباسيين بينما يعتمد العرب قديما في الجاهلية والاسلام إلى الحل أو الخروج دون وصلة من النسب وغيره إلى المديح . ويلتقي عند أرسطو بكلمات كثيرة عن هوميروس والإلياذة والأودسا والشعر القصصي ، ويحاول أن يجسد لذلك مثلا في الشعر الجاهلي ، ويهديه بحثه إلى قصيدة للأسود بن يعفر ، يقول إنها من جيد ما في هذا المعنى للعرب ، وينشد منها خمسة أبيات يتحدث فيها الأسود عن فناء الدول والممالك الغابرة وهي من الشعر الغنائي . وكان الفياسوف القرطبي لم يفهم بوضوح ما يراد عند أرسطو بالشعر القصصي وشعر هوميروس .

ولكن مع كل ما فات ابن رشد من فهم هذه الجوانب وما يمثليها في كتاب الشعر فإنه نفذ في تضاعيف تعريبه إلى كثير من الأفكار البلاغية وخاصة فيما يتصل بالمشاهد المتكاملة للأحاسيس والأحوال النفسية والحقائق الواقعة . ولا تزال من أفكاره بقية طريقة تتصل بمراعاة النظر والغلو أو المبالغة . أما مراعاة النظر فإن البلاغيين قبله كانوا يعرضون أمثلة منه دون بيان لصوره وما يمكن أن يتوزعها من طرق مختلفة ، وعرف ابن رشد كيف يستنبط هذه الطرق ، وهي في رأيه أربعة : أحدها أن يأتي الشاعر بالشئ وشبيهه مثل الشمس والقمر ، وثانيها أن يأتي بالأضداد مثل الليل والنهار ، وثالثها أن يأتي بالشئ وما يستبدل فيه مثل القوس والسهم والفرس واللجام ، ورابعها أن يأتي بالأشياء المناسبة مثل الأشجار والأزهار والمياه . وكان حريا بالبلاغيين بعده أن يعرضوا هذه الطرق التي وضعها فيلسوف قرطبة لمراعاة النظر . وعلى ضوءها عرض مقالته بعض البلاغيين والنقاد عن فقد التناسب في بيتين لأبرياء القيس وآخرين للمنتبي ملاحظين أنه كان ينبغي وضع شطر البيت الثاني مع البيت الأول وشطر البيت الأول مع البيت الثاني ، ونكتني ببيتى المنتبي إذ يقول في مديح سيف الدولة وفتكه بالروم :

وقفت وما في الموت شك لو اقف
كأنك في جفني الردى وهو نائم

تمرُّ بك الأبطالُ ككلمى هزيمةٌ
ووجهك وضاحٌ وثرعك باسمٌ

فقد زعموا أن التناسب مفقود في شطري
كل بيت ، وكان التناسب يقتضى أن يكون
صدر البيت الأول صدرا للبيت الثانى ،
وصدر البيت الثانى صدراً للأول على هذا
النمط :

وقفت وما في الموت شك لواقف

ووجهك وضاح وثرعك باسم

تمرُّ بك الأبطال ككلمى هزيمة

كأنك في جفن الردى وهو نائم

ويعقب ابن رشد على ذلك بقوله :

« ماقاله أبو الطيب له وجه من التناسب »

ولم يوضح ابن رشد الوجه المشار إليه وكأنه

تركه للقارئ ليعود إلى ضوابط التناسب

ومراعاة النظر التي ذكرها آنفا ، ليلتمس

فيها الوجه المظنون ، وهو الإتيان بالشبيه

في البيت الأول إذ ذكر المتنبي مع الموت

النوم شبيهه والإتيان بالضد في البيت الثانى

إذ ذكر مع حزن المهزومين فرحة سيف

الدولة بالنصر الحاسم والتشابه والتضاد

وجهان قويمان من وجوه التناسب التي

ذكرها ابن رشد . وبالمثل رد زعم البلاغيين

والنقاد ازاء بيتى امرئ القيس قائلان ان

لقوله وجهها من التناسب .

وواضح مانفذ إليه بدقة نظره من

وضع الضوابط المحكمة للتناسب في التعبير

الأدبى ومراعاة النظر . أما الغلو أو
المبالغة ، فقد قرأ عند أرسطو أن أحداث
التراجيديا ينبغى أن تكون في حيز
الممكن ، فاندفع يهاجم المبالغة المفرطة
في الشعر مسمياً لها باسم الكذب ، ويقول
إن السوفسطائيين هم الذين يستخدمونها
وينبغى أن يتحاشاها الشعراء حتى
لا يخرجوا عن حدود المعقول في حقائق
الوجود ، ويقول إن هذا الغلو الكاذب
كثير في أشعار العرب والمحدثين ، ويضرب
لذلك أمثلة مختلفة من شعر بعض الجاهليين
ومن شعر المتنبي ، إذ يقول في مديح
كافور :

عدوئك مذموم بكل لسانٍ

ولو كان من أعدائك القمران

وفي نفس القصيدة يقول لكافور :

لو الفلكُ الدوارُ أبغضت سعيه

لعوقه شئ عن الدورانِ

فقد كان للمتنبي مندوحة عن مثل هذه
المبالغة المبعدة في الغلو بما يمكن أن يتخيله
العقل ويقبله ، أما أن يذم الشمس والقمر
من أجل كافور ، وأما أن يتصرف كافور
في الفلك حتى ليستطيع تعويقه عن الدوران
فان هذا تطرف في المبالغة . وكان المتنبي
بدونه يستطيع أن يمدح كافورا دون
أن يفرض هذا الإفراط الذى يردده العقل
ويدفعه .

ويرى الفيلسوف القرطبي أن أرسطو يقبل المبالغة في الشعر فيقول أنه إنما يقبل المبالغة التي تزدى إلى التخيل لا إلى الكذب وبذلك يجعل المبالغة قسمين مذمومة تخرج عن حجج المنطق ويراها العقل كالبيتين السابقين في مديح كافور، ومحمودة يقبلها العقل والمنطق في شيء من التجوز لما تثير، لا من الكذب، وإنما من التخيل الطريف الذي تستسيغه العقول وتجد فيه متاعا وجمالا ، ويمثل له ابن رشد بقول المتنبي متعجبا من قدوم رسول الروم على سيف الدولة :

وَأَنَّى اهْتَدَى هَذَا الرَّسُولُ بِأَرْضِهِ
وَمَا سَكَنْتُ—مُسْتَسْرَتٍ فِيهَا—الْقَسَاطِيلِ

ومن أى ماء كان يسقى جياده
ولم تصف من مزج الدماء المناهل

القساطل : غبار الحرب . والمناهل : موارد المياه . والمتنبي يعجب من أن رسول الروم أو سنيرهم لم يضل في مسالك بلاده من آسيا الصغرى وقد ملأها جنود سيف الدولة بغبار الحرب الكثيف الذي غطاها بما يشبه الظلام حتى لا يمكن لراكب فيها أن يتبين طريقه، ويزداد عجبه أن يرى جيادا ونخيلا مع سفير الروم وقد امتزجت مياه المناهل في كل منزل نزله بدماء القتلى من قومه وأشلائهم . وإنه ليتساءل مذهولا : من أين يسقى هذا السفير نخيله . وهى مبالغات حقا ولكنها تقوم على أصل صحيح

من الحقيقة لما كان ينزله سيف الدولة وجنوده بالروم من فتك وسفك للدماء مابعده سفك . ويمثل الفيلسوف القرطبي للغلو المحمود ببيتين آخرين للمتنبي إذ يقول في نسوة حسان متغزلا :

لَبِسْنَ الْوَشْيَ لَا مُتَجَمِّلات
ولكن كى يصن به الجمالا
وضفرون الغدائر لا لحسن

ولكن خفن في الشعر الضلالا
والمتنبي يقول إن هؤلاء النسوة القاتنات لبسن الثياب الحريرية الموشاة لاطلبا لحسن أو لتجمل ، وإنما لكي يصن به الجمال الذى منحهن الله ويحفظنه من عيون الناظرين وقد نسجن الغدائر أو الضفائر لاطلبا للمزيد من إضفاء الحسن عليهن ، وإنما لأنهن خفن ، لسواد شعرهن سوادا لا يماثله سواد ، أنهن لو أرسلنه ولم يجمعنه في غدائرن وذوائهن لأضاف إلى الليل سوادا وظلاما بعضه فوق بعض ، مما يخيفهن من الضلال فيه . وكل ذلك غلو بعيد ولكن له أصلا من الواقع سوغ للمتنبي هذا الإغراق في الغلو ، فهن جميلات حقا وشعرهن أسود فاحم حقا ، والمتنبي يغلو ، ولكنه غلو يعتمد على الحقيقة وهو فيه لا يخرج إلى استحالة ولا إلى معان ممتعة ، إذ يستمد في غلوه وتخييه من الممكن الذى يجوز في العقول ولا يمتنع .

شوقى ضيف
عضو المجمع

وقفات الشعراء بالأطلال

للكتور احمد راكوفى

(١) لماذا احتفوا بها ؟

بعد ما أضفت عليه الحبيبة حياة وجمالا ،
فقد تناوبته الرياح والأمطار فلم يبق منه
إلا أطلال ورسوم لكنها كالعنوان من
الكتاب المرقوم ، أليس من حق هذه
الأطلال أن يعزها الشاعر ، وأن يقف بها
وأن يطوف من حولها ؟

بلى ، وقد وقف واستوقف ، وبكى
واستبكى ، ونطق واستنطق .

وإذا كانت الحبيبة هي المثير الطبيعي
لعاطفة الحب فإن الأطلال هي المثير
المقارن أو (الصناعى) ، وتفسير ذلك كما
يقرر علم النفس أن الحبيبة بعيدة عن الشاعر
فديارها حلت محلها في إثارة عاطفة حبها ،
فلما ثارت هذه العاطفة أقبل الحب على
الحدران يقبلها ، لأن الديار وجدراؤها
هي المثير الصناعى ، والذي سوغ ذلك
أن الحبيبة كانت تسكن تلك الديار ،
فاقترنت الديار بها حتى صارت الحبيبة
وديارها وحدة متماسكة) ، فإذا كان
جزء قد ارتحل فإن الجزء الآخر قد
حل محله ؟

شعرنا العربي القديم وما
بعده حفاوة بالأطلال ،
ووقفات حيا لها ، وبخاصة

فى

فى الشعر الجاهلى ، حتى ليكاد يكون الغزل
الطللى سمة من سماته .

وقد سارع بعض المولعين بالعيب إلى
التهوين من شأن هذه الوقفات ، بل إلى
السخرية منها والاستهزاء بالشعراء الواقفين
أمام الأطلال ؟

ولو تأنى هؤلاء العيابون لامتدحوا
أولئك الشعراء وأنصفوهم وأضفوا عليهم
حلا من الوفاء .

نعم ، هنا كانت الحبيبة تقيم ، وإلى هنا
كان قلب الشاعر يخفق ، ونظره يمتد ،
ونخيله يحوم ، وربما كان هنا لقاء ومناجاة
ومناغاة ورجاء ووصل . ومن هنا ظننت
الحبيبة فى بكرة مشقية مبكية .

هنا كان الحب ، وهنا كان الحبيب ،
ثم قضت حياة الانتجاع أن يعطل المنزل
الذى كان خاليا ، وأن يتفر المكان الذى
كان خصبا موحيا ، فيعود إلى طبيعته جمادا

ولهذا أضافوا الأطلال إلى اسم المحبوبة
لأنهما مقترنان اقترانا معنويًا في ذهن الشاعر
وقد كانا مقترنين اقترانا محسوسًا من قبل ،
قال امرؤ القيس :

يادار معاوية بالحائل

فالسَّهْبُ فالخبتين من عاقل

وقال طرفة :

لِحَوْلَةِ أَطْلَالٍ بِرَقَّةٍ تَسْهَدُ

تلوح كباتي الوشم في ظاهر اليد

وقال زهير :

أَمِينٌ أَوْ فِي دِمْنَةٍ لَمْ تَكَلِّمْ

بِحَوْمانَةِ الدَّرَاجِ فَالْمُتَشَامِّمِ

ويشبه هذا ما جاء في الشعر الأوربي
إذ لم ينفرد شعراء العربية بوقفاتهم على
الأطلال ، فقد شابههم بعض شعراء
الغرب في مثل هذه الوقفات وإن لم تكن على
أطلال ، بل كانت على بحيرات .

نعم ، وقف لامرتين على بحيرة بورجيه
وكذلك وقف روسونى قصته (هلواز
الحديدة) وفي (أحلام متنزه وحيد) ،
ووقف فكتور هيجو في قصيدته (أحزان
أوليمبيو) ووقف ألفريد دي موسيه في
قصيدته (الذكرى) ، ولبيرون قصيدة
على بحيرة (ليمان) تحسر فيها على حبه
الذى انقضى ، وتذكر أنغام محبوبته على
خرير مياه البحيرة .

وليس المقام مقام موازنة بين الأدبين
ولكن قراءتهما توضح أن الأطلال والبحيرات
وما يشبهها تشترك في أنها المثير المقارن
لعاطفة الحب ، وأنها تبعث في نفس الشاعر
ذكرى سعادته الماضية ، وحسرتة على نعيم
لن يعود ، والأطلال والبحيرات عزيزة
على الشاعر ، لأنها متصلة بحبه اتصالاً
ينحوله أن يتمثل الطلل أو البحيرة إنساناً
حيّاً عزيزاً يناجيه ويستخبره ، ويثثه ما به
من شوق وحنين ووجد ولهفة .

(٢) عنايتهم بتحديداتها

لم يكتب الشعراء بذكر الأطلال مقترنة
باسم الحبيبة ، بل حددوا مواقعها تحديداً
دقيقاً كأنما يرسمونها على الورق ، أو
كأنهم جغرافيون يخطون الخرائط والبلدان
ولعل سبب هذا تخوفهم من أن تمحوها
عوادي الطبيعة ، لأنها ليست دوراً مشيدة
ولكنها آثار قوم رحل ضربوا خيامهم ،
ثم ارتحلوا ، وتركوا نؤيا وأحجاراً وآثاراً
تعنى عليها الرياح والرمال والسيول ، وهم
يودون أن تبقى تصورههم .

حدد امرؤ القيس الطلل من جهاته الأربع
في قوله :

قِفَا نَبْكَ مِنْ ذَكَرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ

بِسَقِطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمِ

فَتَوْضِحِ فَالْمِضْرَاةِ لَمْ يَعْفُ رَسْسُهَا

لما نسجتها من جنوب وشمأل

وقفات الشعراء بالأطلال

للدكتور أحمد المحموني

(١) لماذا احتفوا بها ؟

بعد ما أضفت عليه الحبيبة حياة وجمالا ،
فقد تناوبته الرياح والأمطار فلم يبق منه
إلا أطلال ورسوم لكنها كالعنوان من
الكتاب المرقوم ، أليس من حق هذه
الأطلال أن يعزها الشاعر ، وأن يقف بها
وأن يطوف من حولها ؟

بلى ، وقد وقف واستوقف ، وبكى
واستبكى ، ونطق واستنطق .

وإذا كانت الحبيبة هي المثير الطبيعي
لعاطفة الحب فإن الأطلال هي المثير
المقارن أو (الصناعي ، وتفسير ذلك كما
يقرر عالم النفس أن الحبيبة بعيدة عن الشاعر
فديارها حلت محلها في إثارة عاطفة حبه ،
فلما ثارت هذه العاطفة أقبل المحب على
الجدران يقبلها ، لأن الديار وجدرانها
هي المثير الصناعي ، والذي سوغ ذلك
أن الحبيبة كانت تسكن تلك الديار ،
فاقترنت الديار بها حتى صارت الحبيبة
وديوارها وحدة متماسكة) ، فإذا كان
جزء قد ارتحل فإن الجزء الآخر قد
حل محله .

شعرنا العربي القديم وما
بعده حفاوة بالأطلال ،
ووقفات حياها ، وبخاصة

في

في الشعر الجاهلي ، حتى ليكاد يكون الغزل
الطللي سمة من سماته .

وقد سارع بعض المولعين بالعبث إلى
التهوين من شأن هذه الوقفات ، بل إلى
السخرية منها والاستهزاء بالشعراء الواقفين
أمام الأطلال .

ولو تأني هؤلاء العيابون لامتدحوا
أولئك الشعراء وأنصفوهم وأضفوا عليهم
حللا من الوفاء .

نعم ، هنا كانت الحبيبة تقيم ، وإلى هنا
كان قلب الشاعر يخفق ، ونظيره يمتد ،
وخياله يحوم ، وربما كان هنا لقاء ومناجاة
ومناغاة ورجاء ووصل . ومن هنا ظننت
الحبيبة في بكرة مشقية مبكية .

هنا كان الحب ، وهنا كان الحبيب ،
ثم قضت حياة الانتجاع أن يعطل المنزل
الذي كان خاليا ، وأن يتفقر المكان الذي
كان خصبا موحيا ، فيعود إلى طبيعته جمادا

ولهذا أضافوا الأطلال إلى اسم المحبوبة
لأنهما مقترنان اقترانا معنويًا في ذهن الشاعر
وقد كانا مقترنين اقترانا محسوسًا من قبل ،
قال امرؤ القيس :

يادار معاوية بالحائل

فالسَّهْبُ فالخبتين من عاقل

وقال طرفة :

لخيرة أطلالٍ بهرقة شهيد

تلوح كباتي الوشم في ظاهر اليد

وقال زهير :

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم

بحومانة الدراج فالشمس

ويشبه هذا ما جاء في الشعر الأوربي
إذ لم ينفرد شعراء العربية بوقفاتهم على
الأطلال ، فقد شابههم بعض شعراء
الغرب في مثل هذه الوقفات وإن لم تكن على
أطلال ، بل كانت على بحيرات .

نعم ، وقف لامرتين على بحيرة بورجيه
وكذلك وقف روسوفى قصته (هلواز
الحديدة) وفي (أحلام متنزه وحيد) ،
ووقف فكتور هيجو في قصيدته (أحزان
أوليمبيو) ووقف ألفريد دي موسيه في
قصيدته (الذكرى) ، ولبيرون قصيدة
على بحيرة (ليمان) تحسر فيها على حبه
الذي انقضى ، وتذكر أنغام محبوبته على
خريف مياه البحيرة .

وليس المقام مقام موازنة بين الأدبين
ولكن قراءتهما توضح أن الأطلال والبحيرات
وما يشبهها تشترك في أنها المثير المقارن
لعاطفة الحب ، وأنها تبعث في نفس الشاعر
ذكرى سعادته الماضية ، وحسرتة على نعيم
لن يعود ، والأطلال والبحيرات عزيزة
على الشاعر ، لأنها متصلة بحبه اتصالاً
ينحوله أن يتمثل الطلل أو البحيرة إنساناً
حيّاً عزيزاً يناجيه ويستخبره ، ويثثه ما به
من شوق وحنين ووجد ولهفة .

(٢) عنايتهم بتحديداتها

لم يكتب الشعراء بذكر الأطلال مقترنة
باسم الحبيبة ، بل حددوا مواقعها تحديداً
دقيقاً كأنما يرسمونها على الورق ، أو
كأنهم جغرافيون يخطون الخرائط والبلدان
ولعل سبب هذا تخوفهم من أن تمحوها
عوادي الطبيعة ، لأنها ليست دوراً مشيدة
ولكنها آثار قوم رحل ضربوا خيامهم ،
ثم ارتحلوا ، وتركوا نؤيا وأحجاراً وآثاراً
تعنى عليها الرياح والرمل والسيول ، وهم
يودون أن تبقى تصورهم .

حدد امرؤ القيس الطلل من جهاته الأربع
في قوله :

قِفَا نَبْكَ مِنْ ذَكَرِي حَبِيبٍ وَمَنْزَلٍ
بِسَقِطِ اللَّوِيِّ بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلٍ
فَتَوَضَّحَ فَاَلْمِيفْرَاةَ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا
لَمَّا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالٍ

وقال زهير إنّ الدمنة صارت مرعى
للبقير الوحشى والظباء ، أسراباً يتبع
صغارها كبارها ، ويمشى بعضها فى اتجاه
وبعضها فى اتجاه آخر ، وبين الفينة والفينة
تنهض صغار من مراقدها بأمهاتها :

بها العين والآرام يمشين خلفه
وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم
وصورها الأنخس بن شهاب مسرحاً للنعام
يمشى متمهلاً متثاقلاً :

تظل بها ربد النعام كأنها
أما تزجى بالعشى حواطب
وقال المرقش الأكبر لها قد خلت من سكانها ،
وليس بها إلا أبقار الوحش ترعى فى دعة ،
وتمشى مختالة كالفرس فى قلانسهم ؛

أمست خلاء بعد سكانها
مقفرة ما إن بها من ارم
إلا من العين ترعى بها
كالفارسيين مشوا فى الكمم

(٤) الأطلال من الوجهة الفنية

إذا كان بعض الشعراء قد تأنق فى
تصوير أسراب الحيوان التى ترعى بالأطلال
فإن آخرين افتنوا فى تصويرها ، إذ

وقال زهير :

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم

بحومانة الدراج فالمتسلم

وكذلك حدد لييد والحارث بن حازة
والنابغة الذبياني وعبيد بن الأبرص وغيرهم .

(٣) معالمها الباقية

وماذا تبقى فى الصحراء من آثار قوم
رحل ؟

تبقى نوى وأحجار وأثافي ورمال ودخان
يصبغ الأحجار ، وتبقى آثار للحيوان .
لكن هذه البقايا عميقة الأثر فى نفس
الشاعر ، لأنها مرتبطة بحبه ، فليست
جمادات وإنما هى أحياء ذوات معان
ودلالات ، قال الخليل السعدى :

وأرى لها داراً بأغدره السيب

مدان لم يدرس لها رسم

إلا رمادا هامدا دفعت

عنه الرياح نحو الدسحم

وبقية النوى الذى رفعت

أعضاده فتوى له جذم^(١)

ومثل هذا نجد عند عميرة بن جعل
وأعشى طرود والمرقش الأكبر وغيرهم

(١) أغدره : غدران . السيدان : أرض لبي سعد . لم يدرس لها رسم : لم يذهب أثرها كله . هامداً : خامداً .
خوالد : بواقي والمراد أثافي التدور . سحم : سود . نوى حفيرة تحفر حول الخيمة لتحميها من السيل . أعضاده :
جوانبه . جذم : أصل .

شبهوها بالوشم ، وبالطراز الموشى ،
بالوشى وبالكتابة .

وشبهها قيس بن الخطيم بالثوب المذهب :
أُتِعرف رسماً كالطراز المذهب .

لعمره وحشا غير موقف راكب

ولقد أكثر الشعراء من تشبيه هذه
الآثار وتوجاتها والخطوط المنتظمة التي
تصنعها الرياح فيها بالكتابة وبالصحف
المكتوبة .

قال المرقش الأكبر :

الدارُ فقرٌ والرسومُ كما

رُقشٌ في ظهرِ الأديمِ قلمٌ

وقال الأنخس بن شهاب :

لابنة حطان بن عوف منازل

كما رُقش العنوان في الرق كاتب

وقال حاتم الطائي :

أُتِعرف أطلالا ونؤيا مهديا

كخطك في رق كتابا منمنما

وكذلك صورها معاوية بن مالك بن جعفر
وامرؤ القيس وطرفة وثعلبة بن عمرو
العبدى :

وهذه الكثرة من التشبيه كقيلة بدعوتنا
إلى تصحيح نظرنا للعصر الجاهلي .
فلم تكن الكتابة مجهولة للعرب تلك الجهالة
التي تحكى عنهم ، لأن هذا الفيض من
التشبيه بالكتابة وبالورق وبالقلم وبالمداد
والأسطر ينبىء عن معرفة بها عند الشعراء
المشبهين : وبخاصة أننا نجد في بعض هذه

وأسارع فأذكر أن هذا التشبيه ليس
قائماً على الشكل والمظهر فحسب ، ولكنه
قائم أيضاً على علاقة نفسية ، لأن الشاعر
يتذكر حبيته ويستغرق في ذكراها وهو
واقف بآثارها ، فأسرع الصور إلى ذهنه
ما يتصل بالحبوبة من قريب أو من بعيد .

هو يرى الرمال موجتها الرياح ،
وتناثرت بها الآثار ، ونبتت بها الأعشاب
الخصر ، فيشبهها بالوشم ، والوشم من حلى
الحبيبة وضروب تجملها ، وهو يرى هذا
المنظر فيشبهه بالوشى وبالطراز الموشى ،
وهما من ملابس الحبوبة .

شبه زهير الأطلال بالوشم في قوله :

ودار لها بالرقمتين كأنها

مراجيع وشم في نواشر معصم

وشبهها معن بن أوس بالوشم على المعصم
الجميل :

يا لوح وقد عفى منزله البلى

كما لاح فوق المعصم الحسن الوشم

وارتبطت في خيال طرفة بن العبد بثوب
جميل زخرفته أهل ريدة وأهل سحول :

وبالسفح آيات كأن رسومها

يمان وشته ريدة وسحول

التشبيهات دقيقة وتفصيلا يدلان على خبرة الشاعر بالكتابة وممارسته لها .

وحسبي في هذا المجال أن أذكر عدى ابن زيد العبادي ولقيط بن يعمر الأيادي وسويد بن الصامت الأوسى وعبد الله ابن رواحة والربيع بن زياد العبسي والمرقش الأكبر وأناه حرملة وكعب بن مالك الأنصاري والزبرقان بن بدر وكعبا وبجيرا ابني زهير ولييد العامري والحارث بن حلزة والبعيث بن حريث .

(٥) الأطلال بعد الجاهلية

لم ينفك كثير من الشعراء يفتتحون بعض قصيدهم بالوقوف على الأطلال في كل عصر ، كالبحتري وأبي نواس وابن الخياط وأبي تمام والمتنبي والبارودي وغيرهم . وحسبنا أن نذكر من العصر الإسلامي قول عمر بن أبي ربيعة :

لمن الديار رسومها قفر

لعبت بها الأرواح والقطر

ومن العصر العباسي قول أبي نواس مع أنه كان من الساخرين بالغزل الطللي ومن بكاء الأطلال :

لقد طال في رسم الديار بكائي

وقد طال تردادي بها وعنائي

وقول البحتري :

وقوفك في أطلالهم وسؤالها

يريك غروب الدمع كيف أنهما لها

فإذا ما قفزنا إلى العصر الحديث وجدنا

أثارة من بكاء الأطلال والوقوف بها

وذكرها على أنها رموز إلى عهود مضت

وإلى وفاء باق ، وعلى أنها ينبوع للذكرى

كقول البارودي :

ألا حى من أسماء رسم المنازل

وإن هى لم ترجع بيانا لسائل

وقول شوقي معللا بما لم يسبقه إليه شاعر :

أنادى الرسم لو ملك الجوابا

وأجزيه بدمعى لو أثابا

وقل لحقه العبرات تجرى

وإن كانت سواد القلب ذابا

لها حق وللأحباب حق

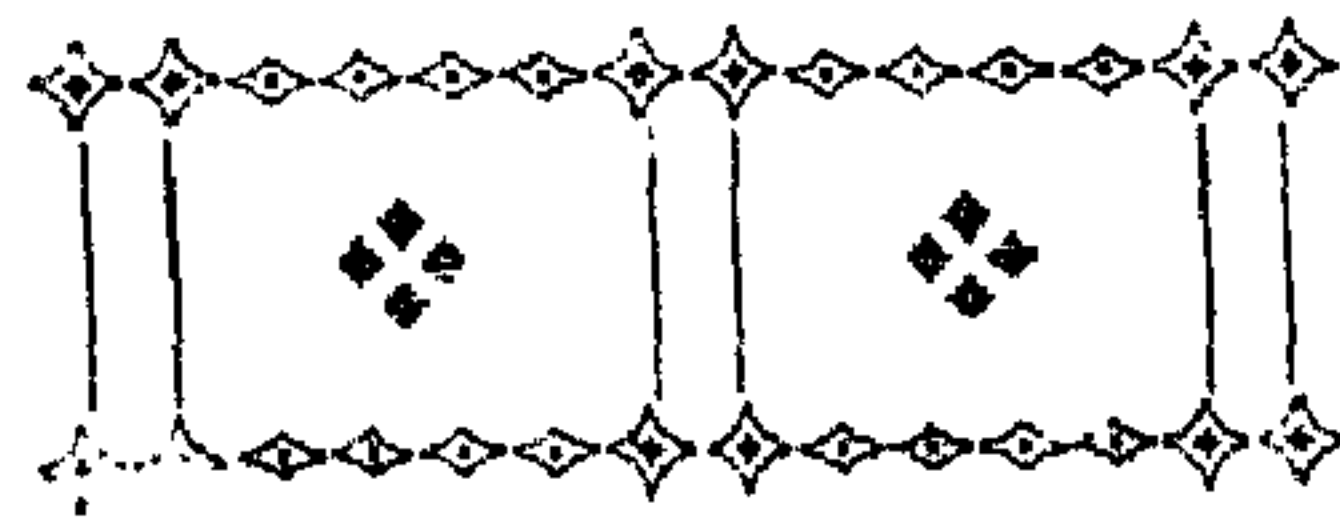
رشفت وصالحهم فيها صبابا

ومن شكر المناجم محسنات

إذا التبر انجلى شكر الترابا

أحمد الحوفي

عضو المجمع



من التراث المجمعى

سأل "أخذ" من معجم فيشر تقديم وعرض: الأستاذ محمد حرقى أمين

في معجمه التاريخي الذي اشتهر باسم «معجم فيشر» ، وقد بقيت على حالها مطوية منذ سنة ١٩٣٦ م ، لم تشتمل عليها من قبل وثائق المجمع المطبوعة .

ولهذه الأوراق قصة وتاريخ :

١- كان من بين الفوج الأول من أعضاء المجمع - عند افتتاحه سنة ١٩٣٤م الدكتور « أوجبت فيشر » ، وهو حجة في اللغات الشرقية من عربية وعبرية وسريانية وحبشية وفارسية وغيرها ، وقد عرض في اجتماع المستشرقين الألمان سنة ١٩٠٧م فكرة تأليف معجم للغة العربية الفصحى يتناول تاريخ كل كلمة ، مبتدئا بالكتابة المنقوشة من القرن الرابع الميلادي ، منتهيا بالقرن الثالث الهجري ، على أن تستخرج الكلمات من المتون في الكتب والكتابة المنقوشة والمخطوطات على أوراق البردي وعلى النقود ، لكي يمكن تحديد عمر الكلمة ومعناها وتركيبها وظل مجتهدا في جمع مادة

من التراث أن يكون عن راحل مضت به ركائب الأيام ، فكيف أسمى ما أقدمه اليوم تراثا مجمعا ، على حين أن المجمع - طال عمره - قائم حتى ، بل إن أعضائه - وإن مضوا - يسمون : الخالدين.

لا بأس بأن نطابق اسم التراث على ما يتصل بالمجمع من آثار علمية ، في عهد تقدمت وتقدمت ، إذا لم تكن على أعين الناس ، من ظاهر أعماله ، فيما يتداولون من منشوراته : : إنها إذن تراث ماض وعزيز ٥

هذه أوراق نبعثها اليوم من مرقدنا وقد لبثت فيه سنين ، ذرفت على الأربعين فهي من أتراب المجمع ولداته ، إن صح التعبير ، عاصرته في نشأته الأولى ، مع الفوج الأول ، من أعضائه الأولين .

هي أوراق مخطوطة ، كتبها بيده المستشرق الألماني الكبير الدكتور « أوجبت فيشر » وضمنها الثلث الأول من مادة «أخذ»

هذا المعجم عشرات السنين ، حتى اختير
عضواً في مجمع القاهرة ، كما أسلفنا القول .

٢ - ولما كان مرسوم إنشاء المجمع قد
نص على أن يكون من أغراضه القيام
بوضع معجم تاريخي للغة العربية ، فقد
ألف لذلك لجنة خاصة ، وفي سنة ١٩٣٥م
في أثناء انعقاد الدورة الثانية - نظرت اللجنة
في تقرير للدكتور فيشر أحد أعضائها حول
نظام مفصل لتأليف المعجم التاريخي ، فاقترح
أحد الأعضاء وهو الأستاذ ناينو، المستشرق
الإيطالي - أن ينتفع المجمع بعمل الدكتور
فيشر في معجمه ، لاختصار الوقت والجهد
وذلك بطبع «معجم فيشر» تحت إشرافه
على نفقة الدولة .

وفي مفتح الدورة الثالثة سنة ١٩٣٦م
تضمنت خطبة رئيس المجمع المرحوم
محمد توفيق رفعت أن الدكتور فيشر
رأى إيثاراً لمشرق العربية وترجماتها الحق
في هذا الزمان ، أن ينخص مصر بمعجمه ،
ليطبع فيها باسمه ، فيهبه لمجمعها هبة الكريم ،
وأنه سيقدم منه نموذجاً يعرض على
أعضاء المجمع ، فكان هذا النموذج
هو الثالث الأول من مادة «أخذ» مشفوعاً
بمراجعته ورموزه ودليل المراجعة ، وهو
موضوع هذا المقال .

٣ - وحين عرض النموذج على لجنة ألفت
للبحث في شأنه ، قدم رئيس المجمع اقتراحاً
بأن يطبع المعجم ، وأن يتولى الدكتور

فيشر تصحيحه بمصر ، على أن يحل ما يردده
من استدراقات الأعضاء محل النظر
والتقدير ، وأن يعاونه من أعضاء المجمع
من يتفق الرئيس معهم .

ونوقش الاقتراح في جلسة للمجمع ،
فوافقت عليه غالبية الأعضاء ، وعارض
فيه من عارض ، وامتنع من إبداء الرأي
من امتنع . وإن المتبع للمناقشات حول
المعجم ونموذجه ليتبين له أنه قد أبدت
عليه ملاحظات ، وافترقت فيه آراء .

كان من رأى الشيخ إبراهيم حمروش
أن استدراقات الأعضاء قد لا يعمل بها ،
وماذا يكون الأمر حين يغض الطرف عنها؟
وإن إقرار المجمع لطبع المعجم التزام بصحة
ما فيه . وإن في المعجم تفصيلاً لا حاجة
إلى الكثير منه ، فهناك معان متداخلة
لا متغايرة ، ولا يصح جعلها فصولاً قائمة
بذاتها ، فليس بصواب أن يكون الأخذ
في الحرب فصلاً من معاني «أخذ» ، ومن
خلاف الصواب اعتبار أخذ بمعنى «نوم»
في قوله تعالى « لا تأخذه سنة ولا نوم »
وإنما المعنى : لا تغلبه :

وكان من رأى الأستاذ أحمد العوامري
أن هناك ملاحظات عامة يجب استخلاصها
وإظهار المؤلف عليها ، حتى يعدل بها
فهناك شواهد لا تؤدي معنى جديداً ، فيحسن
حذفها ، وهناك شواهد مقتضبة لا يفهم
المراد منها إلا بالرجوع إلى أصولها ، وهناك

ألفاظ غريبة وأعلام غير مشهورة فيحسن تفسيرها .

وكان من رأى الأستاذ أحمد الإسكندري أن هناك شواهد لاداعية إليها ، واستشهادات على أفعال قياسية ، وأن ثمة مسألة ذات بال ، وهى أن النموذج لم يذكر إلا الشواهد على المعانى الأصلية ، ولم يميز بين الحقيقة ، والمجاز ، ولو فرّق بين استعمالات الكلمات فى أقوال الشعراء لكان له الشأن العظيم .

وقال الشيخ عبد القادر المغربى إن من أمثلة ما تجب ملاحظته النقط الدينية ، مثل ذكر حديث « إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » فى معانى «أخذ» الحقيقية ، وبدهى أن أخذ الله للظالم ليس من باب الحقيقة فى شىء ، وإنما هو مجاز أو كناية عن الاستيلاء .

أما الأستاذ على الحارم فكان رأيه أن تفصيل المعانى المتداخلة تبين لاختلاف الأساليب ، والمعجمات غير العربية تعنى بذلك كل العناية ، فتفصيل بين أخذ الكتاب وأخذ الأسير وأخذ الرأى مثلاً ، فإذا أخذنا بهذا النسق فتحنا أبواب اللغة للناس ، وسهلنا عليهم تذوق الألفاظ فى أحسن مواقعها فى الاستعمال .

وقال الأستاذ ماسنيون : إن النموذج يذكر شواهد النادر والغريب وغيرهما . فيثبت أقدم شاهد للمعنى المشروح ، والمعجم

الذى يؤرخ للكلمات ومعانيها يجب أن يعنى بإثبات الشواهد القديمة عليها ، سواء أكانت معروفة ظاهرة أم كانت من الغريب المجهول ، واللجنة المؤلفة لمعاونة الأستاذ فيشر ستبدى له آراءها ، وحبه للصواب سيغريه بدرس تلك الآراء ، ولكن هذا لا يسلبه حقه فى اختيار ما يراه من ناحية الترتيب والتهذيب ، والفصل بين أصول المعانى وفروعها ، والتفرقة بين الحقائق وعوارضها فذلك كله موكول إليه ، لا تريده اللجنة على شىء منه .

وقال الأستاذ نلينو اجل الأستاذ فيشر لا يوافق على المعاونة إذا كان معناها إلزامه التغيير والتبديل ، فهو المسئول عن نظام معجمه ، بيد أنه بالضرورة يتقبل المقترحات تقبل النصيحة لا تقبل الأمر .

٤ - وتنفيذا للقرار المحمى السالف الذكر أصدر رئيس الجمع قرارا بتأليف اللجنة التى يعهد إليها معاونة الدكتور فيشر فى مراجعة معجمه ، عند تقديمه للطبع . ولكن القرار وقد صدر سنة ١٩٣٦ م - ظل معلما غير معمول به حتى سنة ١٩٣٨ م - وربما كان فى المناقشات التى أجعلنا طرفا منها سر هذا التعليق .

على أن الدكتور فيشر أوشك فى سنة ١٩٣٨ م أن يقدم الجزء الأول من معجمه للطبع فلما عرض ذلك على الجمع ، تقرر إعفاء لجنة المعاونة من مهمتها ، وترك أمر المعجم لمؤلفه ، يطبع باسمه ، وعليه تبعته .

وهكذا مضى الدكتور فيشر في عمله في المعجم ، مستقلاً به ، وما هي إلا أن نشبت الحرب العالمية ، فحالت بينه وبين العودة إلى القاهرة ، وكان قد غادرها صيفاً ، وبذلك تعذر مواصلة العمل في المعجم ، بعد أن أعد الدكتور فيشر مقدمته والجزء الأول منه ، حتى آخر مادة «أبد» وراجع بعض تجارب الطبع .

وفي سنة ١٩٤٩ م توفي الدكتور فيشر ، فعرض رئيس لمجمع اقتراحاً بأن يطبع هذا القدر الذي تمثّل فيه طريقة المؤلف ومنهجه وبيان مراجعته ، كما يحتوي النموذج الواضح لمواد المعجم وأساليب صياغتها وتفصيل معانيها ، فهو بذلك صورة صحيحة للنحو الذي كان يريد المؤلف أن يخرج عليه معجمه ، ولا يعوزه إلا ما عساه يعن أثناء المراجعة .

وما لبث المجمع أن وافق على هذا الاقتراح فأخرج المجمع ذلك القدر مطبوعاً مرتين .

وفيما يلي مراجع هذا التقديم والعرض :

- ١ - محاضر مجمع اللغة العربية بالقاهرة :
- الدورة ٢ - الجلسات ١٦ ، ٣٣ ، ٣٥
- الدورة ٣ - الجلسات ١ ، ٢ ، ٨ ، ١٢
- الدورة ٥ - الجلسة ١٢
- الدورة ٧ - الجلسة ١
- الدورة ١٦ - الجلسة ٢

٥ - وإذا نحن عنينا اليوم بهذه الأوراق التي تحوى الثلث الأول من مادة «أخذ» وما يتصل بها من المراجع والرموز ودليل المراجعة ، وعمدنا إلى أن نبعثها من مرقدتها خلال عشرات السنين ، فإنما ذلك :
أولاً - لأنها تعد مثلاً محرراً ارتضاه صاحبه مستخلصاً من جزازات معجمه .

وثانياً - لأنها كانت فاتحة الاطلاع على منهج هذا المعجم التاريخي الذي عرض أمره على مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، فوافق على طبعه باسم مؤلفه .

وثالثاً - لأنها كانت كذلك مثلاً ومحوراً لمناقشات الأعضاء المحجميين حول هذا المعجم الجديد في منهجه وأسلوبه ، وفي ضوء هذه المناقشات تتجلى صورة واضحة لقيمة المعجم التاريخي ووزنه وطراره في تقدير نخبة من علماء اللغة المعاصرين .

محمد شوقي أمين
عضو المجمع

- ٢ - مرسوم إنشاء المجمع .
- ٣ - مقدمة المطبوع من معجم فيشر .
- ٤ - نسخة القرارات العامة للمجمع .
- ٥ - كتاب «المجمعيون» .

١٢٦٠٢/٢٤ (ختم) إذا أرسلت كلبك وستت ملاه وعل.

لم يفتت. - عمر ١٤٠٤. كلفهم ثمانون * أت يأخذوك. - العسكر ج ١٠١٢/٢١ والبيدانه ج ١٢٥٢٢/١: أخذوا أخذ سبعة. - وكذلك القراة ٤٠٢١ و ٤٠٥١. - القحيف ٥٠٢١. - صجر الحديث ٢٢٠٢/٢٥ (دس) ١٠٢/٢٤ (حمر). - البيدانه ج ٤٠٢٢/١. ج ٤٠٥٦/١. - المنتبه ١٢٠٩١. و. و.

وقد تعقه أخذ هذه البار فيقال «أخذ بشره». - رصد تحت. ٢ حاز شيئاً

To get into one's hand, appropriate. || Appropriation.

تسبب الفخليات ١٧٠٥: فلم تظلم بأخذك ما تشاء. - البديع ج ٣٠١/١٥٤١: أسكوا علينا الصيغ في قبض على شيء في الحرب غنمه ما أخذتم من أرضنا ووقبوا ما أخذتم.

To seize, capture in war (booty). || S'emparer, se rendre de po à la guerre

ش: القراة ١٥٠٤١: إذا أطلقتم إلى مغانير لنا أخذوها. - ٨١/٤١. ومغانير كثيرة يأخذونها: ٢٠: ومككم الله مغانير كثيرة تأخذونها. - الأعرس ٦٠٢٦: ليعودت ليعد عكرتها * ذلك الليل وتأخذ البطح. - ذوالرسته ٥٤٠٥: فهاش * أخذنا أمها يوم داء نأسل. - حاسة الب ٧٠٢٢: حتى نجوت وكنا يأخذوا سلب. - الطبر ٢٠١/١٩٠٢: وأخذوا لبيد مائة بدين أموال. و. و. ٥ أسر شخصاً سبأه

To take captive, make prisoner. || Faire prisonnier.

ش: القراة ٥٠٩: فأقتلوا المشركين حيث وجدتهم ونحوهم. - ١١٩٠٤: فأت مولوا فذوهم وأقتلهم حيث وجدتهم. - ٩١٠٤: فخذوهم وأقتلهم حيث تقتلهم. - عشرين ٤٠٥: إن يأخذوك تعلق وتخصب. - ١٠٥: إن يأخذون غنمهم * أقرت إلى شرب الرقاب وأجيب. - ٢١ (العلقة) ٤٠: فأنس * طبت بأخذ الفارس المسلمين. - الأغانى ج ١٠١/١: إن تأخذوا أساء توفيت ساعة * فما أخذ ليلى وهن حذراء أجبب: ١٠: كما أخذنا حسناء كزفا (ان صر ١١٠٥٩ و ٦٠١١). - البر ٥٠٦٤٤: أخذت كبريات وأبيدت رجلداً. - وكذلك الثلث ١١٠٦. - الخساء ١٢٠١/١٨. - المنتبه ١٥٠٢٥. - ابن سعد ج ١٧٠٢٠٢٠٢. ج ١٤٠١٤٠١. ج ١٢٠٤٠٢. و. و. ٢ صاده أسر (حيواناً برياً)

To catch, capture (a wild beast). || Prendre, attraper (un animal sauvage)

الظرف في قفا العرقة !!

كُذِّبَ بَشَرٌ ظَلَمًا أَوْ غَضَبًا

« Take property wrongfully or by violence. » *Maandré de la propriété / iniquement ou de vive force*

نداء الفرات ١٦٦٢: وَلَا يُبْرَأ لَكُمْ أَنْ تَأْتُوا مَا اسْتَوْجَبْتُمْ نَسْتًا - ن ٤٥٥: وَلَا
تَأْتُوا مِنْهُ نَسْتًا أَنْ تَأْتُوا مِنْهُ نَهَاتًا وَأَنْتُمْ نَسْتًا ١٢١، وَكَيْفَ تَأْتُوا بِهِ وَقَدْ أَنْصَحْتُمْ
نَعْتَكُمْ بِالْعَدْلِ - ١٦٦١: ١١: وَأَنْتُمْ تَأْتُوا نَأْمًا كُلُّ نَسْتٍ غَضَبًا - *الحساب*
١٦٦١: إِذَا تَعَدَّ * لِأَنْتُمْ حَقٌّ * لِأَنْتُمْ حَقٌّ *
منظوم - ١٦٦١: رَفَعْنَا رَأْسَهُ ١٦: وَأَنْتُمْ نَسْتًا نَأْمًا مَالَهُ -
معجم المشتم ١٦٦٢/٢٤ (ج ١ م) ١٦: أَنْتُمْ بَشَرًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ظَلَمًا بِأَنَّهُ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْعِيَاةِ
س ١٦٦١: أَرْضِيَتْ.

« أَنْتُمْ نَسْتًا ظَلَمًا أَوْ غَضَبًا مِنْ نَسْتٍ » - تحت

شذ: ابن سعد ج ٢ ز ٤٩١ // ٢٧٥: تَعَلَّبْتُ فِي بَحْرِ إِثْرٍ أَقْرَبْتُ عَلَيْهِ أَلْبَتَّةَ. - الفرزدق (١٢٥١٤)
وَمَرَّ بِالْمُهَاجِرِ وَقَدْ أَقْدَمُوا ذُبَابًا مَوْنَفُونَ.

٧ تَعَلَّبَ (طَلَسَ) بِلَدِيهِ أَرْضِيًّا فَفَتَحَ (بِلَدَاءِ أَرْضِيًّا)

To take (a town), conquer (a country). || Prendre (une ville), conquérir

(un pays)

شذ: ابن سعد ج ٢ ز ١٢٥١ // ٤٥٦: لَمَّا افْتَتَحَ النَّسْرُ صَلَحَ فَبَيَّرَ أَقْدَمًا عَنُودًا. - الطبري ج ١
١٨٥٤ // ٥٥٢: كَانَتْ وَجْهَهُ إِلَى الْخُرَاقِ حَتَّى أَقْدَمَهَا.

٨ تَلَّبَبَ وَفَعَّرَ (نَاشَأَ) جِيئًا مَعْدُومًا

overcome, subdue || défaire, subjuguier.

شذ: الطبري ج ١ ز ١٤٠٧: إِذْ مَأْتَى النَّاسَ لَا يُدْرِكُ أَفِيدَتَنَا. - التنوير ١٧٠٤١: أَهْجَبَ تَأْدِكُ.

٢٢١-١٦. لَقَدْ أَقْدَمُوا لَنَا سَادِنُوا عَمْرُؤَ الْبَيْتِ. - ٢٢٩-٤. وَأَمَّا لِلْمَوَاضِعِ وَالْمَدَائِرِ *
بِضَمِّهِمْ لَمْ تَعُوذُوا نِزَارًا. - ٢٤٢-١٥٥. مَا يَشْكُرُ اللَّعِينُ وَ أُنْذِرُكَ الْبَيْشُرِ.

٩ كَبَّرَ (بَجَّرًا)

To erect, apprehend || élever, appréhender.

شذ: الفرقان ١٦٦١٢: مَا كَانَ لِبَنَاتِكَ إِخَاءٌ إِلَّا أَنْ يُشَاءَ اللَّهُ. - آ ١١١: نَشَدْنَا أَنْحَالًا نَكَانَتْ.

١٦٢: مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْتِيَ بِآلِكَ وَنَجِدَنَّا تَنَاغِيًا جُنْدًا. - معجم الحديث ٣٦/١٩٥٢ (د)

في الْبَكْرِ يُؤْتِيهِ عَلَى الْوَلِيِّينَ قَالَ يَرْجُمُ. - طه ١٤٠١٤ (شذ: الشكرت)، فَأَنْزَلْنَا طَهْمَانًا

فَرَفَعْنَا إِلَى الْوَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ.

١٠ سَنَّ بِكُلِّ شَيْءٍ كُنْهًا كُنْهًا

To hold back, impede || Retenir, empêcher.

شذ: البخاري ج ٢ ز ١٩٥٢ // ١٩٥٢ (٢٥٦ سورة ٢٦ ب ٢): فَأَنْحَتُنَّ وَاللَّيْلُ أَنْذَا كَسْرُتُنَّ عَنْ بَعْضِ مَا

كُنْتُمْ أَهْلًا.

١١ تَحَبَّرَ (طَلَسَ) مَالًا

To seize (property) by stealth. || Saisir, opérer la saisie (de propriété).

شذ: الطبري ج ١ ز ١٢٠٢ // ١١٠: فَأَنْذَجَا [أَنْ أَنْتَ الْجَوَابِ].

١٢ طَلَسَ فِي تَحْقِيرِ

To avail (with the tongue). || Appaître (avec la langue).

شذ: *anc ٢٤٢٢/٢١* أخذ الشراب الرأس
ر. أخذ الشراب رأسه. و. أخذ بيب الشراب. و. أخذ منه الشراب.
و و و
٢٤٦ نوم و ماش

overwhelm (alagab) | Faghar, (dom-mal)
شذ: *anc ١٠٢/١٩٦٤* فلأخذت عيني فنبهت تر انتبهت القران ٢٥٥٢ لا تأخذ
بينه ولا نوم. - المفضليات ١٦-١٥: بنه تأخذها بثل السكر. - أبو نواس ١٧٢٦٥
ثم لما نرفوا * أخذت أخذ الرقاب. - ابن سعد ٢١٢٢٥٢: فلما يأخذ الشرح.
ج ٢٢٠٤٢: ١٩٠٦: فبينما ضم كذلك أخذتهم نعته. - *anc ١٠٢/١٩٦٤*: فأخذت
عيني فنبهت ثم انتبهت.

II أصاب شخصاً (أرضه، آلامه، ضعفه، بخله)

Prendre, ataqar, (malad, infirmité) | Prendre, ataqar, (malad, infirmité)

شذ: *anc ٤٢-٤١*: وأخذ الهذاج. - المفضليات ٤٠-٤١: في حرور... يأخذ الشاربيها
كالصفح. - *anc ١٠١/٢٥* (م ٤٥): فأخذني مثل الموت. - *anc ٢٢٠١/٢٥* (خ ٢٥):
وكان أو نكر إذا أخذته العنة تقول... - *anc ١٤٤١/٢٥* (ن): أخذته سعة. - *anc ٢٦٠١/٢٥*
(خ ٢٥): أخذته نعة سديدة. - السيرافي ١٠٢٣: إذا أخذ التلويب كالأثكل. - ابن سعد
ج ١٤٠٤١: فأخذت من الرمد بأكمله. - ج ١٢٠٤١/٢٥: كانت تأخذ رسول الله
صلعم الناس. - ج ١١٠٤٦٠٤: أخذت نعتي. - وكفلا بن سعد ج ١٤٠٥٦٠٢
و ٢٠٥٢. - البخاري ج ١٠٨٠٤ (ك ٦٤ ب ٢٤) و ج ١٢٠٤٦٠٤ (ك ٦٥ ب ٢٤) ج ١٠٩٠٤
١٢ (ك ٦٤ ب ٢٤). ج ١٠٧٠٤ (ك ٦٥ ب ٢٤) ج ١٠٥٢٠٤ (ك ٦٥ ب ٢٤). - الجامع ج ١٦٠٢

٢٤. وقد
وقالوا على طريقة الإطلاق "أخذ" مبنياً للفعول. بمعنى
أخذت أو شربته

de la salin et de l'acide. | Pour une attaque de suffocation
شذ البخاري ج ٢٠٤١٠٢ و ٢ (ك ٦٠ ب ١٠): فلما دخلت [سارفة] عليه [أن] على النار [ذصب
يتناولها بيده فأخذ (في الشرح) أن أخذت حتى صار كأنه مسويج أو نحو ذلك]. - ابن

سعد ج ١ ز ٢٤١ ٢٠٢٤ وآية: فَنُصِبْتُ [البيارة] بِيَدِهِ وَأَنْزَلْنَا شَدِيدَةً. - الطبريز ج ١
١١٢٢٨ وآية: فَلَمَّا كَذَبْتُمْ [سارثو] عَلَيْهِ فَرَأَى أَقْوَمَ إِلَيْهَا يُتَنَاوَلُهَا فَأَنْزَلْنَا شَدِيدًا.
١٨ عَمَّا شَدَّهَا (حَرَكَاتٌ نَفْسَانِيَّةٌ)

to overcome (emotion) || rendre (emotion).

ش: القرآن ٢٠٢٤: وَلَا تَأْتُواكُم بِهَا زَانَةً. - امرؤ القيس ٤٦-١٤: إِذَا أَخَذْتَهَا حَزَنُ
الرَّوْعِ. - العجوة ١٤٥: وَأَنْزَلْنَا مِنْهُ الْبَلَاءَ هَزْئًا. - معجم الحديث ٢٥/١٠١ (ج)
والبخاري ج ٤ ١٢٧٤ (ك ١٧٢): فَأَخَذْتُمْ غَضَبَهُ فَلَطَمْتُمْ. - ابن سعد ج ٢ ز ١٥٦٥
فَأَخَذَ مِنَ الْغَمِّ مَا أَخَذَ مِنَ الْعَطَشِ. - الطبريز ج ١ ١٤٤٤: وَأَنْزَلْنَا مِنْكُمْ مِنَ الْغَمِّ وَالْأَمْرِ - النهاية
ج ١ ٢١٠١: وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه: ... فَأَخَذْتُمْ مَا تَدْرُونَ وَمَا تَدْرُونَ يَعْنِي
صَوْنَهُ وَأَفْكَارَهُ الْقَدِيمَةَ وَالْهَدِيثَةَ. - الطبريز ج ١ ١٤٦٢: ج ٢ ١٤٤٨: تَأَلَّتْ
طَائِفَةٌ: فَأَخَذْتُمْ مَا مَرَّبَ وَمَا بَعْدَ لَهَا بَلْغًا مِنْ جَمَالِهَا لَأَنَّ جَمَالَ رَيْسِ بَنِي إِسْحَاقَ
ج ٢ ١٢٤٢: ١٠١: أَنْزَلْنَا مَا تَدْرُونَ وَمَا تَدْرُونَ. - المعرب للعلامة في مد قدم: أَنْزَلْنَا
مَا قَرَّبَ وَمَا بَعْدَ وَأَنْزَلْنَا الْقَيْمِ وَالْقَعْدَاتِ الْهَمِّ. لَر بخصيص هذه السارات
بيسن في *الطبريز* ج ١ ١٤٦٢ وآية: *A. d. Fesala*

١٩. أصاب زانسا بلية عدا بة لمة

to befall (disaster, punishment), to strike (blame).

(desastre, châtement, blâme).

ش: الزيات ٧٨٥٧، ٩١، ١٥٥، ٢٩، ٣٧: (ف) أَخَذْتُمْ الرَّحْمَةَ. - ١٤٠٢٩: فَأَخَذْتُمْ الْعُقُوفَ. - ٥٥٢
١٥٤٠٤ و ٤٤٠٥١: فَأَخَذْتُمْ (هَمْ) الصَّامِتَةَ. - ١٧٠٤١: فَأَخَذْتُمْ صَاعِقَةَ الْعَذَابِ. -
٩٤٠٦٧ و ٩٤٠٦٨: وَأَخَذْتُمْ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ. - ١٢٠٢٠١٥ و ١٠٠٤٠٤: فَأَخَذْتُمْ الصَّيْحَةَ. -
٧٢٥٧ و ٧٤٥١١: فَيَأْتِيكُمْ هَذَا مِنْ أَيْمِ (قريب)؛ وَأَمَّا ذَلَالٌ ١١٢٠١٦ و ١١٢٠١٦٧. (هذه
المواضع كلها في سور مدية (ألا قليلا). - معجم الحديث ٢٥/١٠٢ (ج م). فَأَخَذْتُمْ سُنْبَةً. -
٢٩٠٢/٢٥ (ج م): إِلَّا أَنْزَلُوا بِالسَّنِينِ وَشِدَّةِ الْمَوْزِ وَجُورِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ. - ١٢٠٢/٢٦
٢٥ (ج م): أَنْزَلُوا مُدْرِدَ اللَّهِ فِي الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ وَلَا تَأْتُواكُمْ فِي اللَّهِ كَوْمَةً لِأَنَّهُمْ. - الطبريز ج ١ ١٤٥٢

٢٠. أصاب زانسا المطر وانزاله

to rain (rain) || to rain (rain).

لقد: البعيرت جد ١٠٩٥ (L. 1 و ٥): أخذهم اللد. - معجم اللغات ١٠٩٥ (١٤٠٠ رخم)
 أخذتهم الشياذ فدخلوا في ضارب. - اللد لكون ١٠٩٥ وأبو دؤب: ثابته ١٠٩٥ وأقصر ولم
 يأخذوا. بيت حماة (شعبان) * بنقير بناء الفيلسوف هو أنها أو عوس الجاز. - ابن دريد
 ١٠٩٤. أخلاق اللد ما نرى إلا أنه قد أخذ في النظر. - ١٠٩٤. أخذنا الشياذ لآت. -
 ١٠٩٤. أخذنا حار الصنج.

٢١

ش: الفاخر ١١٢٤. قولهم أخذته الأندلس. قال الفراء: الأندلس العترة الخ.
 ٢٢. ظفرت سمها. وقعدت على (العترة الطرف).

(Apercevoir, (œil). // se voir, fait upon (eye).

ش: ل جد ١٢٢٦. ونقول العرش ... وما ظهر لنا عترة منذ رماح أس ما رأينا. ولذلك
 ما أخذنا نمنه منذ حين. - المترجم ١٢٢٦: لم تأخذ عينه أخذ عترة (رسم). لم نفع
 عنه إلا عترة) - العترة ١٢٢٦. أخذ عترة رفته. - والكلمة سبالغة في هذا المعنى

٢٣

ش: ل جد ١١١١. عترة العترة (العقبة)
 (regard as words of advice or regard (eye). // regarder avec intérêt
 (admiration (sup).
 ل جد ١١١١. عترة العترة والقوم. وانتهرهم: كثر في عترة وكذلك الرجل
 أراد نظما في سائر. وما في الفرس أخذ عترة عترة كمن تأخذ عينه. - معجم اللغات
 ٢١٢٢/٢٣ (د) ولانعت ادراك ملاحظة تأخذها العين. - ابن سراج ٢١٢٥. وكان عترة
 ل تأخذ العين. - ابن سراج ١١٤٥. أخذنا عينه. - الطبري جد ١٢٢٢: ١٠٩٤
 تأخذها العين. - جد ١٢٢٥: ١٠٩٤ تأخذها العين.

(ج) أخذ. لدا عترة عترة أو حيلة.

٢٤

هذا الوجه أو من استعماله يستعمل على العنان الذي ذكرها.
 ٢٤. ما أول سئنا (باليد سواء ذكرته اليد أو لم تذكر)
 (take (with the hand) // prendre avec la main & main).

(نوم المياري: القرات ٢٤١٠، إذا أخذت الأرض زخرفها وزينتها. - المفاتيح -
 ٤٠٢١٦، إلى حديقته أخذت زخرفها وزينتها. - المياري ج ١، ٤٠٢٧٠، أخذت
 الأرض زخرفها. - الأصحح ٤٠٢٤، ويقال عند ذلاء: قد أخذت النبات زخرفه
 وزخرفته. - الأساس فوما. - زموس المياري. أخذت الأرض زخرفها
 . . . وأخذت النبات زخرفه. ويكره أمره واستعمل فقد أخذ زخرفه، مثل عند صم. وتقول:
 النبات إذا أصاب ربه أخذ زخرفه. - آ ج ٥، ٢٠٤٠٦٥، وأخذ النبات زخرفه أمر حقه
 من الشارة والحسن. رعبه ما زخره وزخرفه.

وكذا فصّلته فأخذها ولم يُعطَ بها. - ١٤٤٦هـ (ك. ٩٠ ب. ١٥٠)؛ فإذن طلب التّفيح أخذُ
 الدار بعشرين ألف درهم وإلا فلا سيك له على الدار. - ج ١٤٤٣هـ (ك. ٧٤ ب. ٢٩)؛ أي
 لأخذ الصاع من هذا بالصاعين والصاعين الثلاثة. - فتجيم الحديث ١٤١/٢٥ (م. ج. ١).
 فطلب له بالله لأخذها هكذا ولذا. - أميدان ج ١٤٠٤هـ. أخذها ولو بفوطنة مارية. -
 الأمان ج ١٤١٩هـ؛ أي: يأخذها [أمر الخمر] ويُعطى بها أبي أباريق الرصاص.
انتزاع سيما

to borrow, obtain (abstr., quality, rank)

ثم: بجهر اللب ١٤٤٢/٢٤ (م. ج. ١). ثم أخذ أموال الناس يريد أداءها أدّى الله
 عنه. ومن أخذ يريد إتلافها أتلفه الله. - ١٤١/١٠ (م. ج. ١). على اليد ما
 أخذت حتى تؤدى.

(ب) المَعْلُومُ بِهِ نَسَبُهُ خَيْرٌ مَادَرَتْ

١٤ قال: حصل على (صفحة، أسرة، رتبة، رتبة منزل)

to acquire, obtain (abstr., quality, rank)

(abstr., quality, rank)

ثم: حاسة اليد أ. أ. أخذت الحجة بالسنة الربيع. - ١٤١٠٢. فإن استعملت فخذ
 بشيئك فقله. من الحجة ١١٧: يؤخذ بالجد في كل ما يرضى. - تعاض جا
 ١٤١٤ والطبري ج ١٧٠٢١٠ لا يأخذ من الألف إلا فخذها.
 وقد أُعْتِمِدَ أَخَذَ هَذَا الْعَمَلُ بِحُرُوفِ الْبَاءِ رَصْدًا نَحْتِ.

١٤ حافظ (بما أشير ويأش)

to observe (command, law)

ثم: البغاري ج ١٤١٠/١٤١٠ (ك. ٧٤ ب. ٢٤)؛ وإنما يؤخذ من أمير رسول الله صلعم الآخر
قال أخيراً
 ويعتد وجه أخذ هذا كثيراً بحرف الباء. رصده تحت

تتر الثلاثة الأول من مادته أنها ويليه إحد شاء الله الثلاث الباقيات

جدول الكتب التي نقلنا عنها الشواهد من الأختلاف

مع ذكر الأسماء المختصرة والرموز

ذريعة = كتاب صنفه السحاب والغيث وأخبار الرزاق وما حوالاه من الكلا
لابن ذريعة. في تصويته من جزيرة الحابل وتحت الملائكة (أبو)
« *Spensula Arabica* » باستناء و. و. و. (*Spensula Arabica*) ليدون (*Spensula Arabica*)

1109

ابن سَعْد = كتاب الطبقات الكبير لابن سعد. باعثناء أ. ساخو (*Spensula Arabica*) وغيره
من المستشرقين. 14 قسماً في 9 مجلدات. ليدون (*Spensula Arabica*) 1904. 1911.
ابن سلام = طبقات الشعراء لعماد بن سلام الجعفي. باعثناء من. ص. ليدون (*Spensula Arabica*) 1907. ليدون

(*Spensula Arabica*) 1907

ابن قتيبة = كتاب الشعر والشعراء لأبي طهات الشعراء لابن قتيبة. باعثناء من. ص.
ده شويه (*Spensula Arabica*) ليدون (*Spensula Arabica*) 1904.

ابن قيس الرقيات = شعر عبيد الله بن قيس الرقيات مع ترجمة ألمانية. باعثناء
من. رود و. ك. أ. ليدون (*Spensula Arabica*) ليدون (*Spensula Arabica*) 1902.

أبو خراش = ديوان شعر أبي خراش انظر « الهذليون » ++

أبو ذؤيب = شعر أبو ذؤيب الجعفي. باعثناء من. ليدون (*Spensula Arabica*) مطبوعة في
مستخرجته من مجلة الجمعية الآسيوية الملكية (*Spensula Arabica*) ليدون (*Spensula Arabica*)
أكتوبر 1910

أبو ذؤيب = ديوان أبو ذؤيب مع ترجمته ألمانية. انظر « الهذليون » ++

أبو زبيدة = كتاب النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري. باعثناء من. ص. ليدون (*Spensula Arabica*) مطبوعة في
الشرنوبل. بيروت 1914

أبو كبير = ديوان أبو كبير الهذلي مع ترجمته فرنسية. باعثناء من. ليدون (*Spensula Arabica*) مطبوعة في
(*Spensula Arabica*) ليدون (*Spensula Arabica*) مطبوعة في
جزء 11 (*Spensula Arabica*)

أبو كبير + لامية أبو كبير الهذلي مع ترجمته فرنسية، باعتماد ف. بابر الكناز فيج
(*Abu al-Khair al-Hadrami*). طبعة مفردة مستخرجة من المجلة الآسيوية الفرنسية
(«*Journal Asiatique*») جزء ٢٠

أبو نواس = ديوان أبو نواس مشروحا بقلم محمود واصف، مصر المطب العمومية ١٩٩١
الأخطل = شعر الأخطل، باعتماد انطون صالحانج (*A. Salhanj*)، بيروت ١٩٩١
الأخطل + = الشذرة الذهبية في شعر الأخطل التعليل، باعتماد انطون صالحانج
(*A. Salhanj*)، بيروت ١٩٩٠

الأساس = أساس البلاغة للرحمن بن محمد، بوزن، مطبع دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٤١ م
١٩٢٢/١٩٢٣ م

أسامة = ديوان شعر أسامة بن العاص مع ترجمته ألمانية، انظر «الهذليون ++»
الأصغر = كتاب النبات والشجر للأصمعي، باعتماد أ. هافنر (*A. Haffner*)، في مجموعة
«البلغة في شذور اللمنة»، (أو) «*Les anciens traités de philologie arabe*»،
باعتماد أ. هافنر ول. شينغو (*L. Schenq*)، بيروت ١٩٠٨

الأصغيات = مجموع أشعار العرب، باعتماد ث. ألفارديت (*T. Alfaradit*)، ٣ أجزاء،
برلين (مطبعة) ١٩٠٢/١٩٠٣، ج ١. الأصغيات ويخص قصائد الخوية
الأشعر = كتاب الصبيح النير في شعر أبو بصير شمر، في قيس الأعشى والأعشى
الذاهبين، باعتماد ر. جايسر (*R. Jaissir*)، لندن (London) ١٩٢٨

الأغانيس = كتاب الأغانيس لأبي الفرج الأصبهاني، ٢٠ جزءا، بولاق ١٢١٥
الأغانيس* = كتاب الأغانيس تأليف أبي الفرج الأصبهاني، مطبع دار الكتب المصرية بالقاهرة،
طبع منه حتى الآن ٦ أجزاء، ١٣٤٥ - ١٣٥٤ هـ - ١٩٢٧ - ١٩٢٥ م

الأغانيس + = الجزء العاشر والعشرون من كتاب الأغانيس، باعتماد ر. أ. برينو (*R. A. Brino*)،
لندن (London) ١٨٨٨

أشرف القبصر = ديوان امرئ القيس الكندي، من ضمن كتاب «العقد الثمين في ديوانين
الشعراء الستة الجاهليين»، (أو) «*The Six Poets of the Ancient Arabic*»

«*Poets Enabija, Antere, Karafa, Luleir, Ulpama and Froukainis*»
باعتماد ث. ألفارديت (*T. Alfaradit*)، لندن (London) ١٨٧٠

(١) قد شكك أحمد زكريا العلوي في أنه هذا الجزء من كتاب الأغانيس (الأغانيس* ج ١ تصدير ص ٤٩)

ج

- أسيّة = المفاطح المعزوة الى أسيّة بن أكر الصلّح مع ترجمة ألمانية. باسناد ف. شولتيسر (Schultze) لينز (روضة بعدة) 1911
- أوس = شعر أوس بن نجبر مع ترجمة ألمانية. باسناد روجاير (Rogier) (أبيلج (Abelg) قيس) 1192
- أوس + = تصحيح طبع ديوان أوس وزيادة طبعه. بعناية أ. فيشر (A. Fischer) في مجلة الجمعية الشرقية الألمانية (Deutscher Orientalistischer Anzeiger) ج 49 ص 15 - 144 و 722 - 710.
- التحارّث = كتاب الجامع الصحيح للبخاري. ليدن (Leiden) 1172 - 1198. 4 اجزاء. ج 1 - 4 باسناد ل. كريل (Krell) ج 4 باسناد ح. ف. يونبول (F. von Böhlen) (أبيلج (Abelg) أنكرت = كتاب منجم ما استعجم تأليف أبي حنيفة البديري. بعناية ف. فيسنفلد (F. Fiesnfeld) 1177/1177
- اللاذريّة = كتاب فروع البلدان لللاذريّة. باسناد م. س. ده غويه (De Goye) ليدن (Leiden) 1177
- ت = صحيح الترمذية الإمام
- اتح = نسخ القاموس المستدج العروس من جواهر القاموس للشمس الترمذية. 10 اجزاء. مصر الطب الخيرية 1407/1407
- الجامع = الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير للشبوطي. جزاك. مصر الطب الخيرية 1421. وبالهامش كتاب كنوز العقائق في حديث خير الطائفت للناوريّة
- جزان العود = ديوان جزان العود التميمية. طبع دار الكتب المصرية بالقاهرة 1450هـ - 1931م
- جزيرة ديوان جزان جزاك. مصر الطب الخيرية 1414
- جه = سنن ابن ماجه الإمام
- حاتم = ديوان حاتم الطائفة مع ترجمة ألمانية. بعناية ف. شولتيسر (Schultze) لينز (روضة بعدة) 1192
- العادريّة = ديوان شعر العادريّة مع ترجمة لاتينية. باسناد ج. ص. أيلمان (J. H. Egelmann) ليدن (Leiden - Sale) 1181
- الحارث = ديوان شعر الحارث بن حلزة ما خلا معلقته المشهوره. النظره عمرو بن كلثوم

حَتَّاب = ديوان حسان بن سالم، بعناية هـ. هيرشفلد (Hirschfeld)، ليدن - لندن
(London - Leyden)، ١٧١٠

العُقَيْلِيَّة = ديوان العطينه بعناية هـ. جولدرهبر (Goldraber)، ليبزج (Leipzig)،
١٧٢٠

العُقَيْلِيَّة* = ديوان العطينه، باعتماد أحمد بن الأثير، أنتج بطنته، مصرطه التقديم [١٢٢٤]
در = مسند ابن خنبل الإمام

العامة = كتاب أنعام حساسة ابن تمام مع شرح البهرزوري، وله ترجمة باللحة اللاتينية، باعتماد
ج. ف. فريتاغ (Freytag)، ٥ أجزاء، بون (Bonn)، ١٨٢٨ - ١٨٥١

حسانه البيت كتاب العامة بألف البخزوري، باعتماد ل. شينغو (Leichtle)، طبع منفرد
من "Mélanges de la Société Asiatique"، ج ٢ - ٥، باعتماد ل.

شينو (Leichtle)، بيروت، ١٩١٠

ح = تصحيح الأختار في الإمام

العناصر = أربعين الجلساء في شرح ديوان العساس، باعتماد ل. شينو (Leichtle)، بيروت، ١٨٩٦

د = سنن أبي داود الإمام

الدرة = كتاب ذرية الخواص في أوهام العواصم للحزوري، بعناية هـ. نوبكه، ليبزج (Leipzig)،
١٨٨٠

د = مسند الدائري الإمام

أبو الزبير = ديوان نعم بن الزبير، باعتماد ل. هـ. مكارتنر (C. H. McCarty)،
كمبريدج (Cambridge)، ١٩١٩ م - ١٨٢٢ هـ

رؤيته = مجموع أفعال العرب، باعتماد ف. الفاكس (F. Falks)، ٢ أجزاء، برلين (Berlin)،
١٩٠٢/١٩٠٢، ج ٢: ديوان رؤيه بن الخجاج،

رؤيته = ديوان شعر زهير بن أبي سلمة، من ضمنه كتاب العهد النبوي في دواوين
الشعراء، السنة العاهلتيين، "اسطره اشرو القيس"

ساعده = ديوان نعم ساعده بن جوثيه، النظره الهذليين⁺⁺

سلاية = ديوان سلاية بن خنبل مع ترجمة فرنسية، باعتماد ل. هوارت (E. Huard)،
طبعة منفردة مستخرجة من المجلة الآسيوية الفرنسية (Revue Asiatique)، يناير - يونيو،

١٩١٠

التجاعيد = سبع أسعار العرب. باعتماد ف. آلغا ديسا (F. Allaghasi). ٢ أجزاء. باريس
 ١٩٠٢/١٩٠١. ج ١. ديوان الأراجيز للحجاج والرفقاء
 عمود = شعر عمود من التوازي. مع ترجمة ألمانية. عنانية من بولاد (Boulad).
 عمود = (مترجم). ١٩٢٢
 عمود* = ديوان عمود من الورد مع شرح ابن البتائنة. بعناية من أبي نسيب (Mohammed
 كندة). العرائس (الرسائل). ١٩٢٦
 العشارية = كتاب شعر الأسماء لآل جلال المسكيت. على هامش "مع الأسماء"
 للإدارة. ~~طبع في مصر~~ طبع في مصر سنة ١٩١٠
 عمود = ديوان شعر علقمة النخيت. من كتب العقد الثمين في ديوان الشعراء
 الستة الماهلتين. انظر: اثر القيس
 عمود = ديوان شعر عمود أبو ربيعة. بعناية من سفارنس (Sfarans). مسوان.
 لبيح (بعضه). ١٩٠١ - ١٩٠٩
 عمود = شعر عمود من فنيته مع ترجمة انكليزية. باعتماد ك. لايل (Lyle).
 كمبريدج (Cambridge). ١٩٠٩
 عمود = ديوان شعر عمود كلفون ما خلا معلمة المشهور. ويليه ديوان
 شعر العارث بن جليل ما خلا معلمة المشهور. بعناية من كركو
 (Karko). طبعه بفرده مستخرجة من ملة من المشرق. بيروت ١٩٢٢
 عمود = ديوان شعر علقمة النخيت. من كتب العقد الثمين في ديوان الشعراء
 الستة الماهلتين. انظر: اثر القيس
 العمود = كتاب العارث بن الفضل بن سلمة الكوفي. باعتماد ك. أ. ستورم (A. Storm).
 ليدن (Leyden). ١٩١٥
 الفرزدق = ديوانه مع ترجمة فرنسية. باعتماد ريوشر (Rioscher). جزائر. باريس
 (Paris). ١٨٧٠/١٨٧٥. وهو غير كامل
 الفرزدق* = الجزء الثاني من ديوانه. طبع بالتصوير الشمسي. باعتماد من هلد (Held).
 جبرائيل. بنفنت (Benfent). ١٩٠٠/١٩٠١
 الفاسوس = الفاسوس المصنوع للفروزي بالعم. موشق العواش بطراز نقش الهوريت
 وغيره. ٤ أجزاء. مصر الطب الخمينية ١٩٣٥

- القحيف = ما بقى من شعر النصف العُقيلت مع ترجمة انكليزية، بعناية ف. كرايم
 (F. Kraim) مطبع مفيد مستخرج من مجلة الجمعية الكوسية الملكية البريطانية
 ("Journal of the Royal Asiatic Soc.") ١٩١١
 القراكت = القراكت الشرية، مصر المصنفة ١٩٤٢
 القواميس = ديوانه مع ملاحظات باللغة الألمانية، بعناية من بارث (H. Barth)، ليدن
 (Leiden) ١٩٠٢
- قيس = شعر قيس بن الخطيم مع ترجمته ألمانية، باسناد من كوالسكي (K. Kowalski)،
 ليزن (Leyden) ١٩١٤
- كثير = ديوان كثير بن زيد مع شرح باللغة العربية، بعناية ه. بيرس (H. Peris)،
 جزاك، الجزائر - باريس (Paris) ١٩٢٨ / ١٩٣٠
- الكسيت = الهاشبات للكاتب زيد الأسلمت مع ترجمة ألمانية، بعناية من هورونقيتس
 (H. Horonqits)، ليدن (Leiden) ١٩٠٤
- الكنوز = كتاب كنوز الفخائف في حديث خير اللامس للهاوية، انظر "الجامع"
 لبيد = ديوان لبيد العاصمته رواية الطوسية، باسناد يوسف ضياء الدين الخالدي،
 صين (Sina) ١٨٨٠
- كبيد = ترجمة ألمانية لشعر ديوان لبيد الترطبعها يوسف ضياء الدين الخالدي
 (انظر "ليدوم بعناية أ. هوبر (A. Huber) وتصحيح ل. بروكلمان (L. Brockmann)
 (L. Brockmann)، ليدن (Leiden) ١٨٩١
- كبيد++ = قطعة ثانية من ديوان لبيد مع ترجمة ألمانية، بعناية أ. هوبر (A. Huber)
 وتصحيح ل. بروكلمان (L. Brockmann)، ليدن (Leiden) ١٨٩١
- ل = لساح العرب لابن منظور، ١٢٠ - ١٢٠٢
- م = صحيح سنبل بن السباع الإمام
 المبرد = الكتاب الكامل للمبرد، باسناد وترجمته (H. H. H.), جزاك، ليزن (Leyden)
 ١٨٧٤ - ١٨٩٢
- المتكبر = ديوان شعر المتكبر مع ترجمة ألمانية، بعناية ل. فولير (L. Follier)،
 ليزن (Leyden) ١٩٠٢

المتنبي = ديوان أبي العتّاب المتنبي شرح الواحدي. باعتماد م. ريبيريس
(Z. Keleny). بولسا (1871)

المنخل = ديوان شعر المنخل. انظر «الهذليون»

المنجل = الجزء الأول من مجل اللغة لاس فارس. صدر مطبعا سنة 1272هـ - 1114م
لم يطبع غيره

الرائي = رياض الأدب في سرائر سوانس العرب. بمناية لويس شيخو. الجزء الأول في
شواعر الجاهلية. بسوت 1192. لم يطبع غيره

المتعودون = كتاب التنبية والإشراق. وهو الجزء الثامن من «الكنز الجغرافية العربية»
(P. Makka f. geograf. Arab.). باعتماد م. م. د. غوييه (G. G. G.).
لندن (1894)

تجبر الحديث = العجم المقتدر لألفاظ الحديث النبوي عن الكتب الستة وعن سُنَد
الداريمت وموطأ مالك وسند أحمد بن حنبل. بمناية أ. م. فندك
(A. M. F.). ولقيف من المستشرقين. طبع منه إلى الآن 4 فصول.
لندن (1894-1900)

البعثات = كتاب السوط السبعة بالعلاقات مع شرح منتخب. باعتماد ف. أ. أنولد
(F. A. Arnold). لينين (1890)

العلاقات = القصائد (أو العلاقات الخمس) ومن النتج العلاقات وقصيدة الأمتش
اللاتية وقصيدة النابتة الدالية وقصيدة عبد بن الأبرص البائبة. مع
شرح التفسيرية. باعتماد ل. د. لايل (L. D. L.). تلكتة (1894)
تتبعه شعراء من أويس مشر وحا. بمناية ج. سفارنس (G. S.). لينين (1894)

المقتنيات = ديوان المنصلي. جميع المنخل الصبوت مع شرح وافر للأخبار. 4 أجزاء.
جاء الفن العربي. ج 2. ترجمة انكليزية. ج 3. فهارس. ج 1. باعتماد
لايل (L. D. L.). أو كنفورد (Oxford). 1911/1912. ج 2
باعتماد أ. أ. بفس (A. A. B.). لندن (1924)

القواميس = كتاب القواميس العربية مع شرح مختار. باعتماد سيلفستر د. ساس
(S. S.). الطبعة الثانية باعتماد رينود وذرنيوج (R. N.).
بروكلين (1884/1885)

تزيد = مطالع لزيد في معاوية مع مرحة الناس. - مجموعة - *Wacouai - vshuan*
 (أما في أنكو بالية) تأليف ب. شافيرس (2000) - جزء 1. استوارت (Huggard)
 1971. لم يطبع في
 التجزئة = تأليف من واضح الحروف العفوية. بنائيد م - صوتها (Wacouai - vshuan).
 جزاء - ليد (Wacouai - vshuan) 111.

(دبل) *Wacouai - vshuan* = *Wacouai - vshuan* (ردون) = *Wacouai - vshuan*
 اللغويات العربية مجلدات. أدب (Wacouai - vshuan) 111.
 (مستشار - صفر) = *Wacouai - vshuan* (رباينس) = *Wacouai - vshuan*
 1111 - 1111
 (ملايشة) = *Wacouai - vshuan* (ملايشة) = *Wacouai - vshuan*
 1925
 (ملايشة) = *Wacouai - vshuan* (ملايشة) = *Wacouai - vshuan*
 1194 - 1194
 (ملايشة) = *Wacouai - vshuan* (ملايشة) = *Wacouai - vshuan*
 1194 - 1194
 (ملايشة) = *Wacouai - vshuan* (ملايشة) = *Wacouai - vshuan*
 1194 - 1194
 (ملايشة) = *Wacouai - vshuan* (ملايشة) = *Wacouai - vshuan*
 1194 - 1194
 (ملايشة) = *Wacouai - vshuan* (ملايشة) = *Wacouai - vshuan*
 1194 - 1194

٤١٤٢/١.١

ابن سينا ج ١ ص ١٥٥

تكملة الحاشية ٢٤/١٥٥ (ص ١٥٥)

يعني : يهتبه صفة ١.١ ص ٢٤

يعني : ابن سينا جزء النصف ٢ ص ٢٥

يعني : تكملة الحاشية ص ٢٤ ص ٢٤

(ص ٢٤) والله وسنته أبي داود

وسنته ابن ماجه

طَرْفٌ مِنَ اللُّغَةِ وَالدُّبِّ وَاللِّفَةِ لِلدُّكْتُورِ أَحْمَدِ عَمَّارٍ

- ٥ -

الناس :

رَأْفِرُ عَوْرَاءِ السَّكْرِيمِ ادِّخَارُهُ
وَأَعْرِضُ عَنِ شْتَمِ اللَّيْمِ نَكْرًا
(حاتم)

* * *

التبشير :

الإخبار بما يظهر أثره على البَشْرَةِ وهي
ظاهر الجلد ، لتغيرها بأول خبر يرد
عليك . ويستعمل في السرور مقيدًا وغير
مقيد . ولكن لا يستعمل في الشر والغم
إلا مقيدًا منصوبًا على الشر المبشَّرُ به .
« فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابِ أَلِيمٍ » .

ويقال بَشَّرْتَهُ وبَشَّرْتُهُ بِبَشَارَةٍ فَبَشَّرَ
واستبشِر . وبَشَّرَ يَبَشِّرُ إِذَا فَرِحَ . ووجه
بَشِيرٌ بَيْنَ البَشَارَةِ . والبشْرِى ما يعطاه
المبشِّر . وتبشِيرُ الشَّيْءِ أولُهُ .

١- قيل نُو اسم من أسماء الجموع :
بجمع إنسان وإنسانة . وتصغيره نُؤيس هـ
والناس من النَّؤيس أى الحركة : يقال
نَاسٌ يَنْؤِسُ أى تحرك :

٢- وقيل أصله من نَبِيٍّ : قال
ابن عباس : نَبِيٌّ آدَمُ عَهْدَ اللَّهِ نَسَمَى
إِنْسَانًا . -

« نَبِيٌّ آدَمُ فَنَسَمِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ » ، حديث
شريف :

فِي أَنْ نَسَمِيَتْ عَهودًا مِنْكَ سَالِفَةً

فَأَغْفِرُ فَأُولَ نَاسٍ أُولَ النَّاسِ

٣- وقيل سُمِيَ إِنْسَانًا لِأَنَّهُ بِحَوَاءِ .
وقيل لِأَنَّهُ بِرَبِّهِ . فَالْأَلْفُ هُنَا أَصْلِيَّةٌ .

وَمَا سُمِّيَ الْإِنْسَانُ إِلَّا لِأَنَّهُ

وَلَا الْقَلْبُ إِلَّا أَنَّهُ يَتَقَلَّبُ

* * *

الخلف :

من الصالحين. والخلف من الطالحين .

* * *

((انه هو النواب الرحيم)) :

وقد يطلق على العبد أيضاً تَوَابٍ :
« إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ »

* * *

القوم :

جماعة الرجال دون النساء .

(لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ) .

وما أدري وسوف إخال أدري

أقوم آل حصن أم نساء

(زهير)

وقد يقع القوم على الرجال والنساء
(إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ) .

تقول يا قومِ ويا قومي ويا قومي-

ويا قَوْمِيَّةً ويا قَوْمًا ويا قَوْمٌ (بمعنى يَأَيُّهَا

القوم) ويا قَوْمًا (إن جعلتهم نكرة) .

وواحد القوم امرؤ . والجمع أقوام وجمع

الجمع أقوام .

* * *

لبس فلان لفلان جلد النمر :

تنكر له . وكانت ملوك العرب إذا
جلسست لقتل إنسان لبست جلود النمر
ثم أمرت بقتله .

* * *

مدح ابن قيس الرقيات عبدالمملك
ابن مروان بقوله :

يأتلق التاج فوق مفرقه .

على جبين كأنه الذهب

فقال له : وماذا من الفضل في تألق

التاج ونصاعة الجبين ؟ أهلا مدحتني

بمثل ما مدحت به مصعب بن الزبير

إذ تقول فيه :

إنما مُصْعَبٌ شهابٌ من الله

تجلت عن وجهه الظلماء

مُلْكُهُ مُلْكٌ عِزَّةٌ لَيْسَ فِيهِ

جبروت منه ولا كبرياء

ثم حرمه عطاءه العمر كله .

* * *

العين بعادك لم تنظر إلى حسن

والنفس بعادك لم تسكن إلى سكن

كأن نفسي إذا ما غبت غائبة

حتى إذا عدت لي عادت إلى بدني

أما ترى اليوم ما أحلى شمائله
 صحو وغيم وإبراق وإرعاد
 كأنسه إأنت يامن لا شبيه له
 وصل وهجر وتقريب وإبعاد
 فساكر الراح واشربها معتقسة
 لم يدخر مثلها كسرى ولا عاد
 واشرب على الروض إذ لاحت زخارفه
 زهر ونور وأوراق وأورا
 كأنما يومنا فعمل الحبيب بنا
 بذل ويخل وإيعاد وميعاد
 * * *

قال امرأبي في دعائه :

اللهم إن استغفاري إياك مع كثرة
 ذنوبي لؤم ، وإن تركي الاستغفار
 مع معرفتي بسعة رحمتك عجز. إلهي
 كم تحببت إلى بنعمتك وأنت غني
 عني ، وكم أتبعض إليك بذنوبي وأنا
 فقير إليك . سبحان من إذا نعد عني ،
 وإذا وعد وفي .

* * *

وإني لمشتاق إلى ظل صاحب
 يروق ويصفو إن كدرت عليه
 (أبو العتاهية)

* * *

ابدأهم بالصراخ يفروا

مثل يضرب للظالم يتظلم ليسكت
 عنه . وأصله أن يكون الرجل قد أساء
 إلى الرجل فيتخوف لائمة صاحبه
 فيبدؤه بالشكاية والتجنى ليرضى عنه
 بالسكوت .

(الأغاني - الجزء العاشر ص ٣٧٧)

زرغباً تزدد حبا

حديث شريف . وقال الشاعر :

إذا شئت أن ثقلي فزر متواتراً
 وإن شئت أن تزدد حُباً فزرغباً

لا تزر من تحب في كل شهر
 غير يوم ولا تزده عليه
 فاجتلاء الهلال في الشهر يسوم
 ثم لا تنظر العيون إليه

* * *

من الجواب المسكت

دخلت الخنساء على عائشة رضي الله
 عنها فأنشدتها قولها في أخيها صخر :
 ألا يا صخر إن أبكيت عيني
 فقالت عائشة : أتبكين صخرأ وهو
 جمرة في النار؟ فقالت : يا أم المؤمنين
 ذاك أشد لجزعي عليه ، وأبعث لبكائي .

الفائدة ، وحمل المنن أثقل من الصبر
على العدم .

استكثر من الهيبة الصموت ، والندم
على السكوت خيراً من الندم على الكلام .

قال لقمان الحكيم : ثلاثة لا يعرفون
إلا من ثلاثة مواطن : الحليم عند
الغضب ، والشجاع عند الحرب ،
وأخوك عند حاجتك إليه .

* * *

من تراث العرب

قال علي بن أبي طالب : من أعجز
الناس من عجز عن اكتساب الإخوان ،
وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم .

قال رجل لعمر بن الخطاب : اتق الله
يا أمير المؤمنين . فقال له رجل من
القوم : أتقول للأمير المؤمنين اتق الله ؟
فقال له عمر : دعه فليقلها لي ، نعم
ما قال ، ثم أردف : لا خير فيكم إذا
لم تقولوها لنا ، ولا خير فينا إذا لم
نقبلها منكم .

* * *

وكانت رملة بنت عبيد الله بن
مَعْمَرٍ تحت هشام بن سليمان بن عبد الله
فجري بينهما ذات يوم كلام ، فقال
لها : أنت بغلة لا تلدين . فقالت له :
يا أبا كرمي أن يخالط لؤمك !

وزن مَفْعَلٍ لاسم المكان على غير قياس
مسجد . مطلع . مشرق . مغرب . مستقط .
مفروق . مجزر . مسكن . مرفق . منبت .
منسك .

(مِظَنَّةٌ . مِزْلَةٌ . مَرَكِزٌ . مَرَشٌ .
منفد . معدن . مأوى (للابل فقط)

* * *

بُنِيَ الحُبُّ عَلَى الجَوْرِ فلو أنصف المعشوق
فيه لَسَمِجٌ .

* * *

من تراث العرب

لا تكن حُلواً فتؤكل ، ولا مُراً
فتلفظ ، وتوسط الأمور أدنى إلى السلامة
قيل لأحد الحكماء : أي الأصحاب أبر ؟
أقال : العمل الصالح . قيل فأبهم أضر ؟
قال : النفس والهوى .

فوت الحاجة خير من طلبها من غير
أهلها ، وعز النزاهة أشرف من سرور

عفا: عنه ذُنْبُهُ ، وعفا له ذنبه ، وعفا
عن ذنبه .

والعفو : أَحَلُّهُ الْمَالَ وَأَطْيَبَهُ وَخَيَّرَ
الشَّيْءَ وَأَجُودَهُ .

والعافي : الْوَارِدُ وَالضَّيْفُ وَكُلُّ طَالِبِ
فَضْلِ أَوْ رِزْقٍ .

وَأَبُو الْعَفَاءِ : الْحِمَارُ . وَالْعَفْوُ وَالْعَفَا
| | وَوَلَدُ الْحِمَارِ .

وَأَعْطَيْتَهُ عَفْوًا بِغَيْرِ مَسْأَلَةٍ وَالِاسْتِعْفَاءُ
طَلَبُكَ مِنْ يَكْلِفُكَ أَنْ يَعْفِيَكَ مِنْهُ .

وَأَعْفَى لِحَيْتِهِ وَفَرَّهَا .

* * *

فوضى : صِفَةٌ : الْمَالُ فَوْضَى بَيْنَ الْقَوْمِ :
مَتَاعُهُمْ فَوْضَى بَيْنَهُمْ ، قَوْمٌ فَوْضَى أَى
مُخْتَلِطُونَ . وَجَاءَ الْقَوْمُ فَوْضَى أَى
مُخْتَلِطِينَ .

دع الطير فوضى إنما هي كلها

طوالب رزق لا تجيء بمفطم

(أبو العلاء)

(وقولهم : تجنبوا الفوضى موضع
نظر . أَى تجنبوا الأمور الفوضى !
وتستعمل فى المفرد والجمع) .

شَتَّى (جمع شتيت) مثل مريض
ومرضى . ولكنها تستعمل للمفرد والمثنى
والجمع : « وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا
بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتِ شَتَّى » - « إِنْ سَعَيْكُمْ
لَشَتَّى » .

رفيقان شتى ألف الدهر بيننا
وقد يلتقى الشتى فيأتلفان
(لغويات - للنجار ص ٧٧)

* * *

الخُضْرَاوَاتُ : جَمْعُ خُضْرَاءَ (اسْتَعْمَلَتْ
اسْمًا لَا صِفَةً)

مثل صحراء وصحراوات
والخُضْرُ : (سوق الخُضْر) جمع
الخُضْرَةِ .

والخُضْرَاءُ هِيَ الْخُضْرَةُ :

(لغويات - للنجار ص ١٠٤)

* * *

آيات القرآن وحروفه

مجموع آيات القرآن ٦٢٣٦ منها

٤٦١٣ مكية و١٦٢٣ مدنية .

وحروف القرآن ٣٤٠٧٤٣ حرفاً .

ونصف القرآن حرف الفساء في :

« وليتلطف » في « فليُنظر أيها أذكى طعاماً

فليأتكم برزق منه وليتلطف . » في سورة
الكهف .

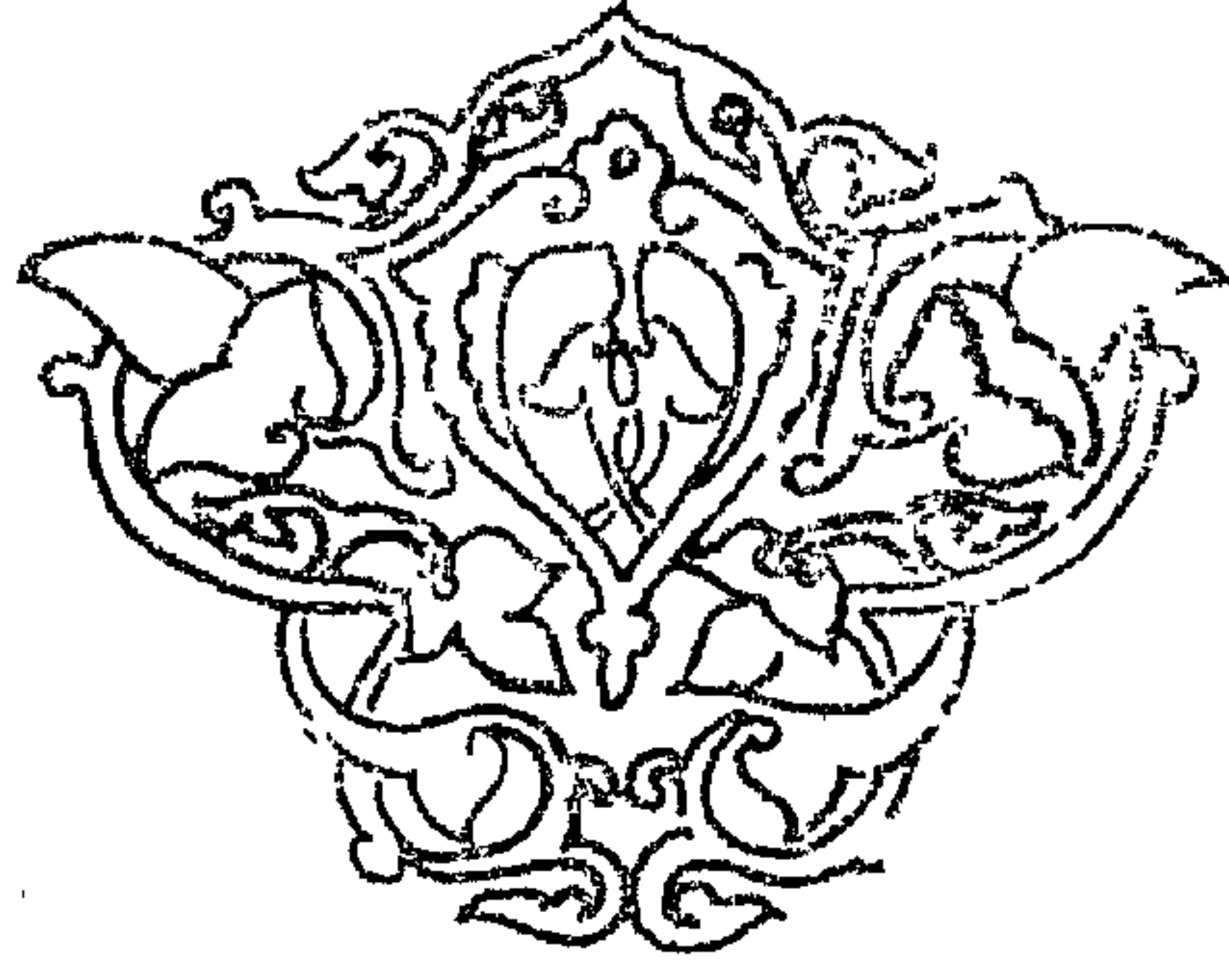
(وقيل : لقد جئت شيئاً نُكراً :

النون والكاف في النصف الأول والراء

والألف في النصف الثاني)

أحمد عمار

نائب رئيس المجمع



كوكب الزهرة : كوكب النار بين كسف علماء الحقيقة ... وكشف علماء الفضاء للاستاذ المهندس صلاح عامر

علم الفلك في ضوء غزو الفضاء :

منذ أن وجد الإنسان على سطح هذه الأرض ، وهو يتطلع إلى الفضاء فيرى الكواكب والنجوم وكلما ازداد تطلعه ازداد رغبة في معرفة طبيعتها وحركتها ، ولقد توفرت على الدراسات الفلكية العلماء في كل جيل من حياة الإنسان على ظهر البسيطة وتطورت وسائل إجراء هذه الدراسات الفلكية إلى أن بلغت حد استخدام مختلف المناظير والقياسات الضوئية . وفي عصرنا الحاضر يمتلك الإنسان وسيلة جديدة للوصول إلى الكواكب التي تدور مع الأرض حول الشمس؛ فلقد غزا الفضاء وصنع المركبات التي تسبح فيه، كما أوجد وسائل التحكم في مسارها، بل استطاع أن يزودها بالوسائل الإلكترونية التي تتيح له التخاطب إرسالاً واستقبالاً سواء مع محركات المركبة أو مع ما بداخلها من أجهزة قياس. وما أعجب ما تحويه هذه المركبات الفضائية من أجهزة

قياس، بل ما أقدرة الإنسان على إطلاقها ثم توجيه رحلتها وكذلك تأتي أخبارها .

رحلة فضائية إلى كوكب الزهرة :

بدأت رحلة الفضاء هذه إلى كوكب الزهرة في صيف هذا العام، وليست هذه الرحلة هي الأولى التي يرسلها الإنسان لاجتلاء غوامض الزهرة ، فلقد أرسل الاتحاد السوفيتي كما أرسلت الولايات المتحدة مجموعة ثمانية رحلات لإجراء قياسات مختلفة خاصة عن الغلاف الجوي الكثيف الذي يغلف كوكب الزهرة .

أما رحلة عام ١٩٧٨ فقد قامت بها الولايات المتحدة، وبدأت فعلاً في شهر يونيو عندما كان موقع الأرض مناسباً مع الزهرة .

والزهرة هي أقرب الكواكب إلى الأرض ولقد بقي كوكب الزهرة دائماً رمزاً للجمال؛ فهو ألمع الكواكب على الإطلاق ولا يفوقه في سطوعه الضوئي سوى القمر وهو كوكب أرضي؛ كما بقي كوكب الزهرة محلاً للبحث

والاستقصاء ومدار الإعجاب العلماء؛ نظرا لما يحيط به من الغموض فهو مغلف بطبقة كثيفة من السحب ولعلها هي مصدر سطوع الكوكب الضوئي، ولقد بذلت جهود كثيرة باستخدام أشعة الرادار كما أرسلت محطات فضائية لعمل جسات في طبقات ذلك السحاب الكثيف .

ولقد دلت الأبحاث المتوالية على أن كوكب الزهرة عبارة عن غلاية كبرى متدرجة للحرارة تبدأ من على سطحه بمقدار ٤٩٠° وهي درجة حرارة تكفي لصهر القصدير أو الرصاص . وبالإضافة إلى ذلك فإن ثقل الضغط الجوى على السطح يساوى مئة ضعف جوى أو يتساوى مع ضغط ماء المحيط عند عمق مقداره ٩٠٠ متر .

وتجعل مثل هذه الظروف المناخية الإقامة فوق كوكب الزهرة مستحيلة بالنسبة للإنسان أو حتى بالنسبة لمختلف الكائنات . ويتكون غلاف الزهرة الجوى من طبقة كثيفة من ثانى أو أكسيد الكربون كما تصل قوة الريح إلى درجة عظيمة تجعلها قادرة على زحزحة الصخور من مكانها تماما كما يفعل تيار الماء على سطح الأرض ، وتنعدم الفصول الجوية على سطح كوكب الزهرة وتأخذ حركة الرياح على سطحه شكلا مماثلا لحركتها على سطح الأرض فتهب من عند خط استواء الكوكب مندفعة فوق سطوحه، إلا أنها تختلف فى تكوينها عن الرياح الأرضية والتي تحمل ماء وثلجا فهي تحمل غالبا بحسب ما تدله الأحوال سائلا آخر هو حامض الكبريتيك المحروق.

ويدور كوكب الزهرة فى اتجاه عكس اتجاه دوران الأرض ، وأغلب الكواكب الأخرى ، كما أنه يتميز أيضا بسرعة دوران بطيئة جدا فهو يدور دورة واحدة كلما دارت الأرض ٧٤٣ دورة ، ويقطع كوكب الزهرة دورته حول الشمس فى أقل من هذه المدة فهو يقطع فلكه حول الشمس فى حوالى ٢٢٥ يوما .

ويكون شروق الشمس من المغرب فوق كوكب الزهرة ، وذلك بدلا من شروقها من المشرق على سطح الأرض وتلك علامة القيامة فكان قيام كوكب الزهرة قد بدأت منذ أمد يعلمه الله .

وهكذا يستوفى كوكب الزهرة كافة صفات جهنم الحارقة ، كما يستعرض شرطا من شروط زمان الحياة الآخرة ، فولدت جهنم على سطحه .

ولقد آن الأوان بعد أن بدأ غزو الفضاء أن يرتفع الحجاب عن كوكب الزهرة ، ويتضمن برنامج اكتشاف الزهرة ، الذى بدأت الولايات المتحدة منذ صيف عام ١٩٧٨م مركبتين فضائيتين فى برنامج واحد اسمه الرائد .

برنامج رحلة الفضاء سنة ١٩٧٨ :

ويحتوى برنامج الرائد على بعثتين الأولى ORSEIT أو الكوكب المدارى ، ويستغرق فى رحلته انتقاله خلال

سلسلة من المناورات بعد إطلاقه من فوق سطح الأرض الفترة في ما بين يونيو ١٩٧٨ ، و ٤ ديسمبر سنة ١٩٧٨ ومهمة الكوكب المدارى أن يجرى مختلف القياسات الفضائية سواء عن الإشعاعات في مختلف الأطياف المعروفة ، درجات الحرارة ، أو الضغط . أو الأتربة .

وأما البعثة الثانية التي تقع ضمن برنامج الرائد فهي عبارة عن مركبة فضائية أخرى تحمل أربعة كراكب صغيرة ، كل منها عبارة عن معمل يقوم بمهمة جس الغلاف المحيط بكوكب الزهرة عن طريق أخذ عينات منه ثم إجراء الفحوص والتحليلات واستنتاج نوعية التكوين وخواصه الطبيعية ، وإرسال هذه النتائج إلى سطح الأرض أثناء اختراقه للغلاف الجوى .

ويبلغ مجموع أجهزة القياس - التي سوف تحمل إلى كوكب الزهرة - ٣٠ جهازاً ترسل لاسلكياً قياساتها إلى ١١٥ باحث أساسى ومعاونيه على سطح الأرض .

ويقوم القمر المدارى خلال رحلته إلى كوكب الزهرة بإجراء قياسات عن المجالات والأتربة التي تقع بين كواكب الزهرة والأتربة التي تقع بين الكواكب ، إلا أن مهمته الأصلية تبدأ في ٤ من ديسمبر عندما تنخفض سرعته ثم يسبح في مدار بيضاوى حول كوكب الزهرة ، وسوف يستغرق قطع الدورة الواحدة حول المدار مدة ٢٤

ساعة، ومهمة القمر المدارى هي تحديد التكوين الحقيقى لكل من الغلاف الجوى والغلاف الأثيرى لكوكب الزهرة ، كما يقوم بدراسة التفاعل بين الريح الشمسية الغلاف الأثيرى أو المجال المغناطيسى الضعيف المحيط بكوكب الزهرة .

وسوف يراقب القمر المدارى كل التغييرات التي تطرأ على مختلف الأغلفة والمجالات .

ولقد زود القمر المدارى بأجهزة تصوير بالأشعة الضوئية والأشعة فوق البنفسجية حتى يستطيع أن يمدنا بصورة مرئية للسحب المغلفة لكوكب الزهرة - مثل ما يتم بالنسبة للأرض .

ويستخدم القمر المدارى أيضاً جهاز رادار، يمكن بواسطة أشعته اختراق الغلاف الجوى للكوكب ورسم خرائط لسطح كوكب الزهرة .

وكما سبق أن أوضحنا فإن الرحلة التاريخية إلى كوكب الزهرة تتضمن كوكباً ثانياً هو في الحقيقة نوع من «الأوتوبيس» ، إذ أنه يحمل في داخله أربعة معامل فحص فضائية وقد تم إطلاق هذا «الأوتوبيس» الفضائى في خلال شهر أغسطس من عام ١٩٧٨ . وقد تحدد ميعاد ملاقاته لكوكب الزهرة في نحو ٩ من ديسمبر أى بعد وصول الكوكب الرائد بأربعة أيام ورغم أنه قد أطلق متأخراً بنحو شهرين إلا أنه سيصل إلى الزهرة معه في نفس الوقت تقريباً إذ أنه قد تم تخطيط طريقه إلى الزهرة بما يؤدي إلى اختصار رحلة السفر إلى هذا الحد .

ما هي النتائج العملية للرحلة الفضائية الى كوكب الزهرة :

إن نتائج مثل هذه الرحلة بالغة الأهمية من الناحية العملية ، وهي تضيف رصيذاً من النتائج التي تساعد على التنبؤ بالأحوال الجوية على سطح الأرض، فإن كوكب الزهرة يمثل نموذجاً فريداً لمعرفة الميزان الحراري لأي كوكب بصفة عامة .

ونعني بالميزان الحراري الارتباط بين ما يكتسبه الغلاف الجوي من حرارة الشمس وما يصل منه إلى جسم الكوكب بعد درجة من التوازن الحراري تحكمها ظروف الكوكب :

وبرغم أن كوكب الزهرة يخلو من المحيطات ومن النباتات ومن الحياة البشرية إلا أن التجربة سوف تعطى شكل العلاقة الحرارية لنموذج بسيط؛ كمرحلة أولى يبدأ بعدها العلماء في تصويبها للتطبيق على ظروف أكثر تعقيداً كما هو الحال في كرتنا الأرضية .

كوكب الزهرة في علم أهل الله :

وهكذا يصل الإنسان بفضل العقل والفكر — هبة الله الكبرى لبني الإنسان — إلى معرفة كانت غائبة أو كانت غيباً بالنسبة لأجيال البشر من مؤمنين وغيرهم ، والذين نظروا إلى كوكب الزهرة نظرة إعجاب واستحسان برغم أنه في حقيقة الامر أتون من النار والمواد الحارقة . ولكن العجب كل العجب أن يصل العلماء من أهل الله الذين انقشعت عن بصائرهم ظلم الحجب التي تغطي القلوب المتقلبة

وعند وصول مركبة «الأوتوبيس» إلى الغلاف الجوي للزهرة تحدث وقائع محددة لانطلاق راكبي «الأوتوبيس» من المعامل وانفصالهم عنه، كما تنتشر هذه المعامل الفضائية الأربع حول كوكب الزهرة في مواقع محددة.

ولإدراك مدى ما يقتضيه انغماس هذه المعامل في الغلاف الجوي للزهرة، نقول إن الانطلاق من «الأوتوبيس» يتم بسرعة عالية بحيث يكون دخول هذه المعامل في الغلاف الجوي بسرعة تصل إلى ٤١٦٠٠ كيلو متر في الساعة، وبذلك يكون احتكاكها مع الغلاف الجوي رهيباً يؤدي إلى تعويق هذا الاندفاع ، كما يتم انفتاح «باراشوت» يبق المعمل الفضائي معلقاً به ، لإجراء قياسات بعضها يتطلب أخذ عينات من الغلاف الجوي وبعضها يكتفي بالتعامل مع الإشعاعات المختلفة . وملخص هذه التجارب هو قياس تركيب الغلاف الجوي للزهرة وتكوينه ورصد السحب وسرعة الرياح على ارتفاع ٧٠ كيلو متر من سطح الكوكب وبعد مضي ١٨ دقيقة ينفصل الباراشوت ويأخذ المعمل الفضائي في السقوط نحو سطح الكوكب بسرعة بطيئة تبلغ ٣٢ كيلو متراً في الساعة فقط، وعندما يرتطم المعمل الفضائي بأرض الكوكب فالأغلب أن يتم تهشيمه، وإذا بقي سليماً فبدخله أجهزة لقياس ذبذبة التصادم مع الكوكب وإبلاغها إلى مراكز مراقبة الرحلة على سطح الكرة الأرضية .

في النار ويقبضها الله بيمينه ... فلا زال الأمر هكذا سماء بعد سماء حتى ينزل أهل السماء السابعة» .

وهكذا يتبين من فتوحات الشيخ الكبير محيي الدين بن عربي رضي الله عنه أن كواكب السموات السبع هي في نهايتها جزء من النار وهذا نوع من الغيب ، ولكنه من كشف الله للشيخ الكبير . وإني لأعجب من أن يلتقي العلم الحديث العصري والذي بلغ قمته في غزو الفضاء مع العلم الذي يعطه الله لأولياؤه الصالحين رحمة من ربك .

إن كوكب الزهرة السماء الثالثة وهي التي تلي سماء الشمس يختلف عن كوكب الأرض التي يسكنها الإنسان ؛ فالأرض لها دروع تحميها حرارة الرياح الشمسية ، وهذه الدروع تتمثل أساسا في المجال المغناطيسي والأثيري الذي ينتشر بعيدا في الفضاء حول سطح الأرض فيصد هذه الإشعاعات الشمسية التي لا تتكون فقط من إشعاعات حرارية بل وإشعاعات ذرية أيضا ويصد المجال المغناطيسي هذه الرياح المهلكة والتي هي رياح جهنم وتأمل في قوله تعالى : « يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين » ، وأنه لا يفصل الإنسان عن رياح الشمس المهلكة ورياح جهنم العارفة سوى حجاب الرحمة الإلهية في حياتنا الدنيا ، وهو في قول علماء الفضاء حزام من المجال المغناطيسي .

وحول كوكب الزهرة - كوكب النار - لا يوجد هذا الحزام المغناطيسي وبذلك تنفذ رياح

في متاع الدنيا ، أقول العجب كل العجب أن نجد في تراثنا الإسلامي مثل : « الفتوحات المكية في الباب الرابع والستين في معرفة القمامة ومنازلها وكيفية البعث ما يأتي :

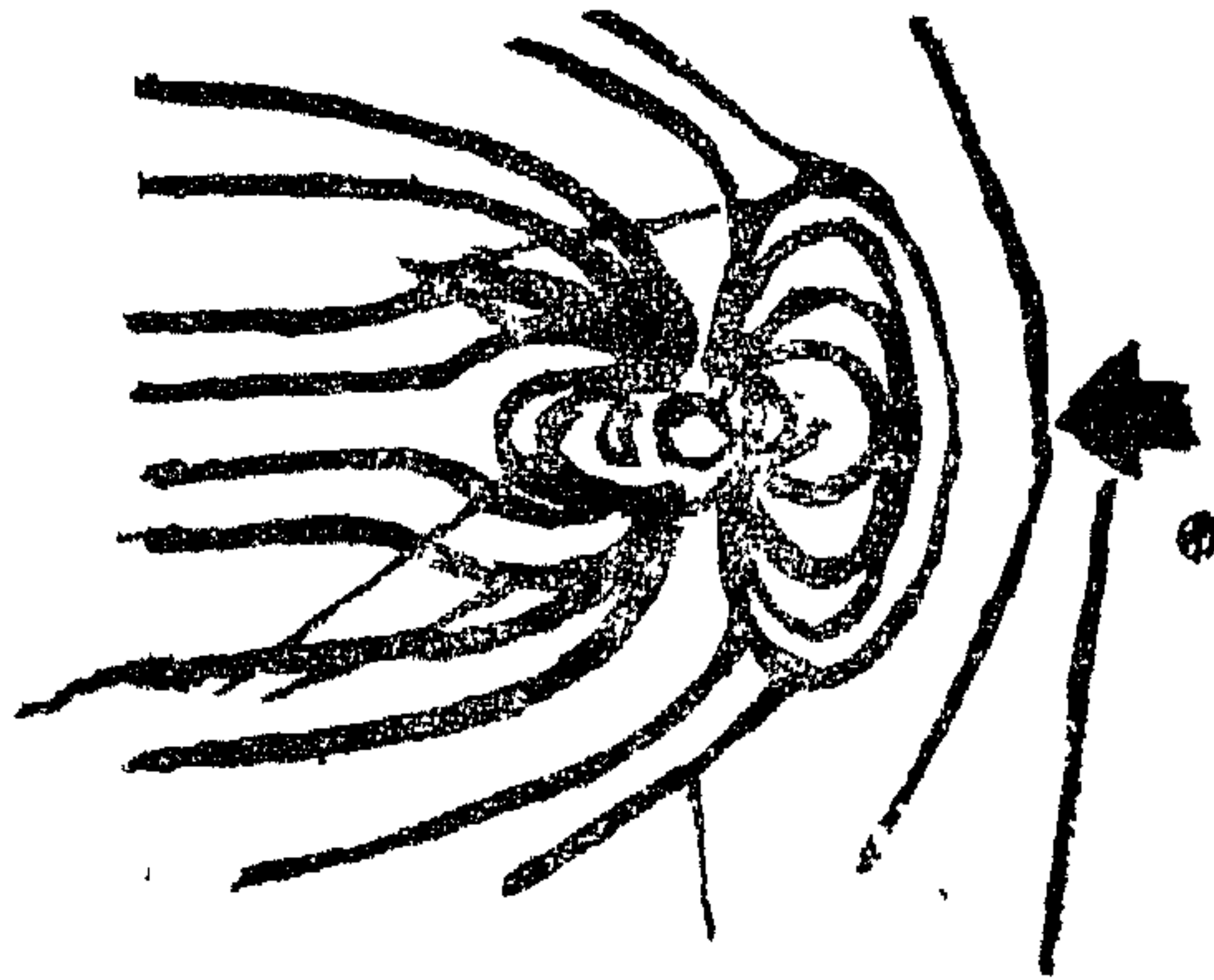
« اعلم أخي أن الناس إذا قاموا من على ما سوره إن شاء الله وأراد الله ، أن يبدل الأرض ، وتمد الأرض بإذن الله ، ويكون الجو دون الظلمة ، فيكون الخلق عليه عندما يبدل الله الأرض كيف يشاء إما بالصورة وإما بارض أخرى ، ما ينم عليها تسمى بالساهرة فيمدها سبحانه بالأديم ، يقول تعالى : « وإذا الأرض مدت » ، ويزيد في سعتها ما شاء أضعاف ما كانت ، من أحد وعشرين جزءا إلى تسعة وتسعين جزءا حتى لا ترى فيها عوجا ولا أمثا ، ثم إنه سبحانه يقبض السماء إليه فيطويها بيمينه كطي السجل للكتب ، ثم يرميها على الأرض التي مدها واهية وهو قوله ، « وانشقت السماء فهي يومئذ واهية » ويرد الخلق إلى الأرض التي مدها فيقفون منتظرين ما يصنع الله بهم وإذا هت السماء نزلت ملائكتها على أرجائها ، فيرى أهل الأرض خلقاً عظيماً أضعاف ما هم عليه عددا ... فتصطف الملائكة صفوا مستديرا على نواحي الأرض ، محيطين بالعالم الإنس والجن ، وهو لاء هم عمار السماء الدنيا ، ثم ينزل أهل السماء الثانية بعد ما يقبضها الله ويرمي لكوكبها في النار وهو المسمى كاتبها وهم أكثر عددا من السماء الأولى فيفعلون فعل الملائكة الأولين من الملائكة يصطفون خلفهم صفوا ثانيا مستديرا ، ثم ينزل أهل السماء الثالثة ويرمي بكوكبها المسمى الزهرة

وهكذا يمثل كوكب الزهرة حقيقة ماثلة
 لجهنم تحت التكوين تصل فيه درجة الحرارة
 في وقتنا الحالي إلى درجة ٥٠٠ سنقيجريد
 ويملاً فضاؤه دخان ثاني أكسيد الكربون
 وهي البيئة التي تحرق زبائن جهنم أعادنا الله .
 وما أصدق قوله تعالى فيهم: «يُصهر بهما في
 بطونهم والجارود» والتجربة الفضائية الحرارية
 هي لتحقيق نظرية جديدة تعطى الأبعاد .

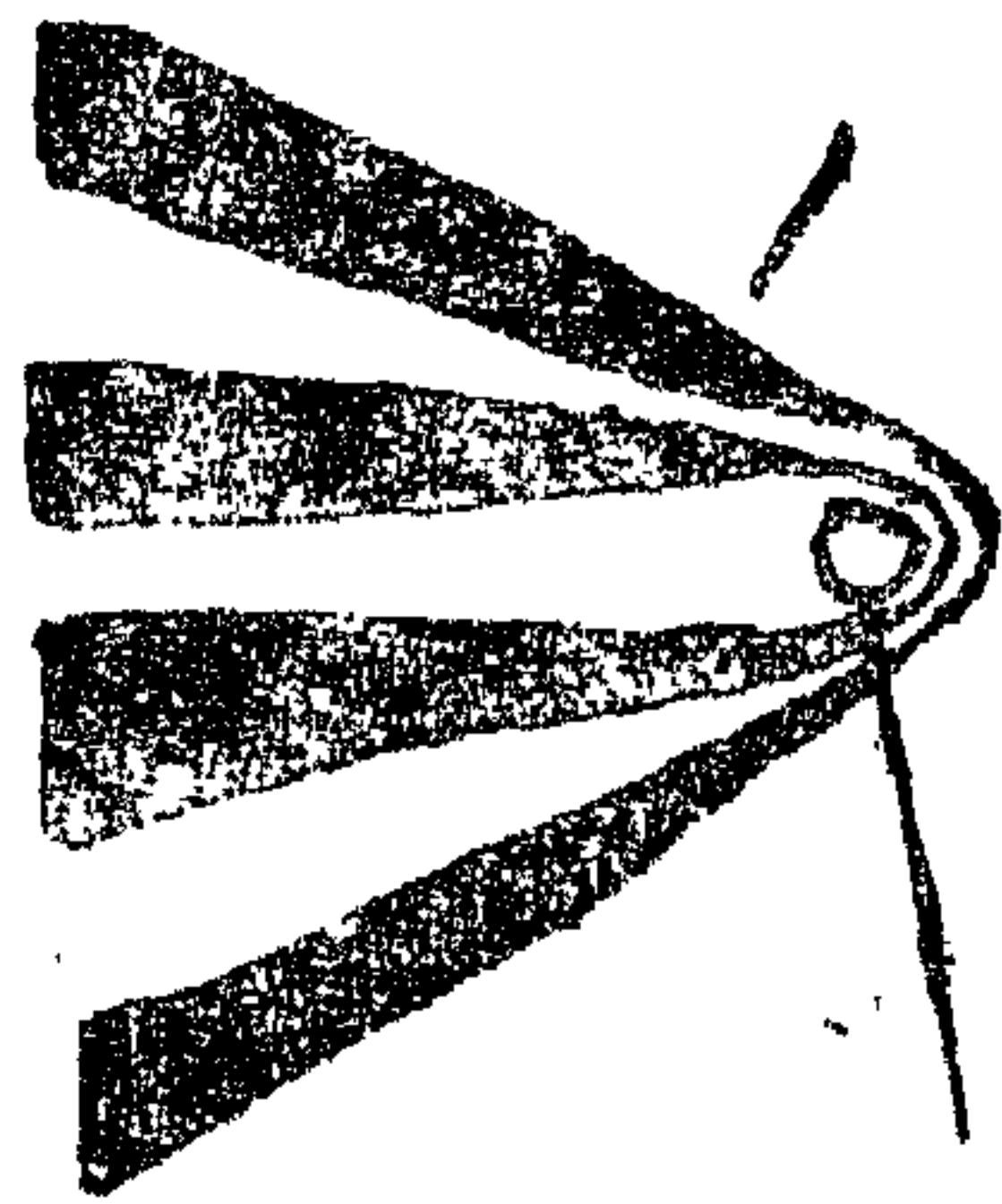
الشمس الحارقة فتحرق الغلاف الهوائي لكوكب
 الزهرة ، ويصبح مكونا من ثاني أكسيد
 الكربون بدلا من الأوكسجين والآزوت وهي
 مكونات الغلاف الجوي لكوكب الأرض .
 بل تتكون سحب من حامض الكبريتيك
 في غلاف كوكب الزهرة بدلا من الماء
 والثلج في الغلاف الجوي لكوكب الأرض .

إختراق الرياح الشمسية

يعمل المجال المغناطيسي القوي
 المغلف للكرة الأرضية على صد
 الرياح الشمسية المكونة من الغازات
 والمواد المتأينة والمضغوطة .

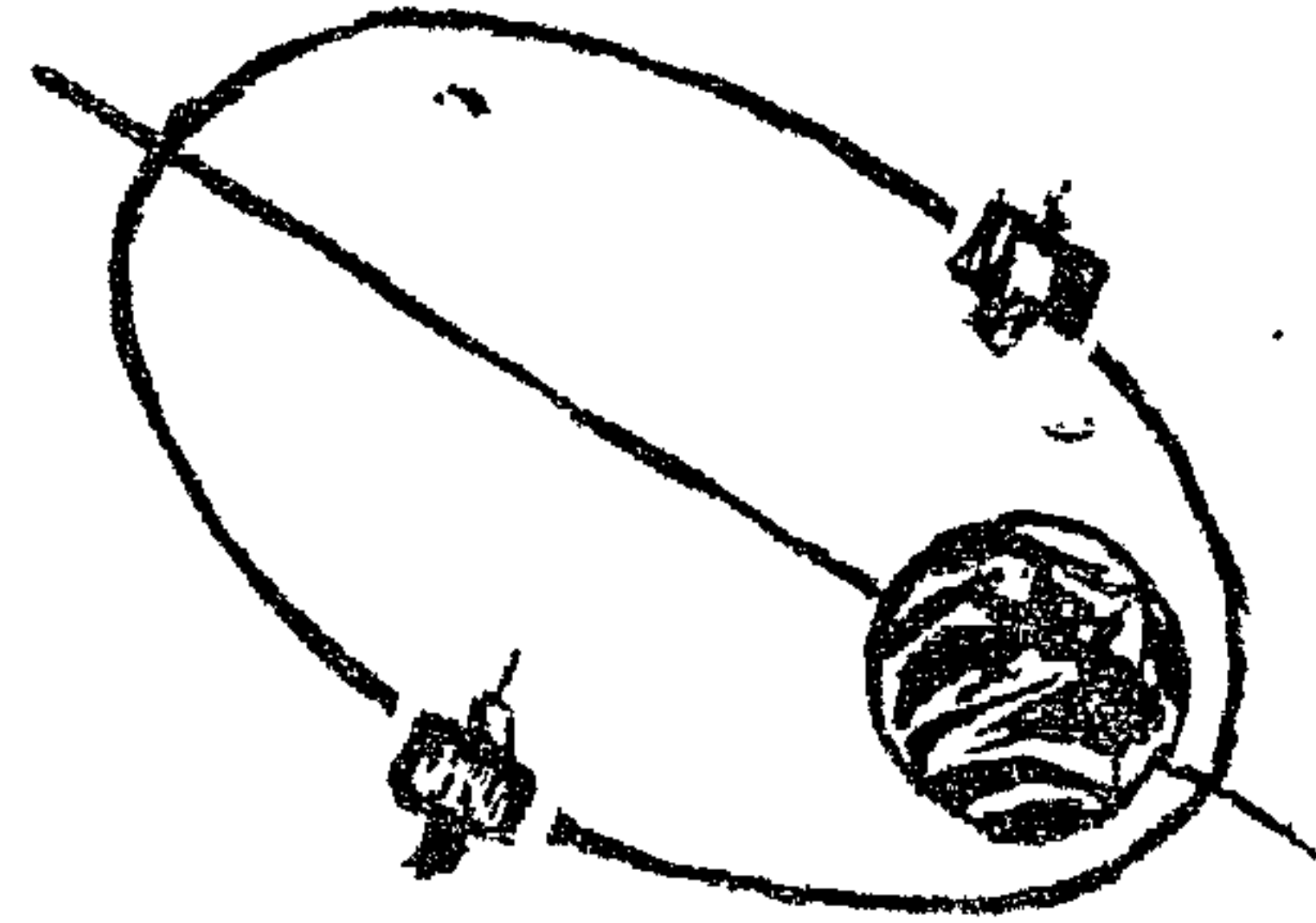
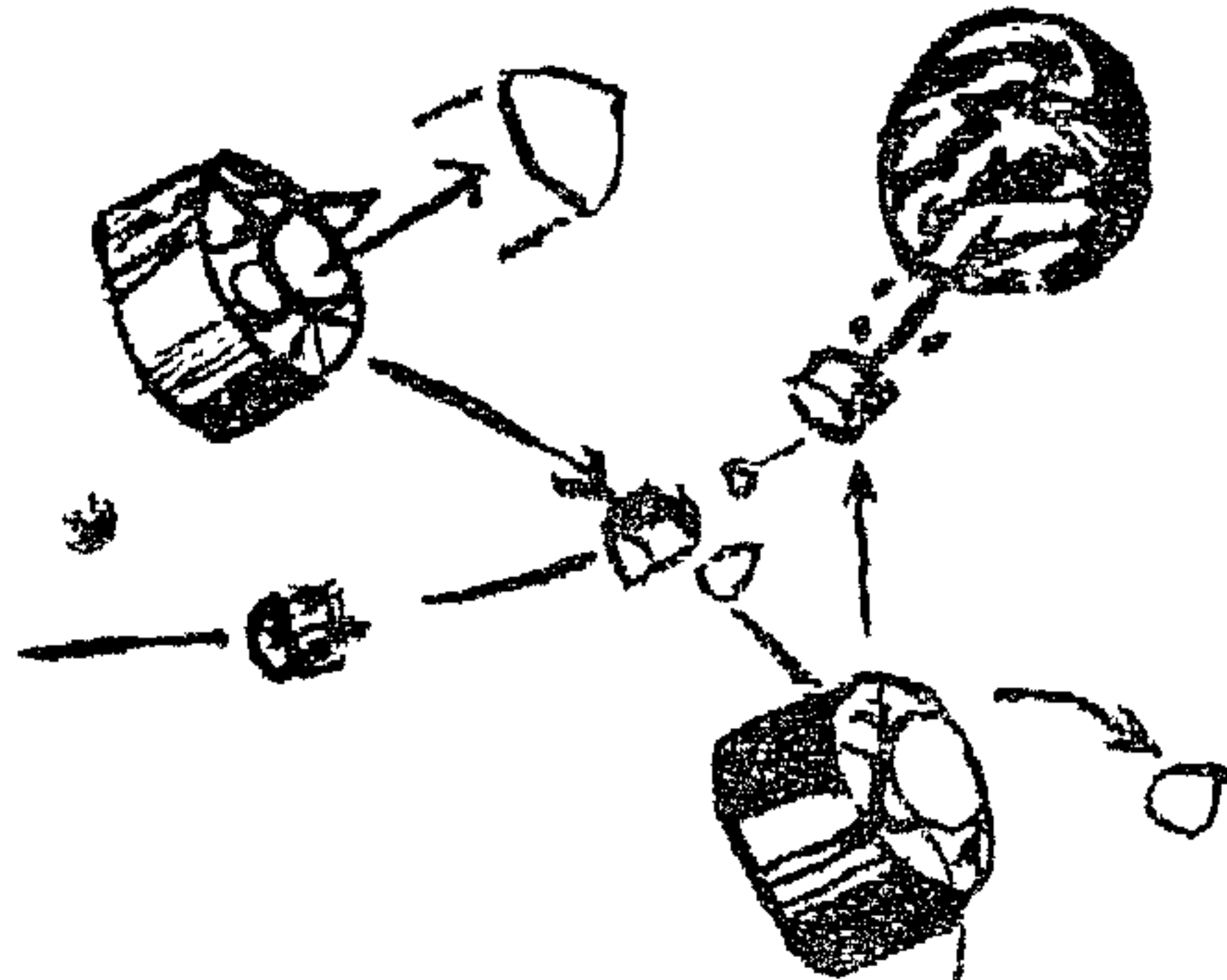


تخترق الرياح الشمسية الكهربية
 هيوكوكب الزهرة وذلك لعدم
 وجود الدرع المغناطيسي الواقية



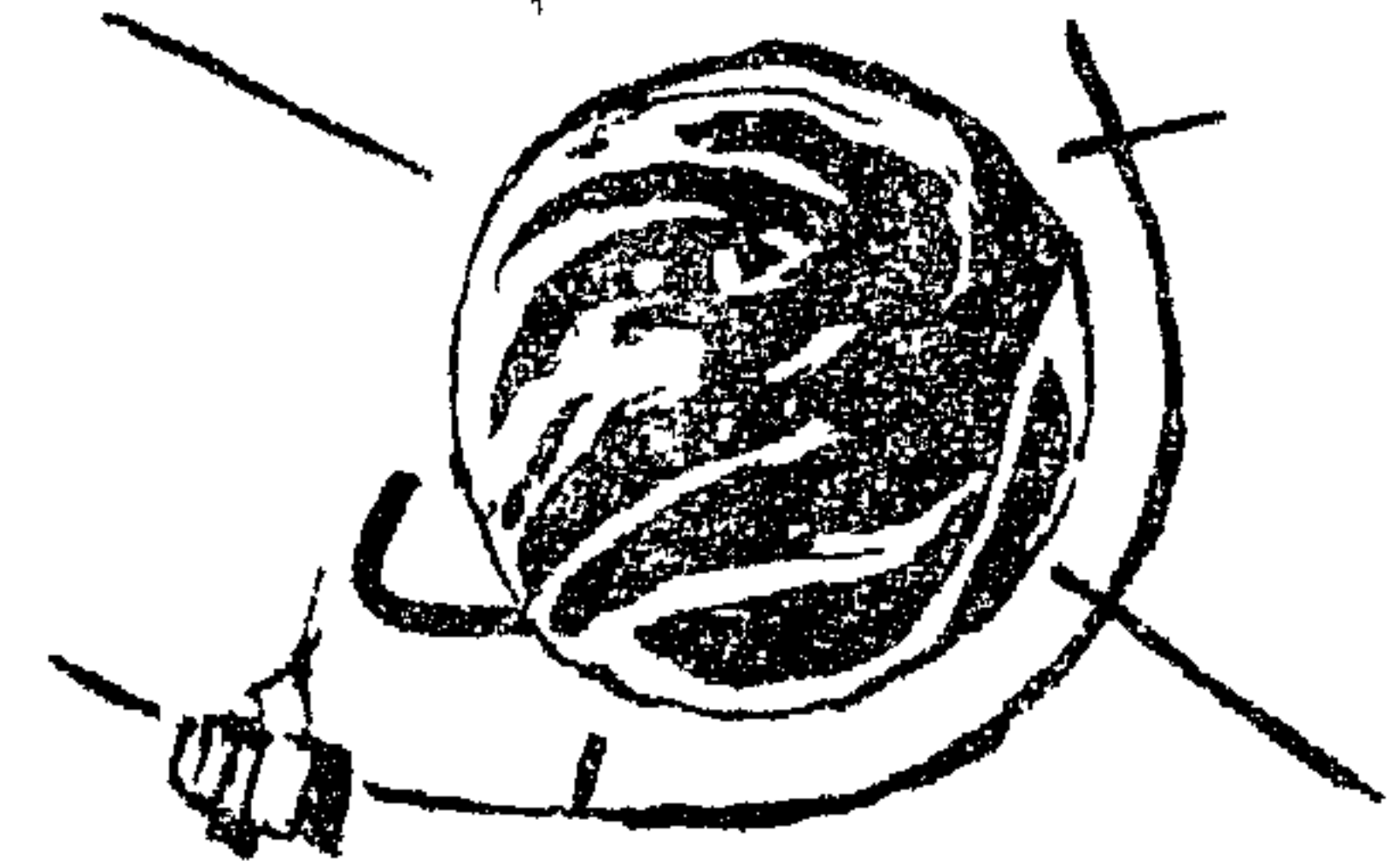
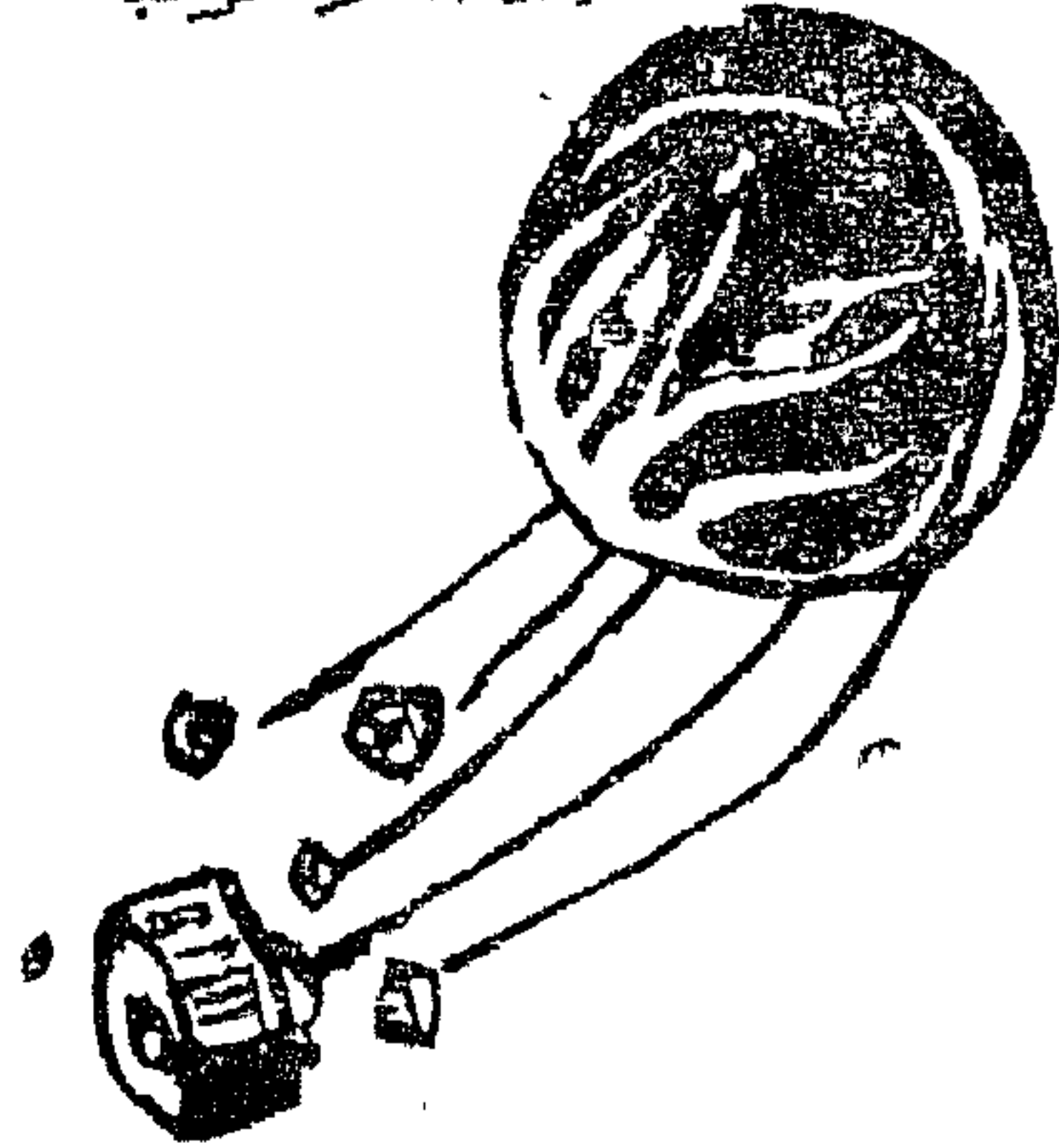
المركبة المدارية

المركبة الفضائية التي
تعمل مع عامل الحس



بتاريخ ٤ ديسمبر يبدأ عهد المركبات
في تقليل سرعة انطلاق المركبة
المدارية حتى تأخذ وضعها في مدار
بريضاوي تقطعه مرة خلال فترة
زمنية طولها ٢٤ ساعة

قبل أن تصل مركبة المحطات إلى
كوكب الزهرة بأربعة وعشرين يوما
ينطلق هذا المحطات وهو الأكبر
ويتمعه انطلاق المحطات الأصغر
بأربعة أيام ثم يبدأ انفاست
المحطات والمركبة على التوالي



تعمل أجهزة القياس
عند نقطة المدار الأقرب
إلى الزهرة ويكون بعدها
عن سطح الكوكب ٣٠ كيلومتر

إن ما يصدق من نظريات للاتزان الحراري
بين الشمس كمصدر وكوكب الزهرة وغلافه
الجوي يصدق أيضا على الأرض وغلافها
الجوي، وإن اختلفت طبيعة الوجود الأرضي
عن الوجود فوق سطح كوكب الزهرة
ذلك الوجود الذي سوف يزاح عنه الستار
بعد إتمام برنامج الكوكب الزائغ.

صلاح عامر

والتواعد والمعاملات التي يمكن بها استقرار
الاتزان الحراري الذي ربط بين الشمس
كمصدر للهب والحرارة ومختلف الإشعاعات
والغلاف الجوي لأي كوكب، كمخزن
يمتص طاقة الشمس من الهب والحرارة
ومختلف الإشعاعات، ثم يمد بها سطح الكوكب
الصلب فترتفع حرارته وتحدث فيه مختلف
التكوينات من مواد ومعادن أو كائنات.

قادة الفتح الاسلامى :

عبد الله بن عبد الملك بن مروان فاتح حصن سنان ، وطردته ، والمصيصة ، من بلاد الروم ، وأمر مصر للوارثين : محمد بن عبد الملك

نسبه وأيامه الأولى :

هو عبد الله بن عبد الملك بن مروان ابن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قصي القرشي الأموي^(٤) أبوه : عبد الملك بن مروان بن الحكم أمير المؤمنين وأمه : من أمهات الأولاد^(٥) ، ويريدون بتعبير أمهات الأولاد : الجوارى والإماء اللواتى ولدت لمواليهم ذكرانا .

نشأ عبد الله وترعرع في ظروف ملائمة كل الملائمة لاستكمال مزاياه الشخصية ،

أبوه خليفة من أبرز خلفاء بني أمية إن لم يكن أبرزهم كفاية وعلما وحزما وإدارة وسياسة وقيادة ، وظروفه الإدارية والعسكرية لا تخلو من مشا كل صعبة تعين على التدريب النظرى والتدريب العملى .

وكان التعام النظرى لاستيعاب العلوم المتيسرة السائدة حينذاك ميسورا لهم ولغيرهم من الناس ، إذ كان العلماء والشيوخ وقتذاك يعتبرون التعليم من أجل العبادات . والفرق الوحيد بين أبناء الخلفاء وغيرهم من

(١) حصن سنان : حصن في بلاد الروم ، انظر معجم البلدان (٣ - ٢٨٥) - (٥ - ١٤١) يرد ذكر لموقعه في المصادر الجغرافية القديمة المتيسرة لدينا ، ومن دراسة اتجاه فتوح عبد الله بن عبد الملك نجد أن الحصن في منطقة (ملطية) .
(٢) طرندة : مدينة تبعد عن (ملطية) ثلاث مراحل داخلية في بلاد الروم ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤٦-٤٦) .

(٣) المصيصة : مدينة على شاطئ نهر (جيجان) من ثغور الشام ، بين (أنطاكية) وبلاد الروم وتقارب (طرسوس) ، وكانت ذات سور وخمسة أبواب ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/٨١٤٨٠) والمسالك والممالك (٤٧) وآثار البلاد وأخبار العباد (٥٦٤) .

(٤) انظر التفاصيل في طبقات ابن سعد (٥-٣٢٣) وتهذيب الأسماء واللغات (١-٢٠٩) بجمهرة أنساب العرب (٨٩) وفواتم الوفيات (٢-٣١) وقادة فتح المغرب العربى (٢-٢٠٩) .

(٥) الطبرى (٥-٤٢٠) وابن الأثير (٤-٥١٩) والنجوم الزاهرة (١-٢١١) .

الناس ، هو أن أبناء الخلفاء يتلقون العلوم على جهابذة العلماء والشيوخ ، لذلك نشأ في عاصمة الخلافة (دمشق) ليتعلم علوم القرآن الكريم ويروى الحديث النبوي الشريف ويدرس التاريخ والسير وأيام العرب قبل الإسلام وبعده . ويتقن علوم اللغة صرفا ونحوا وبلاغة وعروضا ، ويتقن فنون الأدب الرفيع شعرا ونثرا ، ويتعلم الحساب والهندسة وتقويم البلدان ،

كما أن التدريب العملي بالممارسة كان ميسورا في الأمور السياسية فهو إلى جانب الخليفة المرجح الأعلى لتصريف تلك الأمور ، كما أنه إلى جانب الحاكمين من بني أمية يرى ويسمع كيف تعطى القرارات الخطيرة وكيف تصرف أمور الدولة .

كما تدرب عمليا على الفنون العسكرية : ركوب الخيل ، والرماية بالسهم ، والضرب بالسيوف والطحن بالرمح ، والسباحة ، وتحمل المشاق سيرا على الأقدام إلى مسافات طويلة في أيام متعاقبة وفي ظروف جوية قاسية ، والحرمان من الطعام والشراب مدة مناسبة وتناول الطعام الحشن والماء العكر وهي مناطق عليه في التعابير العسكرية الحديثة : التدريب العنيف .

ولكن هذا التدريب العسكري العملي لا يكفي ، لأنه تدريب فردي ، فلا بد من تلقي التدريب الإجمالي ، وهو ممارسة الجهاد جنديا

وقائدا في ساحة القتال ، ليطبق ماتعلمه من فنون عملية فردا ، على القتال تطبيقا عمليا ، وهذا مناطق عليه اليوم : تطعيم الحركة ، إذ لا فائدة من التدريب الفردي إلا إذ طبق عمليا في التدريب الإجمالي وأفضل أنواع التدريب الإجمالي هو القتال الفعلي .

وكما تدرب على الفنون العسكرية العملية تدرب على الفنون العسكرية النظرية : أساليب القتال ، والقضايا التعبوية ، واختيار المعسكرات ، وطرق الدفاع والهجوم والانسحاب والمطاردة ، ومعالجة الأمور العسكرية في الميدان ، والقضايا الإدارية .

وقد طبق الفنون العسكرية النظرية عمليا في ميدان الجهاد ، وبذلك جمع التدريب الفنى النظرى والعملى ، ووضع معلوماته العسكرية في حيز التنفيذ .

واعمل مما زاد في فرص تعليم وتدريب عبد الله ، أنه تلقى علومه وتدريباته في كنف والده أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، بعد استقرار مآكده في الدولة الإسلامية واستعادة (الوحدة) الشاملة لهذه الدولة سنة ثلاث وسبعين هجرية (١) (٦٩٢ م) ، إذ قضى على الخوارج في (البحرين) ، وأعاد بناء (الكعبة) المشرفة بمكة المكرمة على ما كانت عليه قبل ثورة عبد الله بن الزبير العارمة ، فانطقت الجيوش الإسلامية للفتح وإعادة المناطق المفتوحة إلى

(١) انظر تفاصيل استعادة الوحدة الشاملة في كتابنا : قادة فتح المغرب العربي (٢ - ١٠٩ - ١١٧)

والعائلية الكاملة قائدا وإداريا ، حتى توفي عبد المسلك سنة ست وثمانين الهجرية (٢٢) (٧٠٥ م) ، فأرسي عبد الملك أسس شخصية ابنه عبد الله على أسس رصينة ، تلك الأسس التي كانت عبارة عن : الدين والتفقه فيه والعربية وإتقان علومها ، والسياسة وممارسة قضاياها ، والإدارة وحل مشاكلها ، والعسكرية والتدريب على متطلباتها ، وبذلك أصبح عبد الله قائدا متميزا وإداريا محنكا .

لقد تهيأ لعبد الله العلم المكتسب والتجربة العملية ، فأتمت ثمراتها في مناصبه التي تولاها قائدا وإداريا .

في توطيد الأمن الداخلي

كان من أهم واجبات الحجاج بن يوسف الثقفي بعد أن تولى (العراقين) : العراق والمشرق سنة خمس وسبعين هجرية (٣) (٦٩٤ م) ، هو : القضاء على الفتن الداخلية في العراق وفي بلاد المشرق الإسلامي المفتوحة واستعادة البلاد المفتوحة التي انتفضت على الدولة الإسلامية ، وفتح بلاد جديدة .

ومضى الحجاج ينفذ هذه الواجبات يحزم وعزم وإقدام ، وكان (رتبيل) مصالحا يوذى الحجاج وربما امتنع منه (٤)

الدولة والتي انتفضت في بلاد الروم وإيران وفارس والسند وإفريقية ، وكان ثمرات استعادة (الوحدة) الشاملة أن أعادت الدولة الإسلامية بقيادة عبد الملك بن مروان - بعد ما عاناه من فتن داخلية واضطرابات وحروب أهلية ومشاكل واعتداءات خارجية - كامل سيطرتها على ما فتحه الخلفاء الأولون قبل عبد الملك ، وضم إلى الدولة فتوحا جديدة . بعد ما كان عبد الملك يدفع الإتاوة لإمبراطور (القسطنطينية) منذ توليه الخلافة إلى استعادة (الوحدة) الشاملة ، وكان يدفعها للروم أيام الفتن والحروب الداخلية والاضطرابات والمشاكل الأهلية (١) .

وقد تربى عبد الله في كنف أبيه بعد استعادة (الوحدة) الشاملة للدولة الإسلامية في جوكاه استقرار وأمن ودعة وبناء علمي وإداري وسياسي وعسكري ، في بداية العصر الذهبي لحكم بني أمية في (الشام) برعاية والده الحبيب العالم الأديب القائد الفاتح الداهية المتدرب ، فأفاد عبد الله من رعاية والده في وقت تفرغ فيه عبد الملك لرعاية شئونه الخاصة أكثر من السابق - يوم كان في دوامة الاضطرابات والقلق والمشاكل والفتن والحروب ، وبقى يحظى بالرعاية الأبوية

(١) ابن خلدون (٣-١٥٢) ، وانظر التفاصيل في كتابنا : قادة فتح المغرب العربي (٢-١١٣-١١٤) (٢) تاريخ بغداد (١٠-٢٩١) وتاريخ الخميس (٣-٣١١) والعبر (١-١٠٢) وشذرات الذهب (١-٩٧) والمعارف (٣٥٧) .
(٣) العبر (١-٨٥) وشذرات الذهب (١-٨٣)
(٤) ابن الأثير (٤-٤٥٠) .

فأراد الحجاج أن يصفي الحساب جندياً بين الدولة وبين (رتبيل) ، فأمر وإلى (سجستان) (١) سنة تسع وسبعين هجرية (٢) (٦٥٨م) أن يفاخره ، ولكنه اندحر أمام قواته متكبداً خسائر فادحة في الأرواح والأموال (٣) .

ولم يكن الحجاج ليسكت على اندحار قوة من قواته في إحدى الجهات ، لذلك عزم على أن ياتن (رتبيل) في عقر داره درساً قاسياً لا ينساه أبداً ، فاستأذن عبد الملك بن مرران في تسيير الجيوش إلى (رتبيل) . فلما أذن له بذلك ، عكف الحجاج على تجهيز الجيش . فجعل على أهل (الكوفة) عشرين ألفاً ، وعلى أهل (البصرة) عشرين ألفاً ، وجد في ذلك جداً لا هوادة فيه ، وأعطى الناس أعطياتهم كاملة ، وأنفق فيهم ألفي ألف سوى أعطياتهم ، وأنجدهم بالخيال الرائقة والسلاح الكامل ، وأعطى كل رجل يوصف بشجاعة وغناء ، وأمر على الجيش بعد الفراغ من إعداد عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث (٤) .

وسار عبد الرحمن على رأس جيشه ، وأحرز نصراً مؤزرًا على (رتبيل) ، فكتب إلى الحجاج بما فتح الله عليه وبما يريد أن يعدل (٥) .

وهناك روايات أخرى في إرسال عبد الرحمن ، لا مكان لها لأنها خارجة عن نطاق الحديث عن سيرة عبد الله بن عبد الملك .

وكان عبد الرحمن يرى أن يتركوا التوغل في بلاد (رتبيل) حتى يعرفوا طريقها ويحبوا خراجها ، وكتب بمجمل خطته هذه إلى الحجاج :

ولكن الحجاج رفض خطة عبد الرحمن وأمر عبد الرحمن بالوغل في أرض (رتبيل) وهدم حصونهم وقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم .

ودعا عبد الرحمن الناس وقال لهم : أيها الناس « إني لكم ناصح ولصالحكم محب ولكم في كل ما يحيط بكم نفعه ناظر ، وقد كان رأيي فيما بيني وبين عدوي

(١) سجستان : اسم منطقة واسعة بينها وبين (هراة) عشرة أيام أو ثمانون فرسخاً ، وهي جنوب (هراة) ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥ - ٢٧) ، وانظر حدودها في المسالك والممالك للاصطخري (١٣٨) وفيه : أن (سجستان) بفتح السين ، وانظر : آثار البلاد وأخبار العباد (٢٠١) .

(٢) الطبري (٦ - ٣٢٢) وابن الأثير (٤ - ٤٥٠) .

(٣) انظر التفاصيل في الطبري (٦ - ٣٢٢ - ٣٢٤) وابن الأثير (٤ - ٤٥٠ - ٤٥١) .

(٤) هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس بن معد يكرب الكندي ، انظر جهرة أنساب العرب (٢٥) ، وهو من أبطال العرب وأشرفهم وقادتهم وولايتهم .

(٥) انظر التفاصيل في الطبري (٦ - ٣٢٦ - ٣٢٩) وابن الأثير (٤ - ٤٥٤ - ٤٥٦) .

وكانت بيعته : نبأ على كتاب الله وسنة
نبيه صلى الله عليه وسلم ، وعلى جهاد أهل
الضلالة وخلعهم وجهاد الخليلين .

ولما بلغ الحجاج خاعه كتب إلى عبد الملك
بخبير عبد الرحمن ويسأله أن يعجل بعثة
الخنود إليه ، ثم سار الحجاج حتى نزل
(البصرة) .

وجهاز عبد الملك الخند إلى الحجاج ،
فسار الحجاج من (البصرة) إلى تستر (٢)
وقدم بين يديه مقدمة إلى (دجيل) (٣)
فلقى عنده نخيلاً لعبد الرحمن ، فانهزم
أصحاب الحجاج بعد قتال شديد ، وكان
ذلك يوم الأضحى سنة إحدى وثمانين
هجرياً (٧٠٠ م) .

فلما أتى خبر الهزيمة الحجاج ، رجع
إلى (البصرة) ، ثم أقبل حتى نزل (الزاوية) (٤)
وترك (البصرة) لأهل العراق ، وفرق
في الناس مئة وخمسين ألف درهم .

بما رضىه ذوا أحلامكم وأولئو التجربة منكم .
وكتبت بذلك إلى أميركم الحجاج ، فأتاني
كتابه يعجزني ويضيقني ويأمرني بتعجيل
الولوغ بكم إلى أرض العدو ، وهي
البلاد التي هلك فيها إخوانكم بالأمس ،
ولإنما أنا رجل منكم أمضى إذا مضيتم
وآبى إذا أبيتكم .

وثار إليه الناس وقالوا : بل نأبى
على عدو الله ولا نسمع له ولا نطيع !!

ووثب الناس إلى عبد الرحمن فبايعوه
على خلع الحجاج ونفيه من أرض العراق ،
وعلى النصرة له ، ولم يذكر عبد الملك .

وعاد عبد الرحمن إلى العراق بمن
معه ، فلما بلغ (فارس) (١) اجتمع الناس
بعضهم ببعض وقالوا : إذا خلعنا الحجاج
عامل عبد الملك ، فقد خاعنا عبد الملك ،

واجتمعوا إلى عبد الرحمن وخالعوا
عبد الملك إلا قليلاً منهم ، وبايعوا عبد الرحمن

(١) فارس : ولاية واسعة وإقليم فسيح ، أول حدودها من جهة للعراق (أرجان) - من جهة كرمان
(السيرجان) ، ومن جهة ساحل بحر الهند (سيراف) ، ومن جهة السند (مكران) وقصبتها (شيراز) ، وفي هذه
الولاية من أمهات المدن المشهورة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦ - ٣٢٤) وتقويم البلدان (٣٢١ - ٣٣١)
والمسالك والممالك للاصطخري (٦٧ - ٨٤) والمسالك والممالك لابن خردادبة (٤١ ، ٤٢) ومختصر كتاب البلدان
(١٩٥ - ٢٠٥) والاعلاق النفيسة (١٠٦) وأحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (٤٢٠ - ٤٥٩) وكتاب صورة الأرض
(٣٣٤ - ٢٧٣) .

(٢) تستر : أعظم مدينة بخوزستان ، وهي تعريب شوشتر ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢ - ٣٨٦)
المسالك والممالك للاصطخري (٦٤) وآثار البلاد وأخبار العباد (١٧٠) .

(٣) دجيل : نهر بالأهواز ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤ - ٤١ - ٤٢) .

(٤) الزاوية : موضع قرب البصرة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤ - ٣٧١) .

وأقبل عبد الرحمن حتى دخل (البصرة)
فبايعه جميع أهلها : قراؤها وكهولها
على قتال الحجاج ومن معه من أهل الشام. (١)

وخسر عبد الرحمن معركة (الزاوية)
فقصد (الكوفة) ، واستقر بها ، فاجتمع
إليه الناس ، وقصده أهل البصرة .

وسار الحجاج من (البصرة) إلى (الكوفة)
لقتال عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث
فتزل (ديرقره) (٢) ، وخرج عبد الرحمن
من (الكوفة) ، فتزل (دير الجماجم) (٣) .

وتفاقم أمر عبد الرحمن واستشرى
خطره ، فقال عبد الملك بن مروان وأهل
(الشام) : إن كان يرضى أهل العراق
نزع الحجاج عنهم نزعناه ، فإن عزله أيسر
من حربهم ، ونحتم بذلك الدماء ، فبعث
عبد الملك ابنه عبد الله وأخاه محمد بن
مروان بن الحكم ، وكان محمد بأرض
(الموصل) ، إلى الحجاج في جند
كثيف ، وأمرهما أن يعرضا على أهل العراق
عزل الحجاج وأن يجريا عليهم أعطياتهم
كما تجرى على أهل (الشام) ، وأن يتزل
عبد الرحمن بن محمد أى بلد شاء من
بلاد العراق ، فإذا نزله كان واليا عليه

مادام حيا وعبد الملك خليفة ، فإن أجاب
أهل العراق إلى ذلك عزلا الحجاج عنها
وصار محمد بن مروان أمير العراق ، وإن
أبى أهل العراق قبول ذلك ، فالحجاج
أمير الجماعة ووالى القتال ، ومحمد بن
مروان وعبد الله بن عبد الملك فى طاعته .

وحاول الحجاج أن يعيد عبد الملك
ابن مروان النظر فى أمر عزله ، فأبى
عبد الملك إلا عرض عزله على أهل العراق .

وخرج عبد الله بن عبد الملك إلى جدوع
أهل العراق وعلى رأسهم عبد الرحمن بن
محمد ابن الأشعث فقال : « يا أهل العراق
أنا ابن أمير المؤمنين ، وهو يعطيكم كذا
وكذا .. »

وخرج محمد بن مروان فقال : « أنا
رسول أمير المؤمنين ، وهو يعرض عليكم
كذا وكذا .. »

فقال أهل العراق : نرجع العشيّة .
واجتمع أهل العراق عند ابن الأشعث
فقال لهم : قد أعطيتم أمرا ، انتهاكم اليوم
إياه فرصة ، وأنكم اليوم على النصف ، فإن
كانوا اعتدوا عليكم يوم (الزاوية) ، فأنتم
تعتدون عليهم بيوم (تستر) ، فاقبلوا

(١) انظر التفاصيل فى الطبرى (٦ - ٣٣٤ - ٣٤١) وابن الأثير (٤ - ٤٦١ - ٤٦٦)

(٢) ديرقره : ديربازاء الجماجم ، وهو ملاصق لطرف البر ، ودير الجماجم مما يلي الكوفة ، انظر التفاصيل
فى معجم البلدان (٤ - ١٦٢) .

(٣) دير الجماجم : دير بظاهر الكوفة على سبعة فراسخ منها ، على طرف البر للسالك إلى البصرة ، انظر التفاصيل
فى معجم البلدان (٤ - ١٣١ - ١٣٢) .

ما عرضوا عليكم وأنتم أعزاء أقوياء
لقوم هم لكم هائبون وأنتم لهم منتقصون
فوالله لازلت عليهم جراء وعندهم أعزاء
أبدا ما بقيتم .

ووثب الناس من كل جانب ، فقالوا :
إن الله قد أهلكهم فأصبحوا في الضنك
والحجاعة والقلّة والذلة ، ونحن ذوو العدد
الكثير والسعر الرخيص والمادة القريبة ،
لا والله لا نقبل !

وأعاد أهل العراق خلع عبد الملك ثانية
فقال عبد الله بن عبد الملك ومحمد بن
مروان للحجاج : «شأنك بعسكرك وجندك ،
واعمل برأيك ، فإننا قد أمرنا أن نسمع
لك ونطيع » فقال : «قد قلت إنه لا يراد
بهذا الأمر غيركم » فكانا يسلمان عليه
بالأمر ويسلم عليهما بالأمر أيضا .

وجعل كل من الحجاج وابن الأشعث
قواته على تعبئة : ميمنة وميسرة ،
والخيالة ، والريجالة ، والقلب ، وجعل
على كل تشكيل من تشكيلات القتال
قائدا مسئولاً ، وجعل ابن الأشعث على
القراء - وهم علماء المسلمين وفقهاؤهم
ومحدثوهم - قائدا .

وأخذ الطرفان يتزاحقان كل يوم
ويقتتلان ، وأهل العراق تأتيهم موادهم

التدوينية من (الكوفة) وسوادها ، وهم
في خصب ، وأهل الشام في ضنك شديد
قد غلت عليهم الأسعار ، فقد عندهم
اللحم كأنهم في حصار .

وكان أشد الناس ثباتا واستبسالاً القراء
من أصحاب الأشعث ، وكانوا قد ألفوا
كتيبة منهم هي القراء ، فعياً الحجاج
لكتيبة القراء ثلاث كتائب ، فحملوا
على القراء ثلاث حملات : كل كتيبة
تحمل حملة ، فلم يبرحوا وصبروا ،
وحملوا على كتائب الحجاج حتى أزالوها
وفرّقوها ، ثم تقدموا حتى واقعوا صفهم
فأزالوه .

واستمر الاقتتال بين الإخوة مئة وثلاثة
أيام ، فقد كان نزول عبد الرحمن بن
محمد بن الأشعث (دير الجماجم) لثلاث
مضين من ربيع الأول ، وكانت الهزيمة لأربع
عشرة مضين من جمادى الآخرة ، حيث
انتصر الحجاج على ابن الأشعث بعد قتال
مرير (١) .

وعاد محمد بن مروان إلى (الموصل)
وعاد عبد الله بن عبد الملك إلى (الشام)
ورجع الحجاج إلى (الكوفة) .

وأتى عبد الرحمن (البصرة) فاجتمع
إليه من المنهزمين جمع كثير ، وباعه خلق

(١) انظر التفاصيل في الطبري (٦ - ٣٤٢ - ٣٥٠) وابن الأثير (٤ - ٤٦٧ - ٤٧٢) ، وانظر ابن
خلدون (٣ - ١١٠) والبدء والتاريخ (٦ - ٣٦) والتنبية والاشراف (٢٧٢) .

كثير على الموت، فاجتمعوا بـ (مسكن) (١) ولكن قواته انهزمت أمام قوات الحجاج (٢).

وبدأت مطاردة قوات الحجاج لفلول ابن الأشعث، فقاتلت قوات ابن الأشعث في انسحابها بمواضع كثيرة، حتى وصل ابن الأشعث (رتبيل) (٣)، وأخيرا مات أو قتل في اختلاف كثير بالروايات فانتهت حروب داخلية طاحنة، تكبد فيها الطرفان خسائر لا تعد ولا تحصى (٤).

وقضى ابن الأشعث نجبه سنة خمس وثمانين هجرية (٥) (٧٠٤م).

وكانت عودة عبد الله بن عبد الملك إلى (الشام) بعد انتصار الحجاج على ابن الأشعث في معركة (دير الجماجم) الحاسمة سنة ثلاث وثمانين الهجرية (٧٠٢م) وكان قد قدم إلى العراق سنة اثنتين وثمانين الهجرية (٧٠١م).

ولست بصدد البحث عن أسباب ثورة ابن الأشعث، ولا بصدد الحديث في أسباب تهافت أهل العراق على الإقبال عليها والمشاركة فيها، ولا بصدد تعداد

نتائجها القريبة والبعيدة وأثرها في الدولة، ولا بصدد إبراز أسباب انتصار الحجاج على ابن الأشعث، فكان كل هذه الدراسات والبحوث في الحديث عن هذا الاقتتال بين الأخوة، مما أدى إلى تعميق العداوة بين القبائل العربية التي كانت مادة الفتح وأساسه. وعجل في نهاية بني أمية وتغلب العنصر الأعجمي على العنصر العربي. ولكن ما أردته من إبراز أهم معالم هذه الثورة، هو إظهار أثر عبد الله بن عبد الملك فيها، وتأثيرها فيه.

وهدف من تسليط الأضواء على أهم معالم الاقتتال بين الأخوة في هذه الثورة، هو إظهار أهمية الواجب الذي حمّله عبد الله في تلك الأيام العصيبة التي كادت تعصف بالدولة عصفًا.

إن عبد الله لم يكن قائدا مسؤولا في المعارك التي خاضها الحجاج، ولكن الحجاج لا يغفل عبد الله في مجال الرأي وسم الخطط ودعم القوات ماديا ومعنويا.

أما الدعم المادي، فمن الواضح أن عبد الملك حشد طاقاته المادية لاحتراز النصر،

(١) مسكن : موضع قريب من (أوانا) على نهر (دجيل) عند دير (الجائليق)، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨ - ٥٤)، وأوانا : بليدة من فواحي (دجيل) بغداد بينها وبين بغداد عشرة فراسخ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١ - ٣٦٦)، أقول : وهي بالقرب من (سميكة) أو (الدجيلة الحالية)، والمكان معروف.

(٢) انظر التفاصيل في الطبري (٦ - ٣٦٦) وابن الأثير (٤ - ٤٨٢ - ٤٨٣).

(٣) انظر التفاصيل في الطبري (٦ - ٣٦٧ - ٣٨٣) وابن الأثير (٤ - ٤٨٤ - ٤٩٤).

(٤) انظر التفاصيل في الطبري (٦ - ٣٨٩ - ٣٩٣) وابن الأثير (٤ - ٥٠١ - ٥٠٢).

(٥) الطبري (٦ - ٣٨٩) وابن الأثير (٤ - ٥٠١).

وقد كان للمال وهو عصب الحرب أثر حاسم في هذا النصر ، لأن أكثر المقتتلين من الطرفين كان يهتم بمتطلبات جيبه أكثر من اهتمامه بمتطلبات قايه .

أما الدعم المعنوي ، فوجود ابن الخليفة بين المقتتلين يؤثر في المعنويات تأثيرا كبيرا : يرفع معنويات الحجاج وقواته ، ويزعزع معنويات ابن الأشعث ورجاله .

وكما أثر عبد الله في المعارك ونتائجها ، فقد أثرت فيه شخصيا : أغنت تجاربه في القيادة وإدارة القتال وفي معرفة الطبيعة البشرية للمقاتلين ومعرفة طاقاتهم وكفائاتهم كما وضعت معلوماته العسكرية في محك التطبيق العملي ، وجعلته يعيش المعارك بما فيها من صعوبات ومشاق ومآس ، وهو مانطلق عليه اليوم في المصطلحات العسكرية الحديثة تطعيم المعركة .

في ميدان الجهاد

١- في سنة اثنتين وثمانين الهجرية (٧٠١م) ، غزا عبد الله بلاد الروم ،

ففتح حصن (سنان) من ناحية (المصيصة)^(١) .

والظاهر أن عبد الله شهد هذه الغزوة قبل أن يرحل إلى العراق لخوض معركة (دير الحجاج) ، ورحل بعد ذلك إلى الحجاج ابن يوسف الثقفي في العراق للسفارة بين عبد الملك بن مروان وأهل العراق ، كما ذكرنا ذلك .

٢- وفي سنة ثلاث وثمانين الهجرية (٧٠٢م) غزا عبد الله بلاد الروم ، ففتح (طرندة)^(٢) .

وقد قاتل عبد الله الروم بـ (سورية)^(٣) و (لؤلؤة)^(٤) ، فهزمهم^(٥) .

والظاهر أن عبد الله غزا الروم بعد عودته من العراق .

وقد أمر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بالقفول من (طرندة) سنة مئة الهجرية (٧١٨م) لأنها واغلة في البلاد الرومية من (ملطية)^(٦) بثلاث مراحل

(١) تاريخ ابن خياط (١-٢٨٩) وانظر معجم البلدان (٣-٢٨٥) و (٥-١٤١) .

(٢) ابن الأثير (٥-٥٤) وانظر معجم البلدان (٦-٤٦) .

(٣) سورية : موضع بالشام بين (خناصر) و (سلمية) ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥-١٧١) .

(٤) لؤلؤة : قلعة قرب (طرسوس) ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧-٣٤٣) .

(٥) تاريخ ابن خياط (١-٢٩٠) .

(٦) ملطية : بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة ، تتاخم بلاد الشام ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨-١٥٠) وآثار البلاد وأخبار العباد (٥٦٤) والمسالك والممالك لابن خردادبة (٩٧) والبلدان لابن الفقيه (٢٥) وتقويم البلدان (٣٨٤) .

وكان عبد الله قد أسكنها المسلمين بعد أن غزاها سنة ثلاث وثمانين الهجرية (٧٠٢م) (ملطية) يومئذ خراب ، وكان أهل (طرندة) يأتهم جندهم من (الجزيرة) يقيسون عندهم إلى أن ينزل الثلج ويعودون إلى بلادهم فلم يزالوا كذلك إلى أن ولي عمر بن عبد العزيز ، فأمرهم بالعودة إلى (ملطية) وأخلى (طرندة) خوفا على المسلمين من العدو ، وخربوا (طرندة) (١٥) .

وكان قرار عمر بن عبد العزيز رضى عنه في انسحاب أهل (طرندة) منها إلى (ملطية) صائبا ، لأن (طرندة) أصبحت معزولة عن القواعد المتقدمة للمسلمين فليس من المستبعد أن يباغتها الروم بالهجوم عليها وإبادة سكانها ، خاصة وأن الروم ارتفعت معنوياتهم بعد انسحاب المسلمين من (القسطنطينية) . كما أصبحت للروم قيادة قوية حازمة بعد تولى (ليوم) عرش الروم (٢٢) .

٣- وفي سنة أربع وثمانين الهجرية (٧٠٣) غزا عبد الله بلاد الروم ، ففتح (المصيصة) (٢٣) فبناها (٢٤) وبني حصنها على

أساسه القديم ، ووضع بها سكانا من الجند ، فيهم ثلاثمائة رجل انتخبهم من ذوى البأس والنجدة المعروفين ، ولم يكن المسلمون يسكنونها قبل ذلك ، وبني فيها مسجدا فوق تل الحصن (٥) . ثم سار في جيشه حتى غزا حصن (سنان) ففتحه ، كما وجه قسما من قواته فأغارت ثم عادت إليه (٦) .

والذى يبدو أن حصن (سنان) الذى فتحه عبد الله سنة اثنتين وثمانين الهجرية (٧٠١م) انتفض : فأعاد فتحه ثانية .

وهذا يدل على أن الحدود الشمالية الغربية المتاخمة لبلاد الروم لم تكن حدودا آمنة ، وأن الروم كانوا يستعيدون الأماكن المفتوحة إذا استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، فحصن (المصيصة) وحشد فيها الجنود واختار الشجعان منهم للدفاع عنها ، لكي تكون قاعدة متقدمة آمنة ، تصد هجمات الروم وتقوى على مصابوهم ، ولتكون منطلقا قويا وقاعدة رصينة للثباتين .

وقد دخل عبد الله من درب (أنطاكية) (٧) حتى أتى (المصيصة) (٨) .

(١) ابن الأثير (٥ - ٥٤) وانظر معجم البلدان (٦ - ٤٦)

(٢) انظر التفاصيل عن الانسحاب من (القسطنطينية) في سيرة مسلمة بن عبد الملك بن مروان .

(٣) الطبرى (٦ - ٣٨٥) وابن الأثير (٤ - ٥٠٠) والنجوم الزاهرة (١ - ٢٠٧) والبلاذرى (٢٢٥)

(٤) ابن الأثير (٤ - ٥٠٠) وتاريخ ابن خياط (١ - ٣٩٢) .

(٥) البلاذرى (٢٢٥ - ٢٢٦) وابن الأثير (٤ - ٥٠٠) .

(٦) البلاذرى (٢٢٦) .

(٧) أنطاكية : مدينة عظيمة من أعيان المدن على طرف بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) ولها قلعة عالية

جداً تقيين من بعد بعيد ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١/٣٥٣) وآثار العباد (١٥٠) وتقويم البلدان (٢٥٦ - ٢٥٧)

(٨) البلاذرى (٢٢٥) .

٤ - ومن المعلوم أن منطقة (المصيصة)
 فتحت أيام عمر بن الخطاب رضي الله
 عنه بقيادة أبي عبيدة بن الجراح^(١) رضي
 الله عنه ، ولكن الفتن الداخلية التي استعرت
 بعد عمر بن الخطاب ، جعل الروم يستعيدونها
 ولما استقرت الأمور في أيام معاوية بن أبي
 سفيان أعاد تلك المنطقة إلى المسلمين ، ولكن
 الروم استعادوها ثانية بعد معاوية لانشغال
 المسلمين بالقتال فيما بينهم ، حتى تولى
 عبد الملك بن مروان ، فأعادها إلى سيطرة
 المسلمين على يد ابنه عبد الله وبنائها وحصنها ،
 فكان أول من حصن (المصيصة) في الإسلام ،
 وذلك في سنة أربع وثمانين الهجرية (٧٠٣ م) ،
 وقد تم بناؤها وشحنها بالرجال وما يحتاجون
 إليه من قضايا إدارية : تموين ، إعاشة ،
 أساحة ، خيل ، نقالية ، سنة خمس وثمانين
 الهجرية (٧٠٤ م) ، فكانت الطوالع
 تطاع عليها كل عام من (انطاكية)
 فشتوا بها ثم تنصرف بعد خروج الصوائف ،
 وعدة من كان يطلع إليها ألف وخمسمائة إلى
 الألفين وشخص عمر بن عبد العزيز رضي الله
 عنه إلى (المصيصة) ، فأراد هدمها وسحب
 حاميتها منها ، كما أراد هدم الحصون
 بينها وبين (انطاكية) قائلا : « أكره أن
 يحاصر الروم أهلها » ، فأعلمه الناس أنها
 إنما عمرت ليدفع من بها الروم عن (انطاكية)

فأمسك عن هدمها وبنى لأهلها مسجدا واتخذ
 فيه صهريجاً ، وكان اسمه مكتوبا عليه ،
 وهو يدعى : « مسجد الحصن (٢) » .

وهكذا أصبحت (المصيصة) القاعدة
 المتبقية للمسلمين في بلاد الروم ، كما
 أصبحت الخط الدفاعي الأمامي عن (انطاكية)
 وكان الفضل في جعل (المصيصة) ذات
 أهمية خاصة في الدفاع عن حدود الدولة الإسلامية
 وقاعدة متقدمة للفتح يرجع لعبد الملك بن
 مروان وابنه عبد الله الذي أعاد فتحها بعد أن
 استعادها الروم ، وكان فاتحها الأول
 أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ، ولكنه
 لم يكن فتحاً مستداماً ، فجعله عبد الله
 فتحاً مستداماً .

وكما كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه
 قد مهد للعصر الذهبي الأول للفتح الإسلامي
 الذي جرى في عهد عمر بن الخطاب رضي
 الله عنه ، كان عبد الملك قد مهد للعصر
 الذهبي الثاني للفتح الإسلامي في عهد الوليد
 ابن عبد الملك .

وكان عبد الله من أعوان أبيه في التمهيد
 لانطلاقة العصر الذهبي الثاني للفتح الإسلامي .

الانسان

تولى عبد الله مدينة (حمص) لأبيه
 عبد الملك بن مروان^(٣) ، وقد انفرد ابن

(١) انظر سيرته في كتابنا : قادة فتح الشام ومصر (٥٤ / ٨١)

(٢) البلاذري (٢٢٦)

(٣) تاريخ ابن خياط (١ - ٣٠١)

وقيل : من سنة ست وثمانين الهجرية^(٣) (٧٠٥ م) وأرجح أنه دخل (مصر) في جمادى الآخرة سنة خمس وثمانين الهجرية ، لأن أمير (مصر) السابق عبد العزيز بن مروان أتوفى في جمادى الأولى سنة خمس وثمانين الهجرية ، وليس من المعقول أن يتأخر وصول عبد الله إلى (مصر) سنة وشهرا ، إذ لا مسوغ لهذا التأخير وبخاصة وأن عبد الملك لم يكن مرتاحا من حكم أخيه عبد العزيز لمصر ، وكان يحاول خلعه من ولاية العهد ويبيع ابنه الوليد بن عبد الملك ، ولكن المنية عاجلت أخاه قبل أن يمضي قدما في تنفيذ خطة خلع^(٤) .

وكان عبد الملك قد أمر ابنه عبد الله أن يعنى آثار سلفه عبد العزيز بن مروان ، فاستبدل عبد الله عمالا من الأصحاب بعمال عبد العزيز ، واستبدل قضاة جردا بقضاة عبد العزيز ومنع من لبس البرانس^(٥) ، وكانت فيه شدة وبأس^(٦) .

خياط في تاريخه بذكر هذه التولية ، دون أن يذكر تاريخ تسلمه هذا المنصب ، وتاريخ تخليه عنه ، والذي يبدو أنه تولى هذا المنصب سنة اثنتين وثمانين الهجرية (٧٠١ م) وهي السنة التي تولى فيها قيادة جيش من جيوش المسلمين لحرب الروم ، وكان الولاة يتولون الغزو في مناطقهم أو في الحملات التي تحمي مناطقهم أو في غزوات فتح البلاد التي تجاورهم ، وقد كان جند (حمص) من أهم جنود الشام ، فمن المحتمل أنه تولى قيادة جيش (حمص) في غزواته التي بدأت سنة اثنتين وثمانين الهجرية (٧٠١ م) وانتهت سنة أربع وثمانين الهجرية (٧٠٣ م) ، باعتباره واليا على (حمص) .

وفي سنة خمس وثمانين الهجرية (٧٠٤ م) ولاه أبوه عبد الملك بن مروان (مصر)^(١) على صلاتها وخراجها^(٢) ، فدخلها يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة خمس وثمانين الهجرية (٧٠٤ م)

(١) الطبرى (٤٣٠ / ٦) والنجوم الزاهرة (٢١٠ / ١) وابن خلدون (٢٩٢ / ٣) وانظر تاريخ ابن خياط (٣٠٠ / ١) .

(٢) الولاة والقضاة (٥٨) .

(٣) النجوم الزاهرة (٢١٠ / ١) ، أما في الولاة والقضاة ، فذكر أنه دخل مصر في جمادى الآخرة سنة خمس وثمانين الهجرية انظر الولاة والقضاة (٥٨) .

(٤) الطبرى (٤١٣ / ٦) وابن الأثير (٥١٣ / ٤) والبداية والنهاية (٥٧ / ٩) وابن خلدون (١٢٦ / ٣) والنجوم الزاهرة (١٧٣ / ١) .

(٥) البرانس : ج برنس : قلنسوة طويلة ، كان النساك يلبسونها في صدر الإسلام ، والقلنسوة تلبس في الرأس انظر الافصاح (٣٧٦ / ١) وانظر معجم متن اللغة (٢٨٤ / ١) والوسيط (٥٢ / ١) .

(٦) النجوم الزاهرة (٢١٠ / ١) وانظر الولاة والقضاة (٥٨) .

الذى بالظاهر : قبله الطريق الأعظم إلى المسجد الجامع ، وبحريه الطريق الذى تسلك إلى سوق بربر ، وشرقيه السويقة التى يقال لها سويقة (مسجد عبد الله) على طريق (الموقف) ، وغربيه الطريق الذى يسلك منه على الحب الذى يقال له : (جب عبد الله) . . . (٤) ، وذكرت تفاصيل وثيقة هذا المسجد للدلالة عن موقعه بدقة فى مدينة (القاهرة) .

كما أمر عبد الله بسقف المسجد الجامع أن يرفع سمكه ، وكان سقفه مطأطئا وذلك سنة تسع وثمانين الهجرية (٥) (٧٠٧ م) .

ووقعت سنة سبع وثمانين الهجرية (٧٠٥ م) بمصر (الشرقي) (٦) ، فغلت الأسعار بها إلى الغاية ، حتى قيل : أن أهل (مصر) لم يروا فى عمرهم مثل تلك الأيام ، وقاست أهل (مصر) شدائد بسبب الغلاء ، فاستشأم الناس بكعبه ، وزعموا أنه جائر وأنه ارتشى (٧) .

وتوفى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان يوم الخميس لأربع عشرة ليلة نخلت من شوال سنة ست وثمانين الهجرية (١) (٧٠٥ م) ، وبويع ابنه الوليد بن عبد الملك ، فأقرأخاه عبد الله على صلاة مصر وخراجها ، وأمر عبد الله بالدواوين ، فنسخت بالعربية ، وكانت قبل ذلك تكتب بالقبطية ، وصرف عن الديوان صاحبه القبطى وولاه عربيا من أهل (حمص) وذلك سنة سبع وثمانين الهجرية (٧٠٦ م) ، وابتنى عبد الله المسجد المعروف بمسجد عبد الله (٢) وكان موضع هذا المسجد يجلس فيه أهل المدينة يتحدثون فيه ، فر بهم يوما عبد الله وهو أميرهم بمصر ، فسألوه أن يبنى لهم فيه مسجدا ، وشكوا إليه ما يلقون من الشمس ، فبناه لهم ، فكانوا يجتمعون فيه . وجعلت له حوانيت غلة له ، وكتب القاضى وثيقة بنائه وهى : « بسم الله الرحمن الرحيم » هذا كتاب أمر به القاضى عبد الرحمن بن عبد الله (٣) وهو يومئذ (مسجد عبد الله)

(١) الولاة والقضاة وانظر العبر (١ - ١٠٢) والبداية والنهاية (٩ / ٦١) وشذرات الذهب (١ / ٩٧)

(٢) الولاة والقضاة (٥٨ - ٥٩) .

(٣) انظر سيرته فى الولاة والقضاة (٤٠٦ / ٤١١) .

(٤) انظر التفاصيل فى : الولاة والقضاة (٧٠٢ / ٧١٠) ، ويراجع كتاب : الانتصار لواسطة عقد الأمصار

حول المسجد الجامع (٥٩ / ٧١) ، وسوق بربر (٣٢) ، الموقف (٣٤)

(٥) انظر التفاصيل فى : الولاة والقضاة (٥٨ / ٦٠) ، وانظر ما جاء عن تعمیر المسجد الجامع فى : الانتصار

لواسطة عقد الأمصار (٦٣)

(٦) الشراقي : (فى كلام أهل مصر) : الأرض التى لم يصلها ماء النيل ، فإذا رويت جادت ، وسميت :

رى الشراقي ، انظر معجم الوسيط (١ / ٤٨٠)

(٧) النجوم الزاهرة (١ / ٢١١) والولاة والقضاة (٥٨ / ٥٩) .

ولما شاع ذلك عنه ، طلبه أخوه الوليد ابن عبد الملك من مصر ، فخرج عبد الله واستخلف على عمله ، وكان أهل (مصر) في شدة عظيمة من عظم الغلاء ، فأقام عند الوليد مدة يسيرة ثم عاد إلى مصر (١) .

ومن الواضح أن الوليد جاب أخاه عبد الله على ما أشيع عنه الظلم ، والرشوة ، ويبدو أنه خرج بريثا ، ناصح الحبين من ذلك الحساب ، فأعاده الوليد إلى عمله ثانية .

والمعروف عن المصريين منذ القدم حتى اليوم ، أنهم قد يصبرون على كل شيء إلا الغلاء ، وهم يغضبون إذا اجتاحتهم الغلاء ، ويتصدون لمن يظنون أنه سببه بكل قوة وشجاعة ، وهذا يفسر لنا أسباب تدميرهم من عبد الله حين ارتفعت أسعار المواد الغذائية ولم يكن لعبد الله ذنب مباشر أو غير مباشر في الغلاء ، إذ لا حيلة له في قلة مياه نهر النيل ، ولا يستطيع أن يفعل شيئا في زيادة تدفق المياه أو نقصها، ولا يستطيع غيره أن يفعل شيئا .

كما أن المعروف عن المصريين قديما وحديثا ، أنهم يرمون كل حاكم من حكامهم بالظلم إذا اتسم بالشدّة والبأس في

تصريف أمورهم وقد كان عبد الله : فيه شدة وبأس (٢) .

أما اتهمه بالرشوة ، فيبدو أنها تهمة تبعية لآتهامه بالظلم ، إذ أن أبناء الخلفاء وإخوتهم لا يخاسبون على الخراج من الخلفاء ، فلم يحاسب عبد العزيز بن مروان على خراج مصر ، ولم يحاسب مسلمة بن عبد الملك على الخراج ، فإذا كان خراج مصر كله بسيطرة عبد الله ، وهو خراج ضخم بدون شك ، فلماذا يلجأ عبد الله إلى تقاضي الرشوة ؟

إن آتهام عبد الله بالرشوة تشنيع من المصريين الذين اجتاحتهم الغلاء ، وعملوا بشدة وبأس ، فنفسوا عن أنفسهم بالتشنيعات والهجاء (٣) والافتراء ، وبالنكت القاسية قبل كل ذلك وبعده أيضا .

ولا يمكن أن يرتشى من بيده خراج مصر ، يتصرف به كيف يشاء .

ولكن الوليد بن عبد الملك عزل أخاه عبد الله سنة تسعين الهجرية (٧٠٨ م) عن مصر (٤) لآعن ريبة ولكنه أراد أن يولي من يستطيع السيطرة عليه بسهولة وبسر .

والظاهر أن عبد الله سيطر على الخراج سيطرة كاملة ، وحجب تدفقه إلى بيت

(١) النجوم الزاهرة (١ / ٢١١) وانظر الولاة والقضاة (٥٩)

(٢) النجوم الزاهرة (١ / ٢١٠) .

(٣) انظر هجاءه شعراً في : الولاة والقضاة (٥٩ / ٦٠) .

(٤) ابن الأثير (٤ / ٥٤٧) والنجوم الزاهرة (١ / ٢١١) والولاة والقضاة (٦٤) .

المال في العاصمة (دمشق) ، لذلك عزله الوليد بعد أن نفذ صبره ، وأوصى خليف عبد الله على (مصر) أن يختم على الدواوين وبيت المال (١) ، الحسابات ومقارنة الواردات بالنفقات ، لمعرفة ما يمكن أن يكون احتجزه عبد الله من المال لنفسه .

وببدو أن تدقيق الحسابات ، أثبت أن عبد الله استأثر بقسم من المال لنفسه ، فلما عاد من (مصر) إلى أخيه الوليد في (دمشق) بعد أن استصحب جميع أمواله أحيط به في (الأردن) في طريق عودته وأخذت جميع أمواله ، وحمل عبد الله إلى أخيه الوليد في (دمشق) (٢) .

ولاندري هل استعاد عبد الله أمواله ، أم ضمت إلى بيت المال في (دمشق) فقد سكت المؤرخون عن ذلك .

وقد كان خراج (مصر) الغنية هو المعين الوحيد لعمليات فتح شمالي (أفريقية) ، كما كانت (مصر) هي القاعدة الأمامية لفتح شمالي (أفريقية) وتوطيد أركان الفتح فيها ، واستكمال فتحها لتكون المنطلق لفتح الأندلس وأوربا ، فلا بد من سيطرة الخليفة على

خراج (مصر) بالذات ثانيا ، ليتصرف الخليفة بالخراج ليكون عصب الفتح ، ولا يتم ذلك إلا بفرض سيطرته الكاملة على الخراج ، ولا بد له من السيطرة الكاملة على (مصر) ، لتسخير كل طاقتها المالية والبشرية للفتح ، وهذه السيطرة على الخراج وعلى البلاد لا تتم كما ينبغي بوجود أمير عليها يعتبر نفسه ندا للخليفة وصنوا له .

وقد كان على (أفريقية) موسى بن نصير اللخمي (٣) لعبد الملك بن مروان من سنة تسع الهجرية (٤) (٦٩٨ م) ، وكان على علاقة وثيقة بعبد العزيز بن مروان سلف عبد الله ابن عبد الملك ، ولكنه لم يكن كذلك مع عبد الله الذي خاف على (مصر) عمه عبد العزيز ابن مروان ، فقد كان موسى بن نصير يكاتب عبد العزيز بن مروان ، فلما توفاه الله ولى عبد الملك ابنه عبد الله على (مصر) ، فلم يكاتبه موسى وكاتب عبد الملك مباشرة فكتب إليه عبد الله : « أما بعد . فإنك كنت من عبد العزيز وبشر (٥) مهادين (٦) تعلو عن الخضيض مهودهما (٧) ويدفئك دثارهما ، حتى عفا (٨) مخرك وسدت بك نفسك ، فلا تحسبني كمن كنت تخليه وأعداء بيته وتقول : أكفاني

(١) الولاة والقضاة (٦٢)

(٢) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح المغرب العربي (١ / ٢٢١ - ٣٠٩)

(٣) تاريخ ابن خياط (١ / ٣٠٠) . (٤) الولاة والقضاة (٢٠)

(٥) بشر بن مروان ابن الحكيم .

(٦) المهاد : الفراش . ومهاد الأرض : المستوية .

(٧) المهود : ج مهد : الأرض المستوية السهلة .

(٨) عفا الأرض : كثر نباتها فغطاها . وعفا الشيء : خفي وعفا الماء : لم يخالطه شيء يكدره .

أكفكما ، ولا كأضبع^(١) كنت يمينه
بكهانتك ! وأيم الله ! لأضعن منك
مارفعا ، ولأقلن منك ما كثيرا . رويدا
فكأن قد أصبحت سادما^(٢) تعض أناملك
نادما ، والسلام^(٣) » .

وكان جواب موسى لعبد الله : « أما
بعد . فقد قرأت كتابك وفهمت ماوصفت
فيه من إركانى إلى أبويك وعمك ، ولعمري
أنى كنت لذلك أهلا ! ولو خبرت منى
ماخبرا لما صغرت منى ما عظما ، ولما جهات
من أمرنا ماعلما ، فكيف أتاه الله لك ! !
فأما انتقاصك لهما ، منهما لك وأنت منهما
ولهما منك ناصر ، لو قال وجد عليك
مقالا ، وكفأك جزاء العاق^(٤) . فأما
تهديدك إياى بأنك واضع منى ماوقعا ،
فليس ذلك بيدك ولا إليك فأرعد وأبرق
لغيرى . وأما ماذكرت مما كنت آتى
به عمك عبد العزيز ، فلعمري أنى مما
نسبتنى إليه من الكهانة لبعيد ، وأنى من
غيرها من العالم لقريب ، فعلى رسلك ،
فإنك قد أظلك البدر الطالع والسيف

القاطع والشهاب الساطع ، فقد تم لها وتمت
له ، ثم بعث إليك الأعرابى الحلف الحافى
فلم تشعر به حتى يحل بعصوتك^(٥) فيسابك ،
سلطانك فلا يعود إليك ولا تعود إليه ،
فيومئذ تعلم أكاهن أم عالم ، وتوقن أيننا
النادم السادم ، والسلام » .

وقرأ عبد الله كتاب موسى ، فكتب
إلى أبيه عبد الملك كتابا وأدرج كتاب موسى
فيه ، فلم يصل الكتاب إلى عبد الملك حتى
قبض ، ووقع الكتاب فى يد الوليد بن عبد
الملك بعد أن عزل عبد الله عن (مصر) ،
فلما قرأه استضحك ثم قال : « لله نره -
يقصد موسى - إن كان عنده أثره^(٦) من علم ،
ولقد كان عبد الله غنيا أن يتعرض له »^(٧) .

فإذا صح صدور هذا الكتاب عن
عبد الله ، فهو يدل على تمكنه من ناصية
اللغة العربية ، وبلاغته وبيانه الرفيع ، كما
يدل على حبه للسيطرة واهتمامه بالضبط
والنظام فهو لا يرضى أن يتخطا موسى إلى
الخليفة ، لأنه يعتبر نفسه المرجع المباشر
لموسى .

(١) أضبع : ج ضبع ، وهو جنس من السباع من الفصيلة الضبعية ورتبة اللواحم ، أكبر من الكلب وأقوى
وهى كبيرة الرأس قوية الفكين ، وهذه تعرف بالسذاجة والغفلة .

(٢) السادم : المصاب بالحم أو النيفظ مع حزن .

(٣) الولاية والقضاة (٦٠ - ٦١) .

(٤) أضاف موسى بعد العاق : أما ما نلت من عرضى ، فذلك موجب لحق أمير المؤمنين لا لك .

(٥) العقوة : الموضع المتسع أمام الدار أو الخلة أو حوطما .

(٦) الأثره : المنزلة . وأثره العلم : بقية منه تؤثر

(٧) الولاية والقضاة (٦١ - ٦٢) .

والمهم أن عبد الله لم يكن على علاقة
حسنة بموسى بن نصير ، مما يؤدي إلى
عرقلة استكمال فتح (أفريقيا) وتوطيد
فتحها لتكون القاعدة الأممية لفتح الأندلس
وأوربا ، كما تشل هذه العلاقة السيئة بين
عبد الله وموسى بن نصير التعاون الوثيق
بين القائدين وتلحق بالفتح أضرار .

ولا يمكن أن يبقى قائدان في منطقتين
متجاورتين تؤثر إحداهما في الأخرى تأثيرا
سوقيا إلا إذا كانا متعاونين أشد التعاون ،
يتبادلان ثقة بثقة وحبًا بحب وإخلاصًا بإخلاص .

ويبدو أن صغر سن عبد الله وعنجهيته ، هي
التي جعلت موسى بن نصير — وهو القائد الأملح
والخصيف لا يتعاون مع عبد الله تعاونًا وثيقًا
كما كان يتعاون مع عبد العزيز بن مروان
وغيره من أمراء (مصر) .

كما يبدو أن موسى استشف أخبار
العلاقة غير الوطيدة بين الأخوين : الوليد
وعبد الله ، وأن مكانته عند الوليد أقوى
من مكانة عبد الله ، وأن الوليد لا محالة سيعزل
عبد الله عن (مصر) اليوم أو غدا ، لذلك
لم يكثر بعبد الله ولم يول له العناية الكافية .
وقد كانت ولاية عبد الله على (مصر)
ثلاث سنين وعشرة أشهر (١) .

وإخوة عبد الله بن عبد الملك : الوليد ، وسليمان
ومروان الأكبر مات صغيرا ، وعائشة ،
أمهم ولادة بنت العباس بن جزء بن الحارث
ابن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن
مازن بن الحارث بن قطيعة بن عبس بن
بغض .

وزيد ، وعاوية مات صغيرا ، وأم كلثوم ،
وأمهم عاتكة بنت يزيد بن أبي سيفان .
وهشام ، وأمهم هشام بنت هشام بن إسماعيل
بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي .
واسم أم هشام : عائشة بنت هشام المخزومية
وأبو بكر واسمه بكار ، أمه عائشة
بنت موسى بن طلحة بن عبيد الله .

والحكيم مات صغيرا ، وأمهم أم أيوب بنت
عمرو بن عثمان بن عفان .

وفاطمة بنت عبد الملك ، وأمها أم
المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص بن
هشام بن المغيرة .

وعبد الله ومسلمة والمنذر وعنبسة ومحمد
وسعيد الخير ، لأمهات أولاد (٣) .

ولا ذكر لأولاده ، وورد ذكر قسم من
أولاد عبد الملك بن مروان ، ولم يذكر قسم
آخر منهم ، إذ ليس في أعقاب سائر والد
عبد الملك من أشهر فيذكر .

(١) النجوم الزاهرة (١ - ٢١١) ، وفي الولاة والقضاة (٦٣) : أن ولايته كانت عشرة أشهر ، وهذا
بدون شك خطأ مطبعي أو خطأ من ناسخ الكتاب ، وكان على مهذه ومصححه (رفن كست) ألا يغفل عن مثل هذا
الخطأ ، والكتاب بعد ذلك يعج بالأخطاء ببقى أنواعها ومختلف أشكالها مما يدعو إلى الأسف الشديد .

(٢) الطبري (٦ / ٣١٩ - ٤٢٠) وانظر جمهرة أنساب العرب (٨٩) والنجوم الزاهرة (١ - ٢١١)

(٣) جمهرة أنساب العرب (١٠٤) .

وقد تولى عبد الله (مصر) سنة خمس وثمانين (٧٠٤م) كما ذكرنا ، وكان عمره حينذاك سبعا وعشرين سنة^(١) . ومعنى ذلك أنه ولد سنة ثمان وخمسين الهجرية (٦٧٧م) ، وقتل سنة اثنتين وثلاثين ومئة الهجرية^(٢) (٧٤٩م) ، أى أنه عاش أربعاً وسبعين سنة قمرية واثنتين وسبعين سنة شمسية .

القائد

كان في عبد الله شدة وبأس كما وصفه المؤرخون ، وهذا يدل على قوة شخصيته والتحلى بالضبط المتين .

والشخصية القوية من سمات القائد المتميز كما أن الضبط المتين من مزايا الجندي والقائد المتميزين ، إذ لا جيش يعتمد عليه وقوة يعتد بها إذا لم تتسم بالضبط المتين .

والفرق الرئيسي بين العسكريين والمدنيين ، هو تمتع الأولين بالضبط المتين ، وعدم تمتع الآخرين بهذا الضبط .

فإذا كان القائد منضبطاً ، سرت هذه السجية إلى رجاله ، وبذلك يحقق القائد لحيشه أول أسباب النصر .

ويبدو أن سفارة عبد الله إلى العراق لكبح جماح ثورة ابن الأشعث أو لإقرار

الصلح بين رجاله ورجال الحجاج ، وتصرفه في قيامه بواجبه في السفارة أولاً وتعاونهم مع الحجاج في معركة (دير الحجاج) مما أدى إلى إحراز النصر ثانياً ، قيادته الواعية في غزواته المتعاقبة بأرض الروم ثالثاً ، ومحاولته ترسيخ أقدام الفاتحين في المناطق التي فتحها ليصبح الفتح مستداماً ولا يبقى فتحاً مؤقتاً أخيراً ، هو الذي لفت إليه نظر أبيه عبد الملك بن مروان ، فولاه (مصر) وأوكل إليه أمر إدارتها بأسلوب جديد غير الذي كان يتبعه في إدارتها عبد العزيز بن مروان .

وأهمية (مصر) في فتح المغرب وأفريقية ، كأهمية (العراق) في فتح المشرق ، واعتماد فتح المغرب على خراج (مصر) ، كاعتماد فتح المشرق على خراج (العراق) ، لذلك كان اهتمام الخلفاء باختيار ولاية (مصر) و (العراق) فائقاً جداً ، لأن (مصر) القاعدة الأممية الرئيسة في فتح المغرب ، وشأنها في ذلك شأن (العراق) ، ولا فتح بدون قاعدة رصينة وهذا يحتاج إلى ولاية قادرين من ذوي الكفايات العالية والإدارة الحازمة .

إن اختيار عبد الله من بين إخوته لولاية (مصر) ، دليل على نجاحه في المهام الإدارية والقيادية التي أقيمت على عاتقه قبل أن يتولى هذا المنصب الحيوى الرفيع ، وهي

(١) النجوم الزاهرة (١ / ٢١٠)

(٢) تاريخ ابن خياط (٢ - ٤٣٥) .

الذى أثبت نجاحه في ميدان التطبيق العملي .

ولا شك في أن عمله المكتسب كان له نصيب كبير في صقل طبعه الموهوب ، وفي تجربته العملية قائداً وسفيراً وإدارياً ، وبذلك اجتمعت لعبد الله الصفات الثلاث للقائد والسياسي والإداري : الطبع الموهوب ، والعلم المكتسب والتجربة العملية .

ولا يستطيع متتبع سيرته قائداً ، إلا أن يتوقف أمام ميزة بارزة لقيادة عبد الله وهي محاولته جعل الفتح مستداماً ، ورفضه الاكتفاء بالفتح المؤقت الذي هو أشبه بالمعارك السيارة والغازات منه بالفتح المستدام .

لقد فتح المسلمون (المصيصة) بقيادة أبي عبيدة بن الجراح في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، ولكن الروم استعادوها مرات ، وأعاد المسلمون فتحها ، مرات لذلك قرر عبد الملك بن مروان أن يحرم الروم من استعادتها ، لاهمية موقعها السوقي ، حيث تعتبر الخط الدفاعي الأمامي عن (أنطاكية) أهم الثغور الشامية ، فإذا استعادها الروم أصبحت (أنطاكية)

التي رشحته لتولى هذه المهمة الحديدة الصعبة ، ورشحته لاقتلاع آثار سياسة عبد العزيز بن مروان في (مصر) من جذورها ، تلك الجنور التي تغلغلت إلى الأعماق ، لأن عبد العزيز حكم (مصر) عشرين سنة وعشرة أشهر وثلاثة عشر يوماً^(١) امتدت من سنة خمس وستين الهجرية^(٢) (٦٨٤م) حتى خمس وثمانين الهجرية (٧٠٤م) ، فأمر عبد الملك ابنه عبد الله أن يعنى أثر عبد العزيز في^(٤) (مصر) ، وهذه مهمة صعبة جداً ، ولا يستطيع تنفيذها غير الرجال القادرين .

وإذا علمنا أن عبد الله تولى (مصر) وعمره سبع وعشرون سنة ، وأنه بدأ حياته العملية قائداً وسفيراً سنة اثنتين وثمانين الهجرية (٧٠١م) ، وكان عمره يومئذ أربعاً وعشرين سنة ، فمعنى ذلك أنه أظهر كفاية متميزة في سن مبكرة ، ثم قضى ثلاث سنوات لوضع كفايته في محك التجربة العملية ، فنجح في إحراز ثقة أبيه فولاه أكبر منصب مرموق بعد منصب الخليفة ، وهو ولاية (مصر) ، مما يدل على تمتعه بالطبع الموهوب

- (١) النجوم الزاهرة (١ - ١٧٤) والولاية والقضاة (٥٥) .
- (٢) العبر (١ / ٧١) وشذرات الذهب (١ / ٧٣) .
- (٣) العبر (١ - ٩٩) وشذرات الذهب (١ - ٩٥) .
- (٤) النجوم الزاهرة (١ - ٢١٠) والولاية والقضاة (٥٨) .
- (٥) النجوم الزاهرة (١ - ٢١٠) .
- (٦) تاريخ ابن خياط (١ - ٢٨٩) ومعجم البلدان (٣ - ٢٨٥) .

مكشوفة تحت رحمة الروم فيستعيدوها الروم
بيسر وسهولة .

وأمر عبد الملك ابنه عبد الله أن يعيد بناء
(المصيصة) ويعمر قلعتها ويحشد الجنود
فيها، فينهض عبد الله بهذا الواجب على أحسن
وجه ، واختار من رجاله الشجعان وجعلهم
حامية ثابتة لهذا الثغر المتقدم الذي : يحمي
(أنطاكية) بخاصة ، والحدود الشمالية الغربية
للدولة بعادة^(١) .

وذهب عبد الله إلى مدى أبعد من ذلك ،
فتغلغل شمالاً إلى (طرندة) لتكون خطأً
دفاعياً أمامياً للدفاع عن (المصيصة) ،
وبذلك أصبح خطان دفاعيان أماميان للدفاع
عن (أنطاكية) وعن حدود الدولة ، يصعب
على الروم اختراقهما للوصول إلى (أنطاكية)
وحدود الدولة الشمالية الغربية ، بهذا حمى
البلاد الإسلامية حماية مثالية من الروم
كما أمن قواعد متقدمة للفتح في بلاد الروم .

وقد ارتكز مسامة بن عبد الملك على
(المصيصة) في انطلاقه شمالاً لحصار
(القسطنطينية) ، وكانت هذه المدينة من
أهم قواعد المتقدمة التي ارتكز عليها
لتحقيق أهدافه في الفتح .

وأخفقت حدة (القسطنطينية) وبدأ
المسلمون بالانسحاب منها، فكانت (المصيصة)

أرصن قواعد المسلمين المتقدمة في حماية
الانسحاب .

ومات عبد الله ومات مسلمة بن عبد
الملك ، وانتهت أيام الدولة الأموية في
الشام ، وبدأت أيام الدولة العباسية في
(بغداد) ، وذكر (المصيصة) يتردد
في الصراع بين المسلمين والروم ، وبقيت
صخرة صلبة بوجه الروم ، فلم يستطيعوا
استعادتها إلى حكمهم كما لم يستطيعوا أن
يقللوا من أهميتها الحيوية في الدفاع عن
(أنطاكية) وحماية الحدود الشمالية الغربية
من هجمات الروم وغاراتهم .

والفضل في ذلك يعود إلى عبد الملك
ابن مروان صاحب فكرة تحصينها وحشد
المقاتلين فيها ، وإلى ابنه عبد الله الذي وضع
تلك الفكرة في حيز التنفيذ .

كما أن الفضل في جعل فتح هذا الثغر
فتحاً مستداماً ، يعود إلى عبد الله دون
مراء .

إن عبد الله في فتحه ، يفكر في الحاضر
وفي المستقبل ولا يكتفي بالتفكير في الحاضر
فقط ، وهذه صفة من صفات القائد
الذي يتسم ببعد النظر .

(١) انظر التفاصيل في البلاذري (٢٢٥) .

(٢) انظر التفاصيل في البلاذري (٢٢٣ - ٢٣٠) .

وقد كان عبد الله قائداً تعرضياً، يطبق الحرب
السيارة، ويدافع عن الحدود والثغور بالتعرض
لا بالدفاع المستكن، ويرى بحق أن الهجوم
أفضل أساليب الدفاع .

وبالأسلوب التعرضي ، حمى عبد الله
الحدود والثغور ، ونقل القتال من مواضع
المسلمين إلى مواضع الروم ، وجنب
بلاد المسلمين خسائر الحرب ، وأوقع
تلك الخسائر في بلاد الروم ، وفتح مناطق
من أرض الروم ، جعلت أرض المسلمين
بعيدة عن أسلحة الروم ورجالهم .

وكان يطبق مبدأ (التحشد) في غزواته
فيحشد القوة المناسبة للعمل المناسب ،
كما يحشد القوات المناسبة في الثغور ،
للدفاع عنها في حالة تعرضها لهجوم مضاد .

وكان يطبق مبدأ (الأمن) في مسير
الاقتراب ، وفي صفحة الاشتباك بالعدو ، كما
يضع للحاميات في الثغور ، لكي لا يباغتها
العدو في هجوم غير متسوق ،
وبهذه التدابير الأمنية صان رجاله من
مباغثة العدو لهم في مختلف صفحات القتال
التي نخاضها .

وكان يطبق مبدأ (القضايا الإدارية)
تطبيقاً مثالياً في غزواته ، ابتداءً من تقدمه
لمجابهة العدو ، إلى عودته إلى قواعد
المسلمين ، فلا نعلم أن قواته احتاجت إلى

أى نوع من أنواع القضايا الإدارية تمويهاً ،
وسلاحاً ، ونقاية ، وطبابة ، ومرتبات .

وكان يديم معنويات رجاله العالية ،
بالنصر ، والأمن ، والحماية ، وحرمان العدو
من الحصول على المعلومات عن قواته ،
وبالحاميات القوية القادرة ، وبالتعرض
والقتال السيار ، ونقل المعركة إلى أرض
العدو ، وبالاستعدادات المتكاملة .

وكان يثق برجاله ويثقون به ، ويحبهم
ويحبونه ، ويعتمد عليهم ويعتمدون عليه .

والذي يبدو أن أهم مزاياه العسكرية
في القيادة هي بعد نظره الذي جعله ينفذ
الخطط الضرورية التي أدت إلى ترسيخ
ما فتحه من بلاد الروم ، فأصبح فتحاً
مستداماً ولم يبق فتحاً مؤقتاً .

كما أنه كان ذا شخصية نافذة مسيطرة
تفرض نفسها بقوة وصرامة على رجاله
وعلى أسلوب عملهم في القتال والإدارة
على حد سواء .

كما أنه كان يتحلى بالضبط المتين ، فلا
يغض الطرف عن مخالفات رجاله ولا يرضى
منهم بغير الالتزام الصارم بمتطلبات الضبط المتين .

تلك مزايا ثلاث بارزة في عبد الله ،
لفتت إليه نظر أبيه عبد الملك ، فولاه مصر
ليجدها إلى سيطرة أبيه الكاملة ، فخسرته
القيادة ولم ترسخ الإدارة .

عبد الله في التاريخ

يذكر التاريخ لعبد الله أنه فتح منطقة حيوية من بلاد الروم بقيت رديحاً من الزمن تنتقل من أيدي الروم إلى أيدي المسلمين ، ومن أيدي المسلمين إلى أيدي الروم ، حتى استقرت أخيراً بأيدي المسلمين بفضل عبد الله ، وأصبح فتحها فتحاً مستداماً . ويذكر له أنه حمى بفتحه المستدام منطقة (أنطاكية) ، وهي من أهم الثغور الشامية

التي تحرس الحدود الشمالية الغربية للدولة الإسلامية .

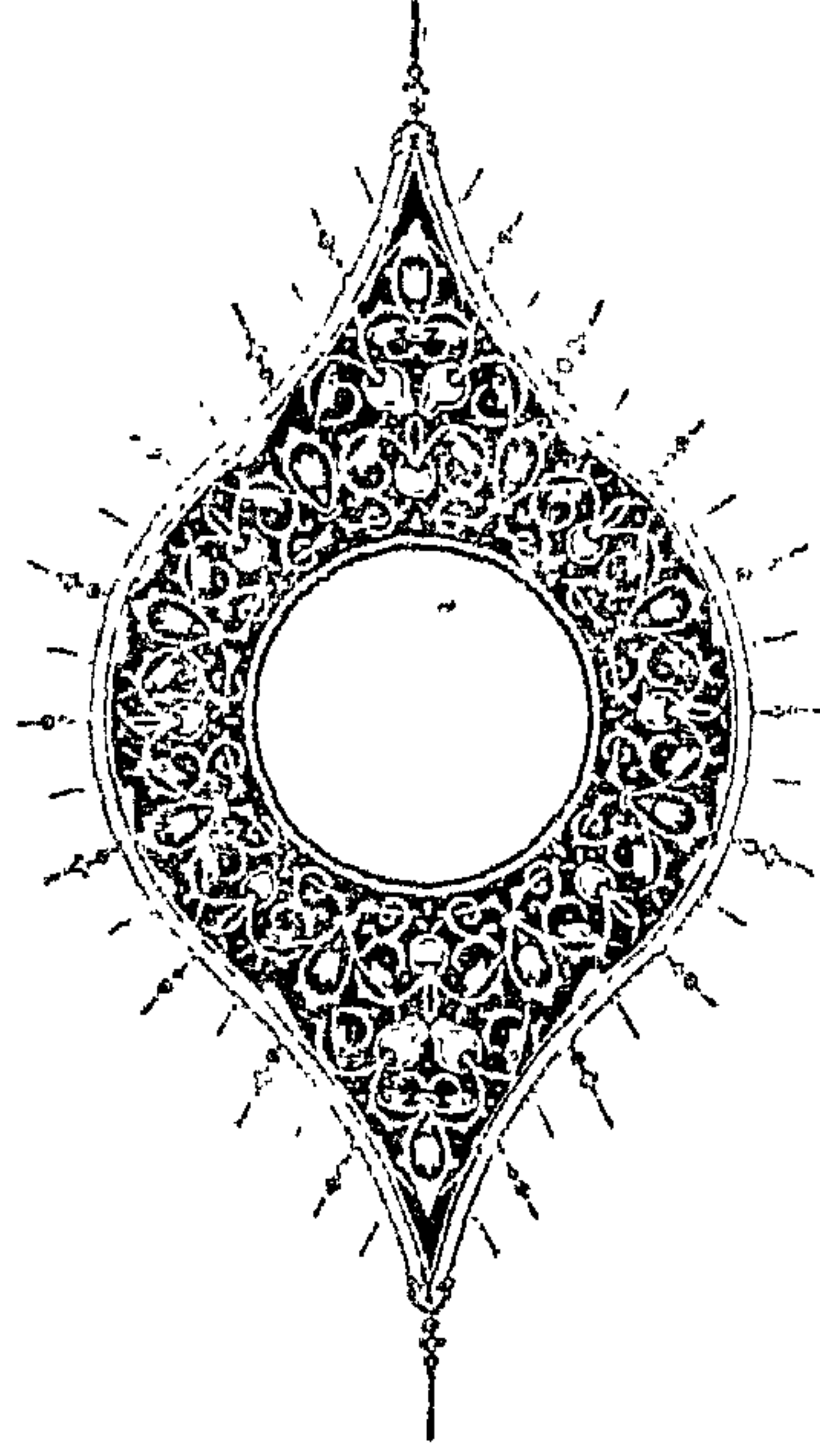
ويذكر أنه تولى (مصر) فأعادها إلى سيطرة أبيه الكاملة ، بعد أن كانت شبه مستقلة في أيام عبد العزيز بن مروان .

ويذكر أنه نجح نجاحاً باهراً في قيادته ونجح نجاحاً محدوداً في إدارته . فكان قائداً متميزاً ، ولم يكن إدارياً متميزاً .

يرحمه الله جزاء ما قدم من جهد في قيادته وإدارته .

محمود شيبث خطاب

عضو المجمع المراسل من العراق



المعادن عند العرب

للدكتور على السكري

والفضة والنحاس وأشباهها : وقيل نحاس أبيض تجعل منه القدور العظام المفرغة والهاوونات . أو هو نخب الذهب والفضة والحديد ، أو هو ما ينفيه الكبر من كل ما ينداب من جواهر الأرض . أما الركاز في المرجع المذكور فهو قطع من الذهب والفضة تخرج من المعدن . وقيل ماركزه الله تعالى في الأرض من المعادن في حالتها الطبيعية . وقيل هو الكنز . ركز الله المعادن في الأرض يركزها ركزاً أوجدها في باطنها وأركز الرجل أى أصاب الركاز . وتبين هذه التعريفات الفروق اللغوية لأربع كلمات متقاربة في المعنى هن : المعدن ، الجوهر ، الفلز وأخيراً الركاز .

في رسائل إخوان الصفا (منتصف الرابع الهجري) استعمالوا كلمة الجواهر المعدنية فترام يقولون في الرسالة الخامسة من الجسمانيات الطبيعيات وهي في بيان تكوين المعادن : «ثم اعلم يا أخى أن استحالة الكائنات الفاسدات التي تحت فلك القمر هي

يطلق المعدن لغوياً على مكان كل شيء فيه أصله ومركزه ، والمعدن موضع استخراج الجوهر من ذهب ونحوه : ذكر الكندي (المتوفى سنة ٢٤٦ هـ^(١)) أن المعدن من عدن وهو الإقامة فكان المطلوب منه ما أقام فيه دهوراً أو أن مستنبطيه يقيمون على استخراجهم فلا يسأمون من حفر الغيران إليه .

في كتاب الإفصاح في فقه اللغة (١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م) : المعدن منبت الجوهر من الذهب والفضة والحديد وغير ذلك من فلز الأرض : ومعدن كل شيء أصله ومبدؤه لأن أهله يقيمون فيه صيفا وشتاء ويقال : عدن بالمكان يعدن عدنا وعدونا إذا أقام به . والمعدن (بكسر الدال مع التشديد) مخرج الصخر من المعدن يبتغي فيه الذهب ونحوه . وفي نفس الكتاب عن مصطلح الجوهر أنه كل حجر يستخرج منه شيء ينتفع به . وفيه أيضاً أن الفلز الحجارة ، وقيل جميع جواهر الأرض من الذهب

(١) سنة ٢٤٦ هـ = ٨٦٣ م .

خمسة أنواع ، فمنها استحالة الأركان الأربعة^(١) بعضها إلى بعض كما بينا طرفا من كيفية ذلك في رسالة الكون والفساد، ومنها حوادث الجو وتغييرات الهواء كما بينا طرفا منها في رسالة الآثار العلوية ، ومنها استحالة الكائنات الفاسدات التي تتكون وتنعقد في باطن الأرض وعمق البحار وجوف الجبال وهي الجواهر المعدنية كما سنين طرفا من كيفيةها في هذه الرسالة .

وفي موسوعة الشفاء لابن سينا (المتوفى سنة ٤٢٨ هـ) تحدث هذا العالم العربي الكبير عن الأجسام المعدنية والجواهر المعدنية قائلا : إن الأجسام المعدنية تكاد أن تكون أقسامها أربعة : الأحجار والدائبات والكباريت والأملاح . ثم يقول في موضع آخر : وأما الحجريات من الجواهر المعدنية الجبلية فمادتها أيضاً مائية ولكن ليس جمودها بالبرد وحده بل جمودها باليبس الحيل للمائية إلى الأرضية .

عرف القزويني (المتوفى سنة ٦٨٢ هـ) المعدنية في كتابه «عجائب المخلوقات» بأنها أجسام متولدة من الأبخرة والأدخنة تحت الأرض إذا اختلطت على ضروب من الاختلاطات مختلفة في الكم والكيف . وأضاف يقول «وهي إما قوية التركيب أو ضعيفة التركيب ، وقوية التركيب إما أن تكون متطرفة

أو لم تكن متطرفة ، وهي الأجسام السبعة أعنى الذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد والأسرب^(٢) والخارصين . والتي لا تكون متطرفة فقد تكون في غاية اللين كالزئبق ، وقد تكون في غاية الصلابة كالياقوت . ثم يضيف القزويني : «وأما الأجسام الصلبة الشفافة فتولد من مياه عذبة وقعت في معادنها بين الحجارة الصلدة زمانا طويلا حتى غلظ وصفا وأنضجته حرارة المعدن بطول وقوفها . وأما غير الشفافة فن امتزاج الماء بالطين إذا كانت فيه لزوجة وأثرت فيه حرارة الشمس مدة طويلة» .

عن المعدنيةات والمعادن ، تكلم الدمشقي (المتوفى سنة ٧٢٧ هـ) في كتابه «نخبة الدهر في عجائب البر والبحر» فقال : قال أهل العلم بذلك المعدنيةات والمعادن إحدى المتولدات الثلاث ولا تكاد تحصى كثرة ولكن فيه ما يعرفه الناس وهو نحو من سبع مائة نوع كلها مختلفة الألوان والطعوم والصفات والخواص وذلك إنما هو بحسب المواد التي تتكون عنها سواء كانت حجرا أو ترابا أو ماء ، والمعادن أول متولد تميزت بجوهرية عن التراب فهي مما له التراكم شيء على شيء دون النمو والربو في الأقطار المختصة بالنبات والحيوان المغتذيات

(١) الأركان الأربعة هي : الأرض ، والماء ، والهواء ، والنار .

(٢) الاسرب ويسمى الرصاص الأسود وقيل إنه الرصاص الأبيض ، ولعله يشير إلى فلز القصدير .

الناميات فإن الأجسام من حيث هي أجسام إما أن تكون نامية أولاً فإن لم تكن نامية فهي المعدن وإن تكن نامية فهي النبات والحيوان، والنامية إما أن تكون بها قوة الحس والحركة فهي الحيوان أو لم فهي النبات « ١ ».

وهكذا يتبين أن العرب أعطوا اهتماماً خاصاً بتعريف مصطلح المعدن كما أن المعادن المختلفة والمتعددة كانت محل دراسة وفحص من جانب كبار علماءهم وخبرائهم (شكل ١) وذلك في وقت مبكر من تاريخ الحضارة الإسلامية يمتد إلى القرن الثاني الهجري . وقام بعض المتخصصين منهم بتأليف كتب قائمة بذاتها في دراسة المعادن والأحجار وبالأنخص الأحجار الكريمة ونذكر من هذه الكتب على سبيل المثال : كتاب «الجواهر في معرفة الجواهر» للبيروني كتبه حوالي ٤٤٠ هـ وكتاب «أزهار الأفكار في جواهر الأحجار» للثيفاشي الذي وضعه حوالي سنة ٦٤١ هـ (شكل ٢). وأفرد بعض علماءهم فصولاً في كتبهم الضخمة أو أبواباً في موسوعاتهم للكلام عن المعادن والأحجار الكريمة وأنواعها وخصائصها مثل : مقالتي ابن سينا في المعادن والآثار العلوية اللذين ضمنتهما موسوعته المسماه « الشفاء » .

وأقدم نص تحت أيدينا يثبت بطريقة واضحة أنه كان عند العرب علم مستقل يختص

بدراسة المعادن والأحجار هو ذلك النص الوارد في رسائل إخوان الصفا : « أن الجواهر المعدنية كثيرة الأنواع لا يحصى عددها إلا الله تعالى، ولكن منها ما يعرفه الناس ومنها ما لا يعرفه، وقد ذكر بعض الحكماء ممن كانت له عناية بالنظر في هذا العلم والبحث عن هذه الأشياء أنه قد عرف وعد منها نحو تسعمائة نوع كلها مختلفة الطباع والشكل واللون والطعم والرائحة والثقل والخفة والمضرة والنفع » .

ومن الطريف حقاً أن يزيد ذكر إخوان الصفا عن بعض الحكماء أن عدد الجواهر المعدنية نحو تسعمائة ، وهذا الرقم لا يبتعد كثيراً عن الحقيقة . فحتى عهد قريب، وقبل الاكتشافات الحديثة ، كان عدد المعادن المعروفة يزيد قليلاً على الألف ومن هنا يتضح أن الإحصاء العربي لعدد المعادن كان دقيقاً إلى حد كبير . في ذلك الوقت المبكر من الزمن . كما أشاروا إلى : «باين هذه المعادن في خصائصها (شكل ٣) وذلك في قولهم : «كلها مختلفة الطباع والشكل واللون والطعم والرائحة والثقل والخفة والمضرة والنفع» . وهذا يدل على أنه كانت لهم دراسات متنوعة في خصائص هذه المعادن بل إن النص صريح في دلالة على وجود علم خاص بالمعادن في هذا الوقت المبكر وذلك حينما يقول : « وقد ذكر بعض الحكماء ممن كانت له عناية بالنظر في هذا العلم والبحث عن هذه الأشياء » : ويؤكد هذا

الاتجاه ما ذكره الدمشقي في مرجعه المشار إليه آنفاً : « قال أهل العلم بذلك : المعدنية والمعادن إحدى المتولدات الثلاث ولا تكاد تخصى كثرة » ، ومرة أخرى فإن النص واضح الإشارة إلى وجود علم وعلماء للمعادن .

ومع تقدم الدراسات العربية عن المعادن اكتشف علماء العرب أن الجواهر المعدنية عبارة عن مركبات . وهامهم إخوان الصفا في معرض حديثهم عن الجواهر المعدنية يتطرقون لأوجه الاختلاف بينها إلا أنها جميعاً مركبات مؤلفة بنسب مخصوصة من العناصر الأربعة وهي : التراب ، الماء ، الهواء ، والنار ، يقول الأخوان في ذلك : « فمقدمتين بما ذكرنا أن الجواهر المعدنية كلها مع اختلاف أنواعها وطبائعها وألوانها وطعومها وروائحها وثقلها وخفتها وصلابتها ورنخاوتها ولينها وخشونتها وخواصها ، ومنافعها ومضارها مركبة كلها ومؤلفة من أجزاء ترابية صلبة ثقيلة مظلمة مشفة ومن أجزاء مائية رطبة سيالة صافية بين الثقل والخفة ومن أجزاء هوائية خفيفة لينة دهنية صافية نيرة ومن حرارة قوية أو ضعيفة منضجة أو مقصرة ومن تأليف على نسبة فاضلة أو دون ذلك من المناسبات التأليفية » .

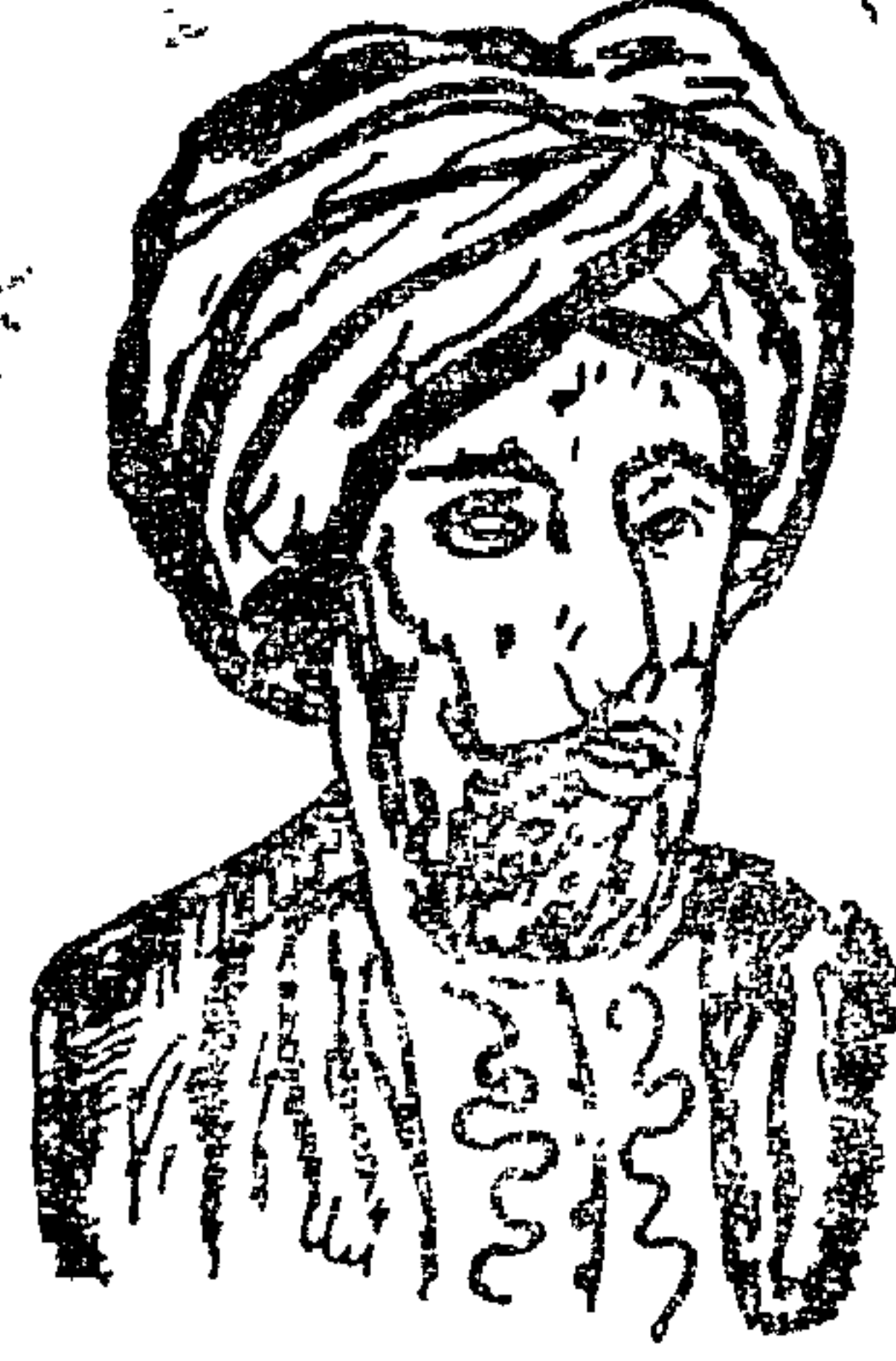
وما يعنيننا من النص السابق هو قولهم : « ومن تأليف على نسبة فاضلة أو دون ذلك من المناسبات التأليفية » . ترى هل إدراك إخوان الصفا أن المعادن تتركب من عناصر معينة يختلف مدلولها حسب العصر والأوان ويكون هذا التركيب بنسبة ثابتة ومحدودة ؟ إذا كان الأمر كذلك فيكون إخوان الصفا أول من وضع فكرة قانوني التركيب الكيمياء الثابت والأوزان المتحددة المشهورين في علم الكيمياء .

وفي تعريف القزويني للمعدنيات يظهر بوادر التعريف الحديث لهذه المواد العجيبة فهو يقول : « إنها أجسام متولدة من الأبخرة والأدخنة تحت الأرض إذا اختلطت على ضروب من الاختلاطات مختلفة في الكم والكيف » . فهو يشير إلى أن المعادن إنما تتكون في الطبيعة وبالطرق الطبيعية التي لا تدخل للإنسان فيها كما إن لها تركيباً محدداً . وحينما يقول الدمشقي أن : « المعادن أول متولد تميزت جوهريته عن التراب فهي مما له التراكم شيء على شيء ، فكأن جملة التراكم شيء على شيء توحى بنمو والبارورات المعدنية الصلبة من نفس المادة تدريجياً إلى أن يكتمل نموها ، وفي هذا إشارة إلى ، تجانس الأجسام المعدنية .

علماء العرب الذين تعرضوا لدراسة المعادن



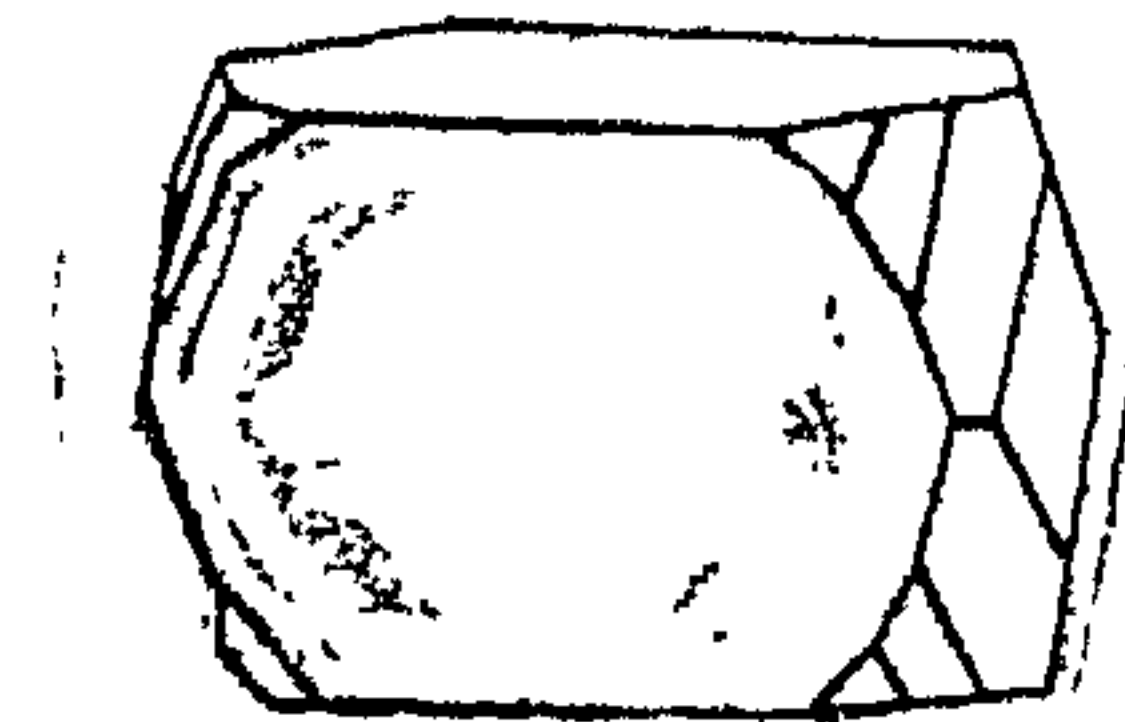
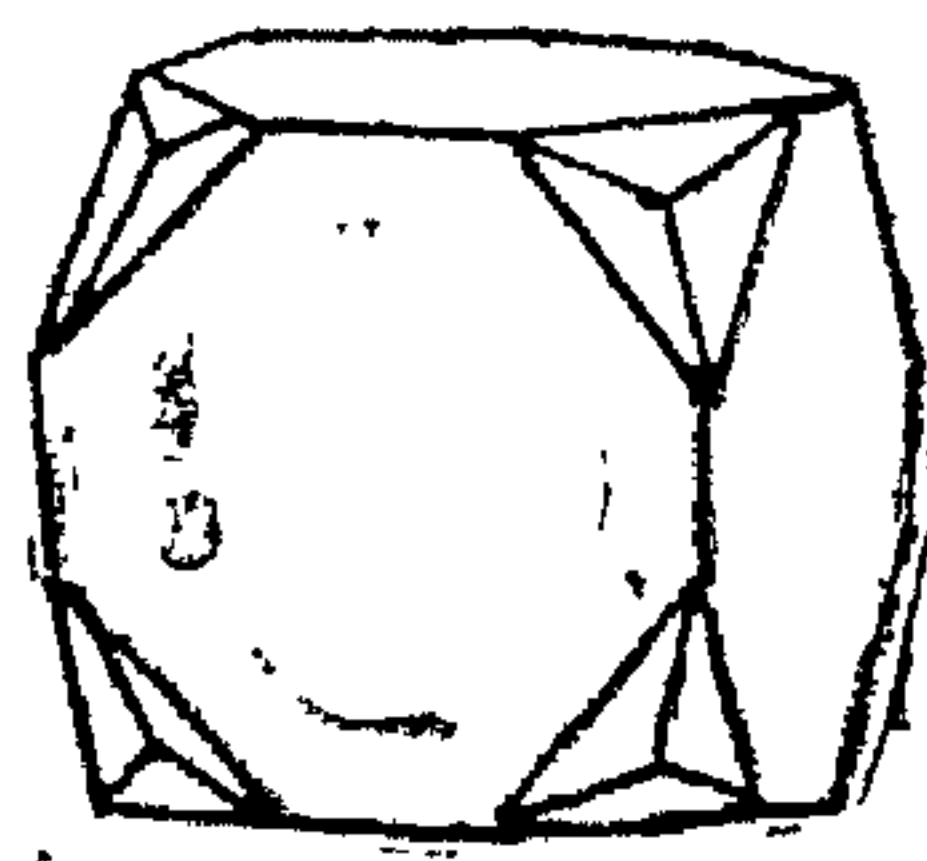
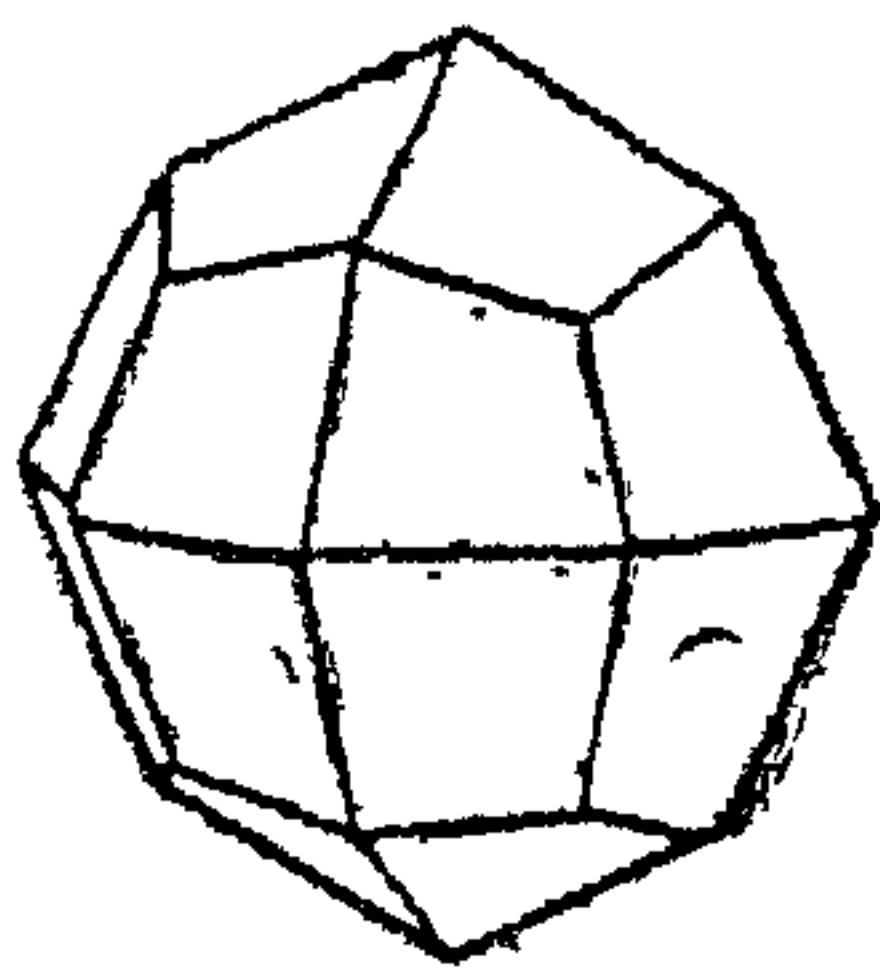
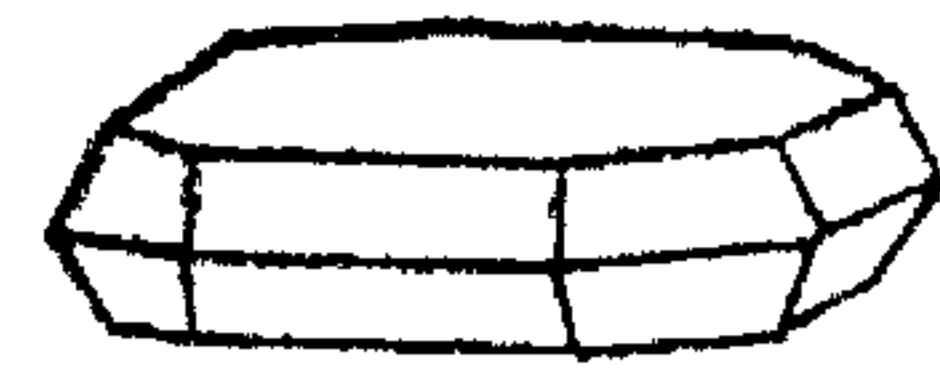
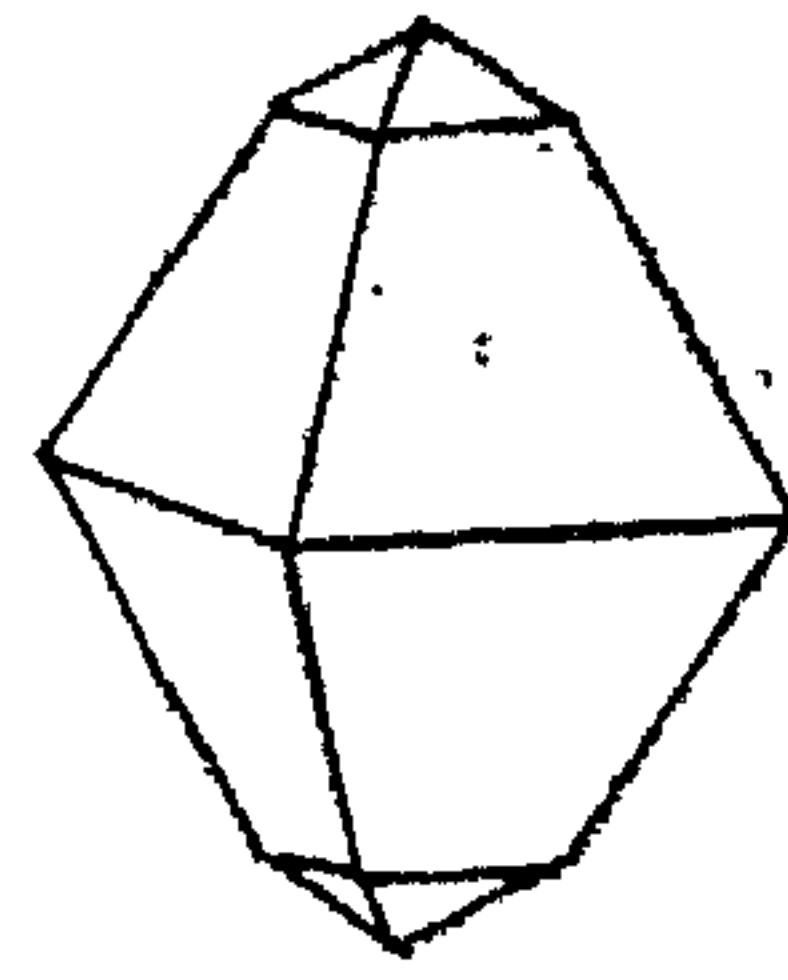
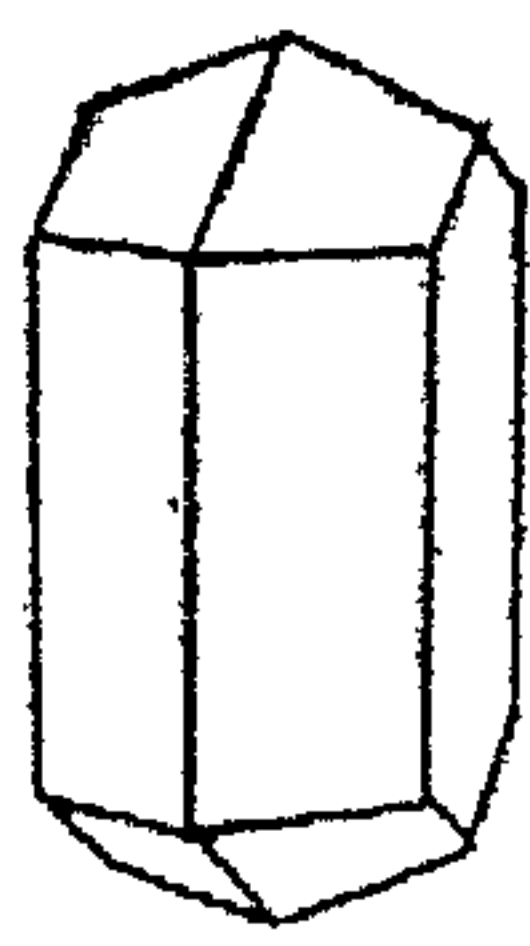
ابن سينا



البيروني



الفارابي

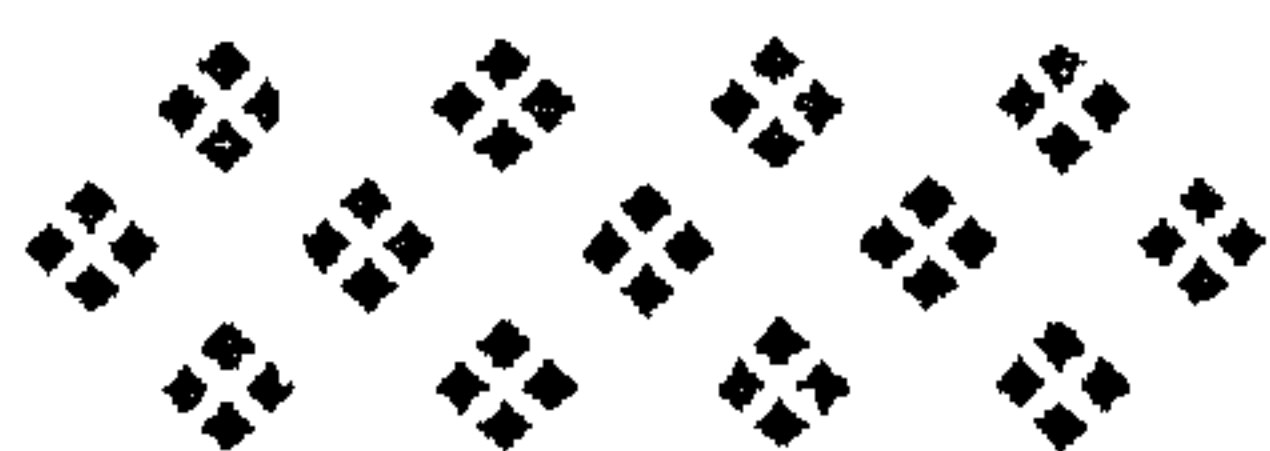


شكل ٣ : الجواهر المعدنية المختلفة الصفات والخواص كما ذكر علماء العرب ، وهنا مجموعة من المعادن ذات أشكال بلورية مختلفة .

على على السكرى

المراجع

- ١- الإفصاح في فقه اللغة . تأليف :
حسين يوسف موسى وعبد الفتاح الصعيدي ؛
دار الفكر العربي ، ١٩٦٧ .
- ٢- رسائل إخوان الصفا وخلق الوفا .
عنى بتصحيحه : خير الدين الزركلى .
المكتبة التجارية الكبرى ، ١٩٢٨ .
- ٣- الشفاء . الجزء الخاص بالمعادن والآثار
العلوية . تأليف : أبو علي الحسين بن
عبد الله بن سينا . الهيئة العامة لشئون المطابع
الأميرية ، ١٩٦٥ .
- ٤- عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات
تأليف : زكريا بن محمد بن محمود القزويني .
دار التحرير للطبع والنشر .
- ٥- كتاب نجبة الدهر في عجائب البر
والبحر . تأليف : شمس الدين الدمشقي .
طبع في مدينة بطربورغ في مطبعة الأكاديمية
الامبراطورية ، ١٨٦٥ .
- ٦- الجواهر في معرفة الجواهر . تأليف
أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني .
المتوفى سنة ٥٤٤٠ هـ . نسخة مكتوبة بقلم
معتاد في ١٩٣٦ م .
- ٧- أزهار الأفكار في جواهر الأحجار :
تأليف : أحمد بن يوسف التيفاشي . المتوفى
سنة ٦٥١ هـ . نسخة مكتوبة بقلم معتاد
في القرن الرابع عشر .
- ٨- علوم المعادن ودراسات العرب عنها :
تأليف : علي علي السكري . مجلة عصر العلوم ،
العدد ١ ، ١٩٦٩ .
- ٩- العرب وعلوم الأرض . بقلم :
الدكتور علي علي السكري . منشأة المعارف ،
١٩٧٣ .
- ١٠- رسائل إخوان الصفا : نظرات
علمية . تأليف : الدكتور علي علي السكري .
دار المعارف ، ١٩٧٩ .



القلب اللطيف في اللفظة العربية

للكاتب حسين محمد شرف

بصحتها ، والأخذ بها مع التفاوت في الأخذ
والترجيح .

وأحب أن أضع بين يدي القارئ هنا
تصوراً عاماً لموقف ثلاثة من علماء العربية بالنسبة
لهذه الظواهر وغيرها :

(أ) يقول العلامة «أحمد بن فارس» (٣٩٥هـ) :
«اختلاف لغات العرب من وجوه :

— أحدها : الاختلاف في الحركات «كقولنا :
«نَسْتَعِينُ ونَسْتَعِينِ» بفتح النون وكسرها»

قال «الفراء يحيى بن زياد» (٢٠٧هـ) : هي
مفتوحة في لغة «فريش» ، وأسد وغيرهم
يقولونها بكسر النون .

— والوجه الآخر : الاختلاف في الحركة
والسكون ، مثل قوله : «معكم ومعكم»
بفتح العين وسكونها .

— ووجه آخر ، وهو الاختلاف في إبدال
الحروف .

— ومنه الاختلاف في التقديم والتأخير
نحو : «صاعقة وصاعقة»

— ومنه الاختلاف في الإعراب ، نحو :
«مازيتك قائما ، ومازيتك قائم»

حفلت اللغة العربية بكثير من الظواهر
اللغوية التي ظفرت باهتمام علماء اللغة ورجالها
في القديم والحديث .

ومن هذه الظواهر : المشترك ، والأضداد ،
والمترادف ، والإتباع ، والإبدال ، والقلب ،
والنحت .

وفها صنّف متقدمو أهل اللغة كتباً
ورسائل كثيرة ، وأفرد لها بعضهم أبواباً
في كتبهم إلى جانب ما جاء منها متناثراً في
بقية الأبواب :

وقد عقد «جلال الدين عبدالرحمن السيوطي»
(٩١١هـ) في كتابه «المزهر في اللغة» لكل ظاهرة
من هذه الظواهر باباً جمع فيه قدرًا كبيراً
من مادة الظاهرة التي يعالجها الباب ، وحدد
المصادر التي نقل عنها ، وأشار إلى من ألف
في الظاهرة اللغوية مؤيداً ومعارضاً .

ولقد أُلحَ على العرب إلى ذلك ضروب من التوسع
في اللغة ، والتخفيف ، والاختصار .
واختلاف اللغات لا يستوجب إهمالها ،
ولا يعض من شأنها ، وإنما ينبغي القول

— ومن الاختلاف اختلاف : الأضداد ،
وذلك قول «حمير» للقائم «ثب» أى اقم .

وكل هذه اللغات مسماة منسوبة إلى
أصحابها وهى وإن كانت لقوم دون
قوم ، فإنها لما انتشرت تعاورها كل (١) .

(ب) ويقول الإمام أبو الفتح «عثمان بن
جنى» (٣٩٢هـ) فى باب اللغات وكلها
حجة من كتابه «الخصائص» ، مبيناً
صحة هذه اللغات والوجوه ، وموضحاً
بعض وجوه التمايز والتفصيل : «اعلم
أن سعة القياس تتيح لهم ذلك ،
ولا تحظره عليهم ، ألا ترى أن لغة
«التميميين» فى ترك أعمال «ما» يقبلها
القياس ولغة الحجازيين فى أعمالها
كذلك ؛ لأن لكل واحد من القومين
ضرباً من القياس يؤخذ به ويؤخذ
إلى مثله ، وليس لك أن ترد إحدى
اللغتين بصاحبها ؛ لأنها ليست أحق
بذلك من رسلتها ، لكن غاية مالك
فى ذلك أن تتميز إحداهما ، فتقويها
على أختها ، وتعتقد أن أقوى القياسين
أقبل لها ، وأشد أنسابها ، فأما رد
إحداهما بالأخرى فلا .

أولاً ترى إلى قول النبى - صلى الله
عليه وسلم - نزل القرآن بسبع لغات
كلها كاف شاف . (٢)

هذا حكم اللغتين إذا كانتا فى
الاستعمال والقياس متدانيتين متراسلتين
أو كالمتراسلتين ، فأما أن تقل إحداهما
جداً ، وتكثر الأخرى جداً ، فإنك
تأخذ بأوسعهما رواية وأقواهما قياساً (٣) .

(ج) ويبين الإمام «أبو محمد عبد الله بن
جعفر بن درستويه» (٣٤٧هـ) موقفه من
المشترك ، والتضاد ، والحركات فيقول :
— «وأما قوله فى رعد وبرق فى باب
فعلت إنه يقال فيه أيضاً أرعد وأبرق
فإن لكل واحد من هذين معنى يخصه
ولا يكون فعل وأفعال بمعنى واحد كما
لم يكونا على بناء واحد إلا أن يجيء
ذلك فى لغتين مختلفتين ، فأما من لغة
واحدة فحال أن يختلف اللفظان والمعنى
واحد ، كما يظن كثير من النحويين
واللغويين ، وإنما سمعوا العرب تتكلم
بذلك على طباعها ، وما فى نفوسها من
معانيها المختلفة ، وعلى ما جرت به عاداتها
وتعارفها ، ولم يعرف السامعون تلك
العلة فيه والفروق ، فظنوا أنهما بمعنى
واحد ، وتأولوا على العرب هذا التأويل
من ذات أنفسهم ، فإن كانوا قد صدقوا
فى رواية ذلك عن العرب فقد أخطؤوا
عليهم فى تأويلهم مالا يجوز فى الحكمة ،
وليس يجىء شىء من هذا الباب إلا على

(١) يتصرف من الصاحبى فى فقه اللغة لابن فارس السلفية ١٩ وما بعدها ١٩١٠ م .

(٢) انظر البخارى بشرح الكرماني ج ١٩ ص ١١ المطبعة البية : ١٣٥٦ ١٩٣٧ م .

(٣) الخصائص ٢ - ١٠ دار الكتب المصرية ١٣٧٤ ١٩٥٥ م .

لغتين متباينتين كما بينا ، أو يكون على معنيين مختلفين ، أو تشبيه شيء بشيء على ما شرحناه في كتابنا الذى ألفناه فى افتراق معنى فعل وأفعال ومن هنا يجب أن يتعرف ذلك (١) .

— ويقول :

«وقد قيل للجارية الممتلئة اللحمة إذا نهضت : قد ناءت . وللداية : قد ناء بحمله : أى نهض ، ومنه قول الله — عز وجل — « ما إن مفاتحه لتنوءُ بالصبة أولى القوة » (٢) .

وقد زعم قوم من اللغويين أن النوع المستقوط أيضاً ، وأنه من الأضداد وقد أوضحنا الحجة عليهم فى ذلك فى كتابنا فى إبطال الأضداد وليس هذا موضع ذكره (٣) .

— ويقول :

«اعلم أنه ليست كل كلمة تأتى بحركتين مختلفتين إلا لاختلاف معنيهما ، ولا يجوز أن تختلف الحركتان ، والمعنى فيهما واحد ؛ لأن كل حركة موضوعة لمعنى ، كما أن كل حرف لمعنى .

وإن كان كثير من اللغويين يتوهمون أن الكلمة قد تفتح وتضم بمعنى واحد لخفاء الفرق بينهما عليهم ، واشتباه المعنيين عندهم وهذا الباب كثير جداً نحو : الجهد والجهد بفتح الجيم وضمها والضعف والضعف بفتح الضاد مشددة وضمها بذلك . . . والجناح والجناح ، وما أشبه ذلك (٤) .

ولابن درستويه موقف من ظاهرة القاب سوف أذكره عند دراسة تلك الظاهرة موضوع البحث .

بعد هذا التمهيد الذى وجدته ضروريا بين يدي ظاهرة القاب إحدى الظواهر التى أشار إليها التمهيد ، ومهد لها أجد أن الوقت قد حان لانتقل إلى دراسة ظاهرة القاب المكانية فى العربية بعامة وفى أفعالها بخاصة وسوف أتناول بعون الله فى هذه الدراسة ما يأتى :

— القاب المكانية : طبيعته والدافع إليه .

— القاب المكانية عند القدامى والمحدثين وجهودهم فيه .

— القاب المكانية بين القياس والسمع .

(١) شرح فصيح ثعلب الورقة ٢٠ ب ، ٢١ أ .

(٢) الآية ٧٦ من سورة القصص .

(٣) شرح فصيح ثعلب الورقة ٨٤ - ب .

(٤) المصدر السابق الورقة ١٧٢ - ب

— دراسة تحليلية لهذه الظاهرة على ما جمعتها من أفعال «أبي عثمان السرقسطي»^(١) ونتائج هذه الدراسة .

و: كما
* كان الزناء فريضة الرجيم^(٢) *

(١) القلب المكاني طبيعته والدافع اليه :

القلب الذي أعنيه في هذه الدراسة هو القلب المكاني بمعنى تقديم بعض حروف الكامة على بعض ، وهو أحد نوعين من القلب عقداً لهما «ابن فارس» في كتابه «فقه اللغة» بابا جاء فيه :

* وكان لون أرضه سماؤه^(٣) *
— كأن الصفا أوراكنها
إنما أراد كأن أوراكنها الصفا .
ويقولون :

«ومن سنن العرب القلب ، وذلك يكون في الكامة ، ويكون في القصة .»

و:
* تشقى الرماح بالفضياطرة الحمر^(٤) *

فأما الكامة ، فقولهم : «جذب وجذب» و«بكل ولبك» وهو كثير ، وقد صنفه علماء اللغة .

و:
* كما بطنت بالذمان السبياعا^(٥) *

وليس من هذا — فيما أظن . . . من كتاب الله — جل ثناؤه — شيء .

و:
* حسرت كفتي من السربال .
وإنما حسر السربال عن كفته .

وأما الذي في غير الكلمات فقولهم :
— كما عصب العباء بالعود . . .

ومثله في كتاب الله جل ثناؤه
«نحليق الإزيان من سجبل»^(٦)

ومنه قوله جل ثناؤه :
«رحرمتنا عليه المرافيع بين قبل»^(٧)

(١) أفعال أبي عثمان السرقسطي تهذيب و بسط لأفعال ابن القوي ، وأفعال ابن الرواية . مصدر أفعال ابن القطاع .
وعلى هذا تكون هذه المادة مثلة لأكثر ما جاء من صور القلب في كثير الأفعال .
(٢) الشاهد جزء من بيت للنايفة الجعدي ، والبيت بتمامه كما في شعر الجعدي ، ٢٣٥ دمشق ، ١٣٨٤ هـ .
كانت فريضة ما أتيت كما كان الزناء فريضة الرجيم
(٣) الشاهد لرؤية كما في ديوانه ٣ .
(٤) الشاهد عجز بيت لخداش بن زهير ، مصدره كما في الديوان .
« وتركب شرا لاهو ادة في . . . »
(٥) الشاهد عجز بيت للقمامي ، مصدره كما في الديوان ، ٤٠٠ بيروت ، ١٩٦٠ :
« كما أن جري من غمار . . . »
والفدن : القصر . والسباعا : العطين يعطين به .
(٦) الآية ٣٧ من سورة الأنبياء .
(٧) الآية ١٢ من سورة التمسح .

ومعالم أن التحريم لا يقع إلا على من يلزمه الأمر والنهي . وإذا كان كذلك فالمعنى وحرمنا على المراضع أن يرضعنه، ووجه تحريم إرضاعه عليهن ألا يقبل إرضاعهن حتى يرد إلى أمه (١) .

وقد آثرت ذكر أكثر ما أورده « ابن فارس » من صور القلب في القصة ؛ لأن الإشارة إلى مثله قايمة في كتب اللغة .

ويعرف العلامة المحقق رضى الدين الاسترأبادى (٦٨٨ هـ) القاب المكاني في الكلمة فيقول :

أقول يعنى « ابن الحاجب عثمان بن عمر » (٦٤٦ هـ) بالقاب تقديم بعض حروف الكلمة على بعض .

— وأكثر ما يتفق القلب في المعتل والمهموز وقد جاء في غيرهما قليلا : نحو : « اضمحل واكرهف » في « اضمحل واكفهر » .

— وأكثر ما يكون بتقديم الآخر على متلوه : كناء في نأى ينأى وراء في رأى ولاع وهاع وشواع في لائع وهائع وشوائع ونحو جاء عند الخليل .

— وقد يقدم متلو الآخر على العن نحو طأمن ، وأصله طءأن (٢) .

— وقد تقدم العين على الفاء كما في أيس وجاه ، وأنيق ، والآراء . والآبار والآدر .

— وقد تقدم اللام على الفاء كما في أشياء على الأصح (٣) .

— وقد تؤخر الفاء على اللام كما في الحادى وأصله الواحد (٤) .

ويرى علماء اللغة القسدى أن القلب بهذا المفهوم قد كثر في الكلام العربى وعرف ، يقول « ابن جنى » : « ألا ترى أن القلب قد كثر في كلامهم حتى أن « ابن السكيت يعقوب بن إسحاق (٢٤٤ هـ) قد صنف فيه كتاباً وقوى جانب القول بالقلب المكاني عند القدماء عوامل منها :

— ما وجدوه من ألفاظ لم تعل فيها أحرف العلة مع وجود مقتضى الإعلال ، ومن ذلك صحة ياء أيس مع تحركها وانفتاح ما قبلها ، والقياس يقتضى أن يقال فيها : إست آس ، كما يقال : هبت أهاب ، فعدم الإعلال مع موجه دليل على أن أيس مقلوب عن يئس ، وأنهم راعوا « فى أيس المقلوب » من كسر الياء كسرة

(١) فقه اللغة لابن فارس ١٧٢ - ١٧٣ .

(٢) الرضى يتحرك في طأمن يتحرك أبى عمرو بن العلاء .

(٣) القول بالقلب في أشياء رأى الخليل . انظر سيويه ٤ - ٣٨٠ .

(٤) شرح الرضى على الشافية ١ - ٢١ - ٢٢ مطبعة حجازى القاهرة .

(٥) المنصف ٢ - ٩٥ .

عين الأصل يئس ، وكان ذلك دليل القلب ومقوية (١) .

— ما وجدوه من عدم صرف ألفاظ لا مبرر لعدم صرفها أفضل من القول بالقلب ، ومن ذلك «أشياء» إذ جاء غير مصروف في قول الله عز وجل — «لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم» (٢) فأصله عند الخليل وسيبويه «شيئا» ثم حدث فيه قلب مكاني ، فقدمت اللام على الفاء وصار وزنه «لفعاء» ولهذا لم ينصرف ، ولو كان أصله أشياء على وزن أفعال لانصرف كما ينصرف أحياء وأصحاب وما أشبه ذلك (٣) .

— القلب يخلص من ثقل تتحاشاه اللغة وتفر منه .

● ومن ذلك «أشياء» القول بوقوع القلب فيها وقع ؛ ليخفف أصل الكلمة «شيئا» من ثقل اجتماع همزتين بينهما ألف وهي حاجز غير حصين (٤) .

● ومن ذلك «قيسي» مقلوب من قووس ، والقلب يخلص من ثقل واوين وضمتين في الأصل قووس (٥) .

● ومن ذلك جاءٍ وشاءٍ وساءٍ . اسم فاعل من جاء ، وشاء ، وساء ، في قول «الخليل» ، إذ يقول بتقديم الهمزة التي هي لام الفعل على العين ، والقول بالقلب يخلص من اجتماع همزتين ثقيلتين في الطرف عند صوغ اسم الفاعل ووزن اسم الفاعل على رأيه قال لحذف العين المؤخره من قلب .

والقلب المكاني في الفعل الثلاثي الأجوف مهموز اللام يراه الخليل مطردا مع اسم الفاعل (٦) . ويجيزه كل من سيبويه ، والملازني والمبرد . على ما سيتضح لنا بعد .

(ب) القلب المكاني في كتب القدامى والمحدثين :

سلم أكثر العلماء على وجود ظاهرة القلب المكاني في الكلمة العربية «الفعل والاسم» ودعاهم إلى القول به ما سبقت الإشارة إليه «والندى بين أيدينا من هذه الظاهرة في مؤلفات القدامى :

١ — كلمات في كتب النحو والصرف ، وقف عندها العلماء ، وبينوا ما فيها من القلب أو عدمه معللين لذلك ، ومنها ما جاء في الكتاب لسيبويه ،

(١) انظر المنصف ٢ - ١٠٦ .

(٢) الآية ١٠٢ من سورة المائدة .

(٣) انظر المقتضب ١ - ٢٠ .

(٤) انظر شرح الرازي على الشافية ١ - ٢٩ .

(٥) انظر سيبويه ٤ - ٣٨١ .

(٦) انظر المقتضب ١ - ١١٥ - ١١٦ .

والمقتضب للمبرد ، والخصائص لابن جني ، وغيرهم .

— يقول سيبويه : (١٨٠ هـ) «ومثل هذا — أى أشياء وغيره — فى القاب طأمن ، واطمأن ، فإنما حمل هذه الأشياء على القلب حيث كان معناها معنى ما لا يطرد ذلك فيه ، وكان اللفظ فيه إذا أنت قلبته ذلك اللفظ ، فصار هذا بمنزلة ما يكون فيه الحرف من حروف الزوائد ، ثم يشتق فى معناه ما يذهب فيه الحرف الزائد ، وأما جدبت وجببت ، ونحوه ، فليس فيه قلب ، وكل واحد منهما على حِدته ؛ لأن ذلك يطرد فيهما فى كل معنى ، ويتصرف الفعل فيه ، وليس هذا بمنزلة ما لا يطرد مما إذا قلبت حروفه عما تكلموا به وجدت لفظه لفظ ما هو فى معناه من فعلى أو واحد هو الأصل الذى ينبغى أن يكون ذلك داخلا عليه كدخول الزوائد» (١) .

وهنا يوضح سيبويه سبب القلب بين طأمن ، واطمأن ، وهو أن كل واحد منهما لا يصح أن يقوم أصلا بنفسه ،

ويقول مخالفا «أبا عمرو بن العلاء» إن طأمن أصل ، واطمأن مقلوب منه ؛ لأن اطمأن مزيد ، والزيادة مدخل للتغيير وتغيير الزيادة استدعى تغيير القلب على ما سيوضحه ابن جني فى النص الذى سوف أنقله عنه .

ويبين أن كل من جذب وجذب أصل قائم بنفسه لصلاحية كل منهما للتصرف التام تقول : جذب يجذب جذبا ، فهو جاذب .

وجذب يجذب جذبا ، فهو جابذ .

— ويقول أبو العباس «محمد بن يزيد المبرد» (٢٨٥ هـ) :

«ومن المقلوب قولهم : أينق فى جمع ناقة ، وكان أصل هذه أنوق ، والعلة فيه كالعلة فيما وصفنا» (٢) .

يعنى ما ذكره من استئصال الضمة على الواو :

— ويأخذ العلامة «ابن جني» ما جاء فى كتاب سيبويه وغيره من كتب المتقدمين ، فيعرضه فى عبارة واضحة بعد أن يضع دليلا واضحا يبنى عليه القول بالقلب وعدمه فى كل لفظين وجد فيهما تقديم وتأخير فيقول :

«اعلم أن كل لفظين وجد فيهما تقديم وتأخير ، فأمكن أن يكونا جميعا أصليين

(١) الكتاب ٤ - ٣٨١ وسوف يوضح النص المنقول عن ابن جني التوضيح الذى يحيط بعبارة سيبويه .

(٢) المقتضب ١ - ٣٠ .

ليس أحدهما مقلوبا عن صاحبه ، فهو القياس الذي لا يجوز غيره ، وإن لم يكن ذلك حكمت بأن أحدهما مقلوب عن صاحبه ، ثم رأيت أيهما الأصل ، وأيها الفرع ، وسنذكر وجوه ذلك .

● فدما تركيباه أصلا لا قلب فيهما قولهم : جذب وجذب ، ليس أحدهما مقلوبا عن صاحبه ، وذلك أنهما جميعا يتصرفان تصرفا واحدا ، نحو : جذب يجذب جذبا ، فهو جاذب ، والمفعول مجذوب . وجذب يجذب جذبا فهو جابذ ، والمفعول مجبوذ .

فإن جعلت مع هذا أحدهما أصلا لصاحبه فسد ذلك ؛ لأنك لو فعلته لم يكن أحدهما أسعد بهذه الحال من الآخر ، فإذا وقفت الحال بينهما ، ولم يؤثر بالترتيب أحدهما وجب أن يتوازيا وأن يمثلا بصفتهما معا ، وكذلك كل ما هذه سبيله .

فإن قصر أحدهما عن تصرف صاحبه ، ولم يساوه فيه كان أوسعهما تصرفا أصلا لصاحبه ، وذلك قولهم : أنى الشيء يأتي ، وأن يئين ، فأن مقلوب عن أنى .

والدليل على ذلك وجودك مصدر أنى يأتي وهو الإني ، ولا نجد لآن

مصدرا كذا قال الأصمعي «عبد الملك ابن قريب ٢١٦ هـ» فلما عدم من آن المصدر الذي هو أصل للفعل علم أنه مقلوب من أنى يأتي إني (١) .

ويقول في موضع آخر :

ومن ذلك - أي من المقلوب - قولهم اطمأن . ذهب سيوييه إلى أنه مقلوب ، وأن أصله من طامن ، رنخالفه «أبو عمرو» فرأى ضد ذلك . وحجته «سيوييه» فيه أن طامن غير ذي زيادة ، واطمأن ذو زيادة والزيادة إذا لحقت الكلمة لحقتها ضرب من الوهن لذلك وإذا كان في الزيادة طرف من الإعلال للأصل كان أن يكون القلب مع الزيادة أولى ، وذلك أن الكلمة إذا لحقتها ضرب من الضعف أسرع إليها ضعف آخر (٢) .

٢ - كلمات جاءت في مواطنها من معاجم العربية ، وأشار أصحاب هذه المعاجم إلى ما فيها من قلب ، ومن نماذج ذلك :

جاء في تهذيب اللغة : «قال بعضهم : جعفه وجفعه : إذا صرعه وهذا مقلوب كما قالوا : جذب وجذب»

وقد أهمل «الليث» جفع ، ولم يصح لي فيه شيء (٣) .

(١) الخ. ائص ٢ - ٦٩ - ٧٠ .

(٢) الخ. ائص ٢ - ٧٤ - ٧٥ .

(٣) تهذيب اللغة ١ - ٣٨٥ .

وجاء فيه كذلك :

«وقال «شمر» جهجهت بالسبع ، وهجهجت بمعنى واحد»^(١).

وجاء فيه :

« أبو عبيد عن «أبي عمرو» : أنبضت القوس ، وأنضبتهما : إذا جذبت وترها ، لتصوت .

قلت وهذا من المقلوب »^(٢).

ونقل صاحب المزهري عن الصحاح :

«وفي الصحاح : اللجز مقابو اللزج قاله ابن السكيت في كتاب القلب ، والحمشة مقلوب الحمشة ، وهي الغضب وكلام حوشى ووحشى ، والأوباش من الناس الأخطا مثل الأوشاب وهو مقلوب»^(٣).

٣ - الأبواب التي عقدها بعض العلماء لهذه الظاهرة وجمعوا فيها ما وقفوا عليه ، ومنها :

— الباب الذي عقده «ابن السكيت» في كتاب القلب والإبدال ، وهذا الباب لم أقف عليه ، وقد أشار إليه ، ونقل عنه «ابن جنى» في الخصائص ، والمنصف^(٤) . وأشار إليه كذلك السيوطي في المزهري ، وذكر أن صاحب الصحاح ينقل عنه^(٥).

— الباب الذي عقده أبو عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤ هـ تقريبا) في كتاب الغريب المصنف ، وأشار إليه «السيوطي» في المزهري

وقال أبو عبيد في الغريب المصنف باب المقلوب فما ذكر فيه : أحجمت عن الأمر وأجمعت ، وامضحل الشيء ، واضمحل : إذا ذهب ، وشنفت إلى الشيء ، وشنفت : إذا نظرت إليه^(٦).

وقد حقق الغريب المصنف الأستاذ الفاضل الدكتور رمضان عبد التواب والأمل كبير في نشر هذا الكتاب .

— الباب الذي عقده أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (ابن دريد - ٥٣٢١) في كتاب الجهمرة بعنوان باب الحروف التي قابت ، وزعم قوم من النحويين أنها لغات ، ومنه :

«وهذا القول خلاف على أهل اللغة والمعرفة يقال : جذب وجذب ، وما أطيبه وأيطبه ، وربض ورضب ، وأنبض في القوس وأنضب»^(٧).

— الباب الذي عقده من المحدثين العالم «أحمد فارس الشدياق» في كتابه «الجاسوس على القاهوس» وجمع فيه ما أمكنه الوقوف عليه من ألفاظ القاب ، ومنه :

أكر - ركا : أي حفر .

ناء - نأى ، واستناء - استنأى .

شآه - شاءه كما في الصحاح .

أيس يئس .

أمق العين - ماقها ، وفيه لغات .

(١) المصدر السابق ٥ - ٣٤٥ .

(٢) المصدر السابق ١٢ - ٤٧ .

(٣) المزهري ١ - ٢٨٥ .

(٤) الخصائص ٢ - ٨٨ ، والمنصف ٢ - ٩٥ .

(٥) المزهري ١ - ٢٨٢ .

(٦) المزهري ١ - ٢٨٤ .

(٧) الجهمرة ٣ - ٤٣١ .

جأف وجناً : أصرع ، ومثله جعف
وججع. (١)

(ج) القلب المكنى قياسى أو سماعى :

اتفق كل من قال بالقلب المكنى على أن طريقه السماع لا القياس إلا ما قال به «الخليل بن أحمد» من جواز القلب فى اسم الفاعل من الفعل الثلاثى الأجوف المهذوز اللام مثل : جاءٍ وشاءٍ وساءٍ ، فقد قال فيه باطراد القلب ، ووزن جاء - شاء - ساء عنده قال بعد حذف العين التى قدمت عليها اللام .

وكثير من النحويين يقول فى هذه الأفعال بعدم القلب ، ووزن اسم الفاعل عندهم فى جاء - شاء - ساء - فاعٍ .

ورقف كل من سيبويه ، والمازنى والمبرد من الرأين موقف المجيز المستحسن . وتعليق الثلاثة على الرأين بعد عرضهما بصور متفاوتة : يقول سيبويه والمازنى : « وكلا القولين حسن خميل » (٢) .

ويقول المبرد : وكلا القولين حسن (٣) .
وفما عدا ما قال الخليل باطراده ، لا تجد من قال بغير السماع .

يقول الأزهرى « أبو محمد منصور بن أحمد » (٣٧٠ هـ) :

« والمقلوبات فى كلام العرب كثيرة ، ونحن ننهى إلى ما ثبت لنا عندهم . ولا نحدث

فى كلامهم ما لم ينطتوا به ، ولا نقيس على كلمة نادرة جاءت مقلوبة » (٤) .

ويقول أبو الفتح عثمان بن جنى :

أما ما طريقه الإقدام من غير صنعة فنحور ما تدمنا ه أنفا من قولهم :

ما أطيبه وأيطبه ، و «أشياء» فى قول الخليل ، و «قسى» ، وقوله :

* أخو اليوم اليمى *

فهذا ونحوه طريقه الاتساع فى اللغة من غير تأت ، ولا صنعة ، ومثله موقوف على السماع ، وليس لنا الإقدام عليه من طريق القياس (٥) .

ولا يفوتنى قبل أن أنتقل إلى دراسة الظاهرة من وجهة نظر حديثة أن أقف عند رأى الإمام « ابن درستويه » الذى أنكر ظاهرة التناوب فى اللغة ، هذا الرأى الجرىء ، فى عصره المبكر ، فابن درستويه لا يوافق على القلب ، وإنما يرى أن ما جاء منه لغات ، لقوم متباينين ، ومن الجائز أن يتم تعاريفها بعد الذبوع والانتشار إن كتب للكلمة المقابولة ذبوع ، ويؤلف كتابا فى إبطال القلب يشير إليه فى شرحه على فصيح ثعلب ومما جاء فيه :

« وأما البسيطىخ فمما كنهة معروفة ، وهى بكسر الأول وتشديد الثانى على بناء فيحليل ، وهى عربية محضة ، وفيها لغة أخرى وهى

(٢) الكتاب ٤ - ٣٧٨ - المنصف ٢ - ٥٣ .

(٤) تهذيب اللغة

(١) الجاسوس على القاموس ١٧٤ وما بعدها .

(٣) المقتضب ١ - ١١٦ .

(٥) الخصائص ٢ - ٨٨ .

الطبيخ بتقديم الطاء ، وليست عندنا على القلب كما يزعم اللغويون ، وقد بينا الحجة في ذلك في إبطال القلب .

وفي الحديث كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يأكل الطبيخ بالرطب ، كأنه مشتق من الطبخ ، والبطيخ من معنى آخر ، وذلك أنه يقال لمكانه الذي يزرع فيه المبطخة وجمعها المباطخ مثل المقائى ، والمقثاة^(١) .

(د) الدراسة التحليلية لظاهرة القلب المكاني في أفعال العربية :

مادة الأفعال التي تعرضت لهذه الظاهرة واتخذتها ميدانا لدراستها هي الأفعال التي جمعتها من كتاب أفعال أبي عثمان سعيد ابن محمد المعافري السرقسطي (حوالي ٥٤٠ هـ) .

وبعضها جاء في كتاب أفعال شيخه أبي بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية (٣٦٧ هـ) .

وقد تحريت الدقة التامة في جمع هذه الصور ، ولم يفتنى منها إلا ما غاب عن الجهد .

وانتهيت إلى جمع اثنتين وأربعين صورة من الصور التي يمكن أن تخضع للدراسة هذه الظاهرة :

وقبل عرض هذه الصور ودراستها ، والخروج بنتيجة الدراسة والتحليل أحب أن أضع بين يدي القارئ خلاصة ما يأتي :

أولا : رأى العلماء القدامى والمحدثين في ظاهرة القلب المكاني .

ثانيا : التصور العام لهذه الظاهرة عند من يقول بها .

وبالقلب المكاني ، قال كثير من علماء اللغة والنحو على مر العصور قال به الخليل ، وسيبويه ، والمازني ، والمبرد ، والأزهري ، وابن دريد ، وابن جني . وفي الدراسة السابقة ما يشير إلى ذلك ، وضوعف عدد القائلين به على مر العصور حتى ظهرت الدراسات اللغوية الحديثة ، فأوجبحت الضوابط التجريبية لذلك .

وقال به مع استغرابه من المحدثين الأستاذ المرحوم أحمد فارس الشدياق الذي جمع منه قدرا صالحا عرضه في الصفحات ١٧٤ : ١٨١ من كتابه «الجاسوس على القاموس» إلا أنه عدّه غريبا حين قال : «وفي الحقيقة فإن اللثغة والقلب والإبدال في العربية غريب جدا لا يعرف في غيرها من اللغات»^(٢) .

وكذلك قال بوجوده أستاذنا المرحوم الدكتور إبراهيم أنيس (١٣٩٨ هـ) حين أشار إلى الترادف الذي يشهد به الواقع اللغوي ، وشرح العلاقة الصوتية بين المقلوب والمقلوب منه^(٣) .

(١) شرح فصيح ثعلب ١٣٤ - ب .

(٢) الجاسوس على القاموس ١٣٦ الجواب ١٢٩٩ هـ .

(٣) اللهجات العربية : ١٨٤ - ١٩٢ الطبعة الرابعة .

وإلى جانب هؤلاء العلماء الذين قالوا بالقلب ووجوده في لغتنا العربية نجد من قال بأنه لغات ، كابن فارس ، ونجد من أبطله كابن درستويه ، وإلى هذا سبقت الإشارة في البحث . أما عن تصور القائلين بالقلب لهذه الظاهرة فقد قالوا :

— بضرورة اتفاق المعنى بين الأصل والفرع .

— عدم وجود مصدر لكل من الأصل والفرع .

— تردد استعمال اللفظة المقلوبة اطمئنانا لعدم سبق اللسان .

وقد أكدوا على ضرورة كون المقاب لا مصدر له ؛ لأن وجود مصدر للمقاب ومصدر للمقاب منه يبطل القلب ، ويشير إلى ذلك ما يأتي من نقول :

«وأما جذبت وجبذت ونحوه فليس فيه قلب ، وكل واحد منها على حدته ؛ لأن ذلك يطرده في كل معنى ، ويتصرف الفعل فيه » (١) .

«فأما جذب وجبذ ، فأصلان ، لأن كل واحد منهما متصرف وذو مصدر ، فإذا تصرفا هكذا لم يكن أحدهما بأن يكون أصلا

لصاحبه أولى من أن يكون صاحبه أصلا له » (٢) .

«زمج قربته وسقاه زمجا : إذا مالأهما لغة في جزمهما .

قال ابن سيده ، وزعم يعقوب أنه مقاب والمصدر يأتي ذلك » (٣) .

«ابن سيده أما يئس وأيس فالأخيرة مقلوبة ؛ لأنه لا مصدر لأيس » (٤) .

ومع هذا فإن ما أتوا به لم يسلم لهم جميعه ، فقد قالوا بالقلب في أفعال لها مصادر ، ومن ذلك :

«المحكم : الجذب : المد ، جذب الشيء يجذبه جذبا ، وجبذه على القلب » (٥) .

وقد تبين لنا أن لكل من جذب وجبذ مصدرا قائما بنفسه .

«جخف الرجل يجخف بالكسر جخفا وجخافا وجخيفا : تكبر ورجل جخاف مثل جفاخ «صاحب فخر وتكبر ، وغلام جخاف كذلك عن يعقوب حكاه في القلب » (٦) .

ولجخف مصدر كما جاء في نص عبارة اللسان .

(١) سيويه ٤ - ٣٨١ .

(٢) الخصائص ٢ - ٤٣٩ .

(٣) اللسان - زمج .

(٤) اللسان - يئس .

(٥) المحكم ٧ / ٥٦ .

(٦) اللسان - جخف .

صور الظاهرة كما جاءت في كتاب أفعال السرقسطى الذى هذب وبسط فيه كتاب
ابن القوطية :

الجزء والصفحة	مادة القلب	م
	الهزة	
١١٤ / ١	أيس من الشيء مثل يئس .	١
	الباء	
١٣٢ / ٤	وبسبب بوله بسببته ، وسببته بسببته : إذا أرسله .	٢
٥٠٩ / ١	الفراء ، يقال : نجحوا عنكم من الظهيرة ، ونجحوا : أى أبردوا .	٣
	الثاء	
٦٢٩ / ٣	وثنت لثته ثنتاً وشتناً : تغيرت ريحها . ويقال أيضاً ثنت بتقديم النون بمعناه .	٤
٦٢٦ / ٣	وقال الآخر : (رؤبة الديوان ١٥٠) : * يكاد شفاف الرياح يثرمه * ويروى يثرمه ، يقال هو الأثرم والأثرم ، وقوله شفاف أى أدنى هبوب . يرثمه : يكسره .	٥
٦٢٠ / ٣	وثفت الشيء ثفوا : كنت معه فى إثره ، كأنه مقلوب عن أثفت الشيء : تبعته .	٦
	الجيم	
٣١١ / ٢	قال أبو عثمان : وجحا بالمكان يجحو مثل حجا كأنه مقلوب : إذا لزمه .	٧
٢٩٠ / ٢	وجذبت الشيء جذباً ، وجذته جذباً : مددته إلى نفسه . . . وجذبت . . . نفس الإنسان وطباعه وعاداته إلى كذا : مثله ، وجذبت الدابة وجذته : فطته عن الرضاع .	٨

الجزء والصفحة	مادة القلب	م
٢٩٦/٢	قال أبو عثمان : قال الأصمعي : جفخ وجخف : تكبر ، وبه جفاخ وجخاف أى كبر	٩
٢٨٩/٢	وجلنت الطين عن الأرض : قشرته ، وجلنت اللحم عن العظم : كشطته وجلنت الشحم عن الجلد : مثله ويقال فى جميع ذلك : جنل جنلا .	١٠
٣١٦/٢	ويقال : جهجت بالأسد وهجهجت به مقلوب : إذا صحت	١١
الحاء		
٤٢٧/١	وقال الأصمعي : حججج عن الأمر وجحجج : إذا كف وقال العجاج ، (الديوان ٣٨٩) : « حتى رأى رأيهم فحجججا »	١٢
الخاء		
٥٠٩/١	الفرء : خجججت ، وجخججت : إذا لم تبد ما فى نفسك	١٣
الذال		
٦١١/٣	ويقال : اذمقر اللبن مقلوب عن امدقر : إذا انقطع من الحو 4 ، فتصير خثارته كالخيوط فى مائه	١٤
الراء		
٤٩/٣	رأيت الشىء عروية ، ورأيا ، ومرآة ، قال أبو عثمان : ويقال : راء مقلوب بمعنى رأى ، قال قيس ابن الخطيم (الديوان ٤٧) : فليت سويدا راء من فر منهم . ومن خسر إذ يحدونهم بالكتائب	١٥
١١٣/٣	ويقال : اردعفت الإبل ، وادرعفت : إذا مضت على وجوهها	١٦
الزاي		
٤٦٦/٣	تقول : زججت القرية مثل جزمتها : إذا ملأها	١٧

الجزء والصفحة	مادة القلب	م
	السين	
٥٥٩ / ٣	سئنت اليد سافا : تشقق ما حول الأظفار ... قال أبو عثمان : وزاد أبو زيد ، وسأفت أيضاً بفتح الهجزة وسفيت أيضاً متلوب غير مهوز .	١٨
٥٧٣ / ٣ وسبب بوله ، وبسببه : إذا أرسله وسمعت الإبل سمعاً ، وسمعت الإبل سعماً وسحوماً : سارت	١٩ ٢٠
٤٠ / ٣ سيراً شديداً	
	الشرين	
٣٥٥ / ٢ وشاك الشيء أيضاً : أحزنك قال أبو عثمان : وشاءك أيضاً أحزنك ، وأنشد للحارث بن خالد الخزومي : مر الحبول فما شأرك نقرة ولقد أراك تشاء بالأظمان فجاء باللغتين .	٢١
	وشنت الشيء شنتاً مثل شنتت : نظرت إليه ، وأنشد أبو عثمان للعجاج (الديوان ٤٩١) : * أزمان غراء تروق الشنفا * تروق الشنفا : تعجب من نظر إليها . قال أبو عثمان : وقال أبو زيد : شنف له ، وشنن له : إذا نظر إليه نظر البغضة .	٢٢
	الصاد	
٤١٥ / ٣ وصتعت الصاقبة : أصابت متلوب عن صعتت الصاقبة	٢٣
	الضاد	
٢٣١ / ٢ وضفع الرجل ضفناً : سلاح ، وفضع أيضاً متلوب بمعناه	٢٤
٢٤٣ / ٢ قال أبو عثمان : يقال اضمحل انباطل اضمحللاً : ذهب وقال يعقوب : اضمحل الشيء وامضحل متلوب : ذهب .	٢٥

الجزء والصنحة	مادة القاب	م
	الطاء	
٢٨٤ / ٢	طأمن الرجل ظهره ورأسه ، وطأ أن مقلوب	٢٦
٢٦٩ / ٢	وطخم الرجل طيخماً : تكبر وطمخ طمخاً : مثله .	٢٧
	العين	
٣٥٨ / ٣	قال : وإذا عننت العظم المحبور قيل : أتعب وأعتب . قال ذو الرمة (الديوان ٦٢٩) : إذا نال منها نظرة هيض قلبه بها كانهياض المتعب المتمم	٢٨
٣١٤ / ١	وعشا عشواً ، وعشى عشى : أفسد ، مقلوبين عن عاث قال أبو عثمان : وهما أفصح من عاث .	٢٩
٢٤٢ / ١	وعادك الشيء : صرفك مقلوب عن عداك	٣٠
٢٠٧ / ١	قال أبو عثمان : وعق الماء فهو عقاق مقلوب من قعاع : إذا اشتدت مرارته ، قال الراجز الجعدي : * يحرك عذب الماء ما أعقه *	٣١
٣١٧ / ١	قال أبو عثمان ، قال ابن الأعرابي (محمد بن زياد ٢٣١ هـ تقريباً) : يقال : عققس الرجل خلقه عققسة ، وعققسه عققسة : إذا أساءه بعدهما كان حسن الخلق .	٣٢
٤٥ / ٢	وقال بعضهم : هذيل تقول : غذمرتك الشيء وغذرتك مقلوب : أى بعتهك جزافاً من غير كيل ولا وزن ، قال (أبو جندب) الهذلي (الديوان ٨٣) : فلهف ابنسة الحنون ألا أصيبه فأوفيه بالصاع كيلا غذارما	٣٣
	القاف	
١٢٨ / ٢	قال أبو عثمان : وقال أبو بكر : قخا بطنه قخوا : فسد مثل قاخ .	٣٤
١٣٤ / ٢	قال : وقال أبو عبيد قلقلت الشيء ولقلقت مقلوب : إذا حركته ، وتقلقل هو وتقلقل : إذا اضطرب ويقال للفرس الحواد السريع يتقلقل ويتقلقل . لغتان .	٣٥

الجزء والصفحة	مادة القالب	٢
٣٧٨ / ٢	وشقع الرجل في الإناء يشقع شقعا : إذا شرب مثل كرع : ومثله قبع وقمع ومقع .	٣٦
١٥٣ / ٢	الكاف ويقال كخه باللجام ، وكخه مقلوب : إذا ضرب به . وأكخ بأنفه إذا تكبر . وأكخ الرجل أيضاً مقلوب : إذا رفع رأسه تكبراً وعظمة . ومنه الكيخ مقلوب كيخ ، وهو الملك التريض والسلمان العظيم .	٣٧
١٨٩ / ٤	الميم ومحمت الشيء أمحته محناً : دلكته دلكتاً شديداً . ويقال أيضاً حثته أحثه حثداً بمعناه .	٣٨
٢١٨ / ٤	قال أبو عثمان : يقال اذقر اللبن إذا تقطع من الحموضة حتى ينصل ، فتصير خثارته كالحيوط في مائه . ويقال أيضاً اذمقر مقلوب ، وقد يكون ذلك أيضاً في الدم .	٣٩
٢٣٥ / ٣	النون نأى الشيء نأياً : بعد . . . قال أبو عثمان : ويقال : ناء بمعنى نأى مقلوب : إذا بعد ، قال طفيل الغنوي (الديوان ١٨ برواية بانة) : وكنت إذا ناءت به غربة النسوي شديد القوى لم تدر ما قول مشغب	٤٠
٢١٥ / ٣	ونخج الرجل المرأة : جامعها . قال أبو عثمان : ونخجها ، ونخجها أيضاً مثله . . . قال : ونخج السقاء : وضعه على ركبتيه مخضه . ويقال أيضاً نخج في السقاء .	٤١
٢٠٢ / ٣	ونزغ الشيطان بينهم نزغاً : أفسد . قال أبو عثمان : ونزغت أنا بينهم أيضاً . قال أبو الحسن بن كيسان (محمد بن أحمد بن إبراهيم ٣٢٠ هـ تقريباً) النزغ : الكلام الذي يغري بين الناس . قال ويقال : نغز بمعنى نزغ ، يقال : أخرجوا النغاز من بينكم والنزاع أيضاً .	٤٢

٢١ - (شأى / شاء) جاء فى اللسان شأى :
«وشأنى الشئ شأراً : أعجبني ، ورقيل : حزننى .
الأصمعى شأنى الأمر مثل شعانى ،
وشأنى مثل شاعنى : إذا حزنتك ، وقد
جاء «الحارث بن خالد المخزومى» فى بيته :
مر الحمول فما شأونك نثرة
ولقد أراك تشاء بالأطعمان
باللغتين جميعاً .

٢٣ - (صعق - صتع) جاء فى اللسان /
صقع :
« ويقال صعقته الصاعقة ، قال الفراء :
تميم تقول : صاعقة فى صاعقة ...
« وصقع الرجل كصعق ، والصاعقة
كالصاعقة حكاه يعقوب » .

وجاء فيه صعق كذلك :
صعق صعقتنا وصعقتاً : أصابته الصاعقة ،
وفى ثلاث لغات صاعقة ، وصعقة ،
وصاعقة » .

٢٥ - (اضمحل - امضحل) ، جاء فى
اللسان / اضمحل :

« اضمحل الشئ وضمحن على البذل
عن يعقوب ، وامضحل على القاب » .
والدليل على القلب أن المصدر إنما هو على
اضمحل نون امضحل وهو الاضمحلال ،
ولا يقولون امضحلال »

إذا رجعنا إلى الصور السابقة ، والتي
سمع فيها القلب المكاني وعددها اثنتان
وأربعون (١) وجدنا أن «أباً عثمان» قد ذكر
مصدراً لكل من اللفظتين فى سبع منها
وهى الصور المميزة بالأرقام : ٢ - ٨ -
١٩ - ٢٠ - ٢٧ - ٣٢ - ٣٨ ووجدنا
أن لسان العرب - وقد أثرته فى الدراسة ؛
لأن اللسان كما يقول مؤلفه فى مقدمته يقوم
على تهذيب الأزهرى ، ومحكم ابن سيده ،
وصحاح الجوهرى ، وأمالى العلامة محمد
ابن برى ، وكتاب النهاية لابن الأثير وهى من
أمهات الكتب - قد ذكر مصدر الكل من اللفظتين
فى ثلاث عشرة صورة وهى المميزة بالأرقام
٥ - ٩ - ١٠ - ١١ - ١٢ - ١٧ - ٢٢ -
٢٤ - ٢٦ - ٢٩ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٦ .

أى أن عشرين صورة من صور ما قبل
فيها بالقلب تخرج من إطار الظاهرة ؛ لأن
كلا من اللفظتين أصل قائم بنفسه ،
وليس أحدهما بأولى من الآخر بالأصالة.
ووجدنا أن سبع صور منها من العلماء
من قال إنها لغات ، ومنهم من قال بالقلب
والصور هى :

١ - (أيس - يئس) جاء فى اللسان - أيس :
« الجوهرى : أيست منه آيس يأسا لغة
فى يئست منه أيأس يأسا ومصدرهما واحد .
ابن سيده : أيست من الشئ مقلوب عن
يئست ، وليس باغة فيه » .

(١) فى صورتين من هذه الصور تكرر ، وهذا يدل على أن أباً عثمان جعل كلا منهما أصلاً مستقلاً .

وجاء في اللسان / ضحل : « وفي لغة الكلابيين « امضحل » بتقديم الهم حكاها أيوزيد » .

٣٥ - (قاتل - لقلق) جاء في اللسان - قاتل : « قلقل الشيء قلقلة وقلقالا أي حركه ، والقلقاة شدة اضطراب الشيء وتحركه ، وهو يتقاتل ويلقلق .

أبو عبيد قلقت الشيء ولقلقته بمعنى واحد ، وقيل إنها لغتان » .

٣٧ - (كمخ - كخم) ذكر صاحب اللسان مصدرا لكل من أكخم وأكخ وذكروا مصدراً للفعل كخم الثلاثي ، فقال :

« والكخم : المنع والدفع ، تقول : كخمته كخدا إذا دفعته » .

وعلى هذا ينحصر القلب بين كخم وكمخ ، والمصدر لكخم دون كمخ . وجاء فيه ما يشير إلى أن الإكخام ، لغة في الإكماخ ، ونص عبارة الإكخام لغة في الإكماخ .

أي أن عندنا ست صور تضاف إلى ما ذكر له مصدران على القول بأنها لغات واذارجعنا إلى الصورة ٣١ نجد فيها خلافا كذلك بين من يقول بالقلب ومن يقول بأن كلا من الصورتين أصل والصورة :

(عق - قع) جاء في اللسان - عق :

وأعقت الأرض الماء : أمرته ، قال الجعدي :

* تحرك بحر الخود ما أعقه * .

وأما « ابن الأعرابي » . فقال : أراد ما أقعاه من الماء القع . وهو المر أو الملح فقلب . وأراه لم يعرف ماء عتا ؛ لأنه لو عرفه لجدل الفعل عليه ، ولم يحتج إلى القلب » .

يتبقى لنا من الصور التي أمكن جمعها خمس عشرة صورة . منها ست صور أفعالها غير ثلاثية وهي :

٣ - « خبخب - خبخ » لم تورد كتب اللغة التي وقفت عليها مصدرا لأي من الفعلين .

١٣ - « خججخج - جججخج » ذكر اللسان مصدرا للفعل خججخج .

١٤ - « اذمقر - امدقر » ذكر مصدرا للفعل امدقر .

١٦ - « ادرعف - ادرعف » لم تورد كتب اللغة التي وقفت عليها مصدراً لأي من الفعلين .

٢٨ - « أتعب أعتب » لم تورد كتب اللغة التي وقفت عليها مصدراً لأي من الفعلين .

٣٩ - « مكرر ١٤ » ذكر اللسان مصدرا للفعل امدقر كما تقدم .

وهذه الصور تمثل أفعالاً غير ثلاثية ، وإذا قسناها بمقياس كون مصادر الأفعال الزائدة على ثلاثة غير سماعي ، تركت هذه النظرة ظلاً من التحفظ أمام هذه الصور .

وعلى هذا يكون ما بقي في أيدينا من الصور التي خلاصت لظاهرة القلب تسع صور هي :

٤ - ٦ - ٧ - ١٥ - ١٨ - ٣٠ - ٤٠

٤١ - ٤٢ .

نتائج الدراسة

— العقل يميل إلى ماقال به « ابن درستويه » من وجود فروق دقيقة بين الأصل والفرع ؛ لأننا إذا رجعنا إلى المادة الواحدة في كتب اللغة وجدنا أن منها ما يشغل الصفحات باستعمالاته المتفاوتة ، وإذا تفاوت معنى اللفظ الواحد من تركيب إلى تركيب ، فإن التفاوت بين الأصل والمقلوب منه من باب أولى .

— المنطق يستبعد على البيئة الواحدة في زمن واحد استخدام الأصل والفرع للمعنى الواحد وإنما يرجح أن يكون استعمال الأصل في بيئة والفرع في بيئة أخرى . أو لبيئة واحدة في زمنين مختلفين نتيجة تطور لغوى ، ويرجح ذلك ما جاء في أمالي القالى :

«أتقول مثل حلك الغراب أو حنكه؟ فقال : لا أقول مثل حلكه^(١). والقاب صنو الإبدال.»

ولايتأتى استعمال البيئة الواحدة للأصل والفرع في وقت واحد إلا إذا قلنا: إن أحد اللفظين لهما والآخر مستعار من لغة أخرى .

— يقول البعض إن أكثره يقع في المههوز والمعتل ، والواقع الذى تشير إليه الدراسة يجعله قسمة عادلة بين الصحيح والمعتل والمههوز .

بعد هذه الدراسة المتواضعة أستطيع أن أسجل النتائج التى وصلت بنا إليها الدراسة على الوجه الآتى :

— إذا سلمنا بأن ظاهرة القلب المكاني فى الكلمة ظاهرة يسلم بها الواقع اللغوى ، وأبعدنا احتمالات خطأ عيوب السمع واللسان والتصحيح فإن وجود تسعة أفعال أو أكثر تمثل ظاهرة القلب بصدق فى كتاب الأفعال للسرقسطى الذى يضم ما يقرب من خمسة آلاف فعل يعتبر قطرة من بحر .

— هذه الألفاظ التى قيل فيها بالقلب يلتقى فيها الأصل والفرع فى معنى واحد من المعانى الختيرة التى يعبر عنها الأصل فى استعمالاته اللغوية المختلفة ، ومن ذلك :

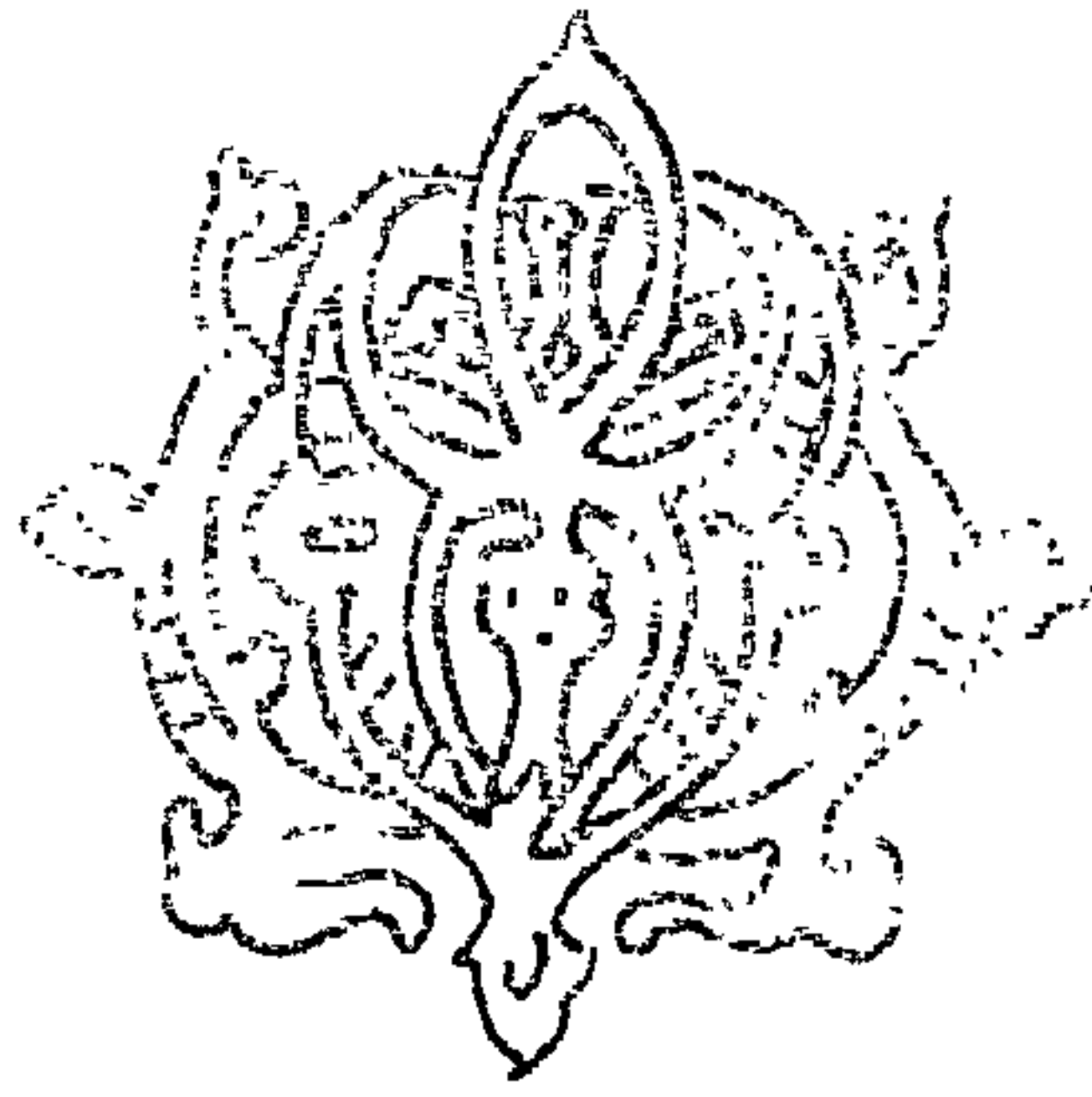
« وصقعت الصاعقة أصابت ، مقلوب من صعقت الصاعقة » .

وقد يلتقى الأصل والفرع فى أكثر من معنى إلا أنها محدودة على كل حال ، ومن ذلك : وجلفت الطين عن الأرض قشرته ، وجلفت اللحم عن العظم كشطته ، وجلفت اللحم عن الجلد مثله ، ويقال فى جميع ذلك جنبل جنبلا .

(١) أمالى القالى ٢ / ٤٤ .

و بعد فهذه دراسة متواضعة لدراسة القلب
المكاني إن كنت قد حققت فيها بعض الصواب
فمن الله التوفيق والسداد ، وإن كانت
الأخرى فله وحده الكمال والجلال .
حسين محمد شرف

ـ يجب حمل الكلمة على أصحها الأول ،
ولا يقال بالقلب إذا أمكن القول بأصالة
اللفظتين ، ولا نقول كذلك بالقلب إلا إذا ثبت
ورود الأصل والفرع في رواية صحيحة ،
فيكون التسليم به ضرورة من الضرورات (١) .



(١) الخصائص ٢ / ٨٢ - ٨٨ .

المركب والاسم

للأستاذ الدكتور محمد عبد السلام ترفالدين

بسم الله الرحمن الرحيم

مبشوثا ، وهدفى من الكتابة فى هذا الموضوع
بهذه الطريقة :

١ - الانعتاق من ربة التبويب النحوى
الذى لحا إليه النحاة التعليميون .

٢ - تقديم نحو العربية من وجهة نظر
تركيبية ترى للغة وحدات تركيبية يوظف
بعضها داخل بعض ، فالمفرد عنصر فى المركب ،
والمركب يوظف داخل الجملة الصغرى وهكذا .

٣ - تجميع أقوال النحويين القدماء ،
لأنهم تنبهوا إلى هذا التلاحم السابق وإن
اتخذ تبويبهم لمسائل النحو شكلا آخر .

هذا ، وهناك بعض المراجع التى أفدت
منها أيا إفادة فى النظرة العامة إلى هذا الموضوع
بل إن بعضها هو ما دفعنى إلى أفراد هذا
الموضوع بحديث خاص أذكر منها :

- الكتاب لسيبويه .

- شرح المفصل لابن يعيش .

- شرح الكافية للرضى أكتوبر ١٩٧٩

(وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب) .

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام
على خاتم النبيين وسيد المرسلين سيدنا محمد
النبي الأمين .

وبعد :

فهذا بحث جديد وليس بجديد . أما
الأخيرة فإن المعلومات النحوية التى تحويها
هذه الأوراق قد قالها النحويون القدماء -
جازاهم الله خير الجزاء .

وأما الأولى فإن هذه المحاولة من أولى
المحاولات التى تجمع أطراف هذا الموضوع
فى معالجة خاصة ، فالمعلومات التى فى ثنايا
هذا البحث متفرقة فى المراجع النحوية .

كما أن هذا البحث يصدر عن رؤية
معينة تذهب إلى أن من الممكن تقديم نحو
اللغة العربية من خلال تبويب جديد يأخذ
فى اعتباره طبيعة اللغة فى التركيب .

لهذا كانت هذه الأوراق عما أسماه القدماء
بالمركب ، وعنوا به ما ليس بمفرد ولا جملة ،
فهو بين بين ، ولكن حديثهم عنه جاء متفرقا

مداخل

معنى النحو :

النحو هو العلم الذي بأصوله وقواعده نعرف أحوال الكلمات حال تركيبها ، أو هو البحث عن علاقة الكلمة بما قبلها وما بعدها وما يستتبعه هذا من الوقوف على أحكام إعرابها وبنائها .

قال تعالى « كنتم خير أمة أخرجت للناس » (١)

هذا الجزء من الآية الكريمة عبارة عن تركيب تجاررت كادائه وتداخلت ورتبت على نسق معين ، فلذلك كلمة فيه علاقة بما قبلها وما بعدها . واعراب الجملة السابقة يثبت المتمولة السابقة بوضوح ، فكلمة «خير» مثلا - خير كان قبلها ، ومضاف إلى «أمة» بعدها ، و أمة مضاف إليه بالنسبة إلى خير قبلها ، وموصوف بالنسبة إلى ما بعدها .

حضر رجل العلم :

تعتبر كلمة رجل ، في المثال السابق فاعلا من حيث علاقتها بالفعل حضر قبلها ، ومضافا من حيث علاقتها « بالعلم » بعدها ولا تعارض بين الاعتبارين السابقين ، لأن الاعتبار الأول ينظر فيه إلى وظيفة الكلمة في الجملة ، والاعتبار الثاني ينظر

فيه إلى أنها عنصر في مجموعة كلامية وهي مركب (المضاف والمضاف إليه) (٢) .

مصطلحات النحو وشجرة التحليل :

النحو أصل من أصول العلوم العربية ومن أسبقها إلى الوجود ومنه استمدت علوم عربية بعض أصولها ، وقد حظى النحو العربي بمصطلحات وفيرة اتفق عليها المشتغلون بصناعة النحو والقائمون على امر سلامة اللغة العربية ، فهناك مصطلحات الإعراب والبناء والعدد ، والنوع ، والتعريف والتنكير ، كما ان هناك مصطلحات خاصة بالمواقع النحوية للكلمات .

وقد اعتاد اجدادنا النحويون أن يقدموا وصفا دقيقا لما عليه الكلمات في التراكيب وهم يعربون . ففي قوله تعالى - مثلا :

«يحق الله الربا ويربى الصدقات» (٣) .

نراهم يعربون كلمتي «الربا» و«الصدقات» مثلا على النحو التالي :

«الربا» مفعول به ، منصوب بفتحة مقدره على آخره ، منع من ظهورها التعذر .
«الصدقات» مفعول به ، منصوب بالكسرة ، لأنه جمع مؤنث سالم .

(١) آل عمران - ١١٠ (٢) يمكننا مقارنة جملنا بـ «دrama» صغيرة تلعب فيها الكلمات والعناصر اللغوية الأخرى دور الممثلين ، فربما يلعب الممثل الواحد أكثر من دور في الجملة الواحدة .

Alexander, Hulert G; meaning in languag; pp. 70,71.u.s.a. 1969.

(٣) البقرة - ٢٧٦ .

وهذا الإعراب الذي قد يرميه بعض قاصري النظر من أعداء الفكر الإسلامي عامة والفكر النحوي خاصة بالإطالة أو باللغو . أقول هذا الإعراب يكشف عن منهج فكري منظم يهدف إلى تبين ما يلي :
أولاً : موقع الكلمة أو وظيفتها في التركيب ،
يُرى هذا كشف علاقتها بما يجاورها .

ثانياً : الحالة الإعرابية التي تلبس بها الكلمة وهي تؤدي هذه الوظيفة .

ثالثاً : علامة الإعراب أي شكل آخر الكلمة ، فالحالة الإعرابية قد يكون لها أكثر من علامة .

رابعاً : سبب تقدير الحركة ، إذا كانت غير ظاهرة ، وسبب الإعراب الفرعي إن يوجد وسوف أقدم إعرابي للأمثلة على شكل ما يسمى بشجرة التحليل Tree Diagram التي يظهر عليها المثال المحلل متدرجاً تدرجاً تنازلياً حتى تنتهي الشجرة بأفرع للعناصر المفردة إذا ما اتجهنا منها إلى أعلى نتدرج تدرجاً تصاعدياً ، وهدفنا وراء اللجوء إلى هذه الطريقة تعليمي بحت ، وسوف أراعي في رسم شجرة التحليل ما يلي :

أولاً : تفريع الشجرة إلى فرعين : فرع للمسند إليه ، وآخر للمسند - كما يردان في المثال وفرع ثالث للمكمل ، وهو ماسوي المسند والمسند إليه فستوى التحليل في هذه المرحلة يرتكن إلى المعنى ومفهوم المثال .

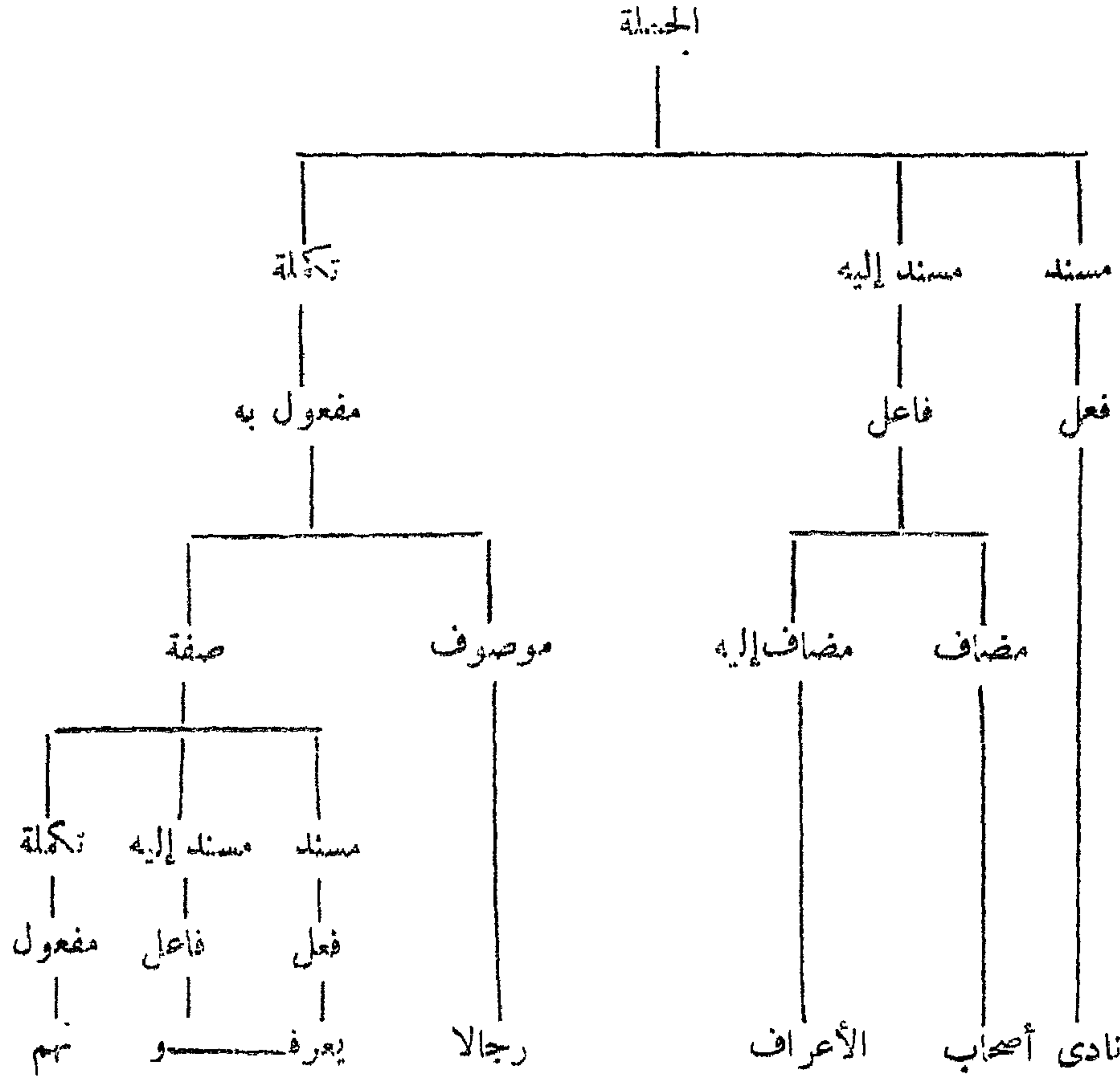
ثانياً : مد الأفرع السابقة لتصبح أفرعاً للوظائف النحوية التي تقوم بها الكلمات فستوى التحليل في هذه المرحلة يستند إلى الوظيفة .

ثالثاً : قد يتوقف تفريع الشجرة عند المستوى السابق ، إذا كانت العناصر التي شغلت المواقع النحوية مفردة أو مركبة تركيبياً مزجياً ، لكننا سنستمر في تفريع الشجرة إذا كان في المثال عنصر غير ماسبق أي غير المفرد والمركب المزجي ، ومستوى التحليل في هذه المرحلة عماده التركيب أي تركيب العنصر من أكثر من كلمة .

رابعاً : رسم خطوط مستقيمة تبدأ من نهاية كل فرع في الشجرة وتنتهي جميعاً على خط مستقيم ، ونكتب تحت كل خط مستقيم العنصر أو الكلمة التي تمثله .

وهالك تحايلا لبعض الأمثلة :

قال تعالى : ونادى أصحاب الأعراف رجلا يعرفونهم .



تعليقات على الشجرة :

هذه الطريقة تعليمية ، وينصح بتقديمها إلى المتخصصين الذين تمكنهم معلوماتهم في النحو العربي من إكمال أوجه النقص التي تفتق بها هذه الطريقة ومن هذه الأوجه (١) :

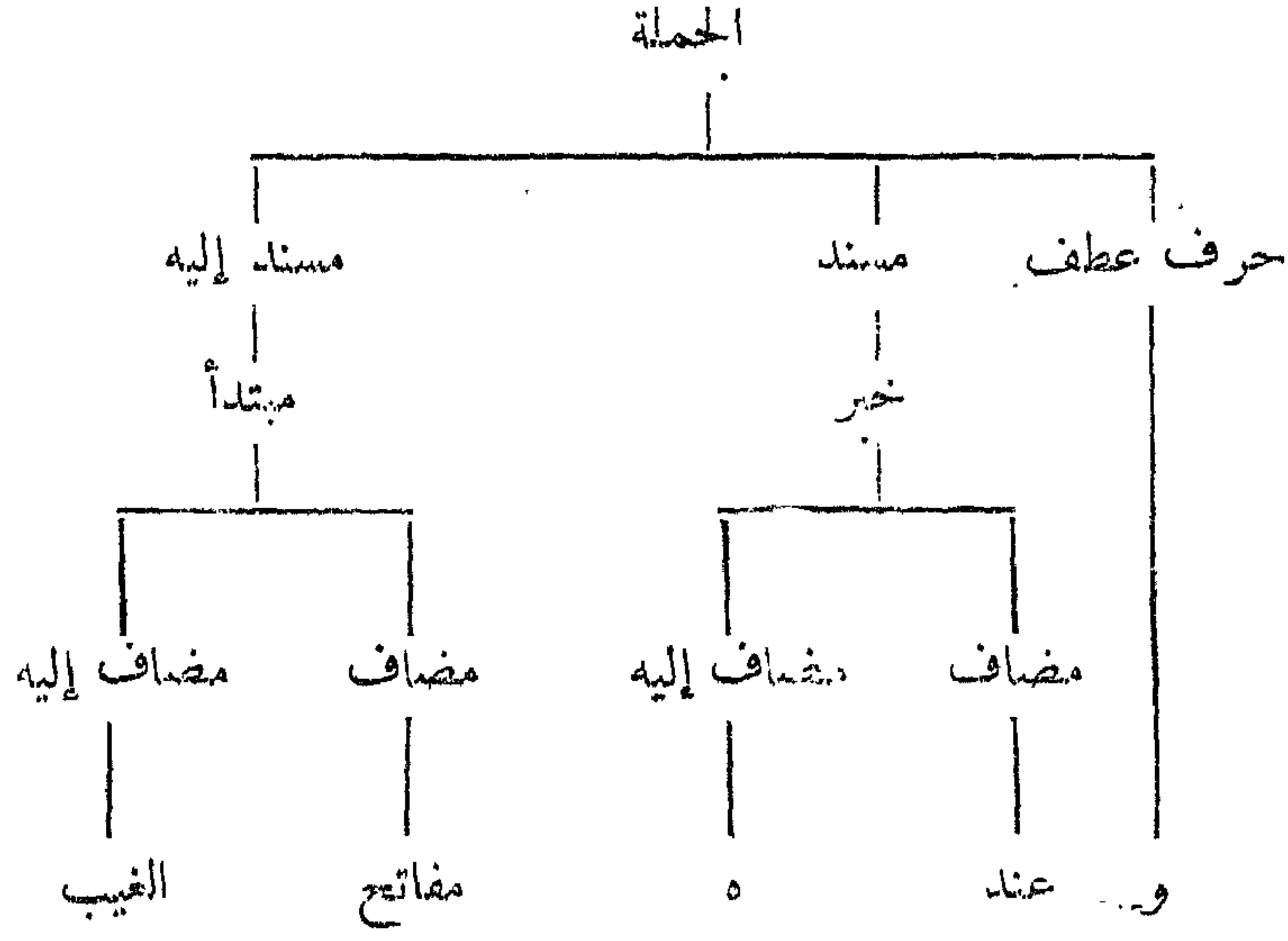
(أ) الإغفال عن ذكر الحالة الإعرابية

(ب) الإغفال عن ذكر العلامة الإعرابية : ظاهرة أو مقدرة ، بله سبب التقدير .

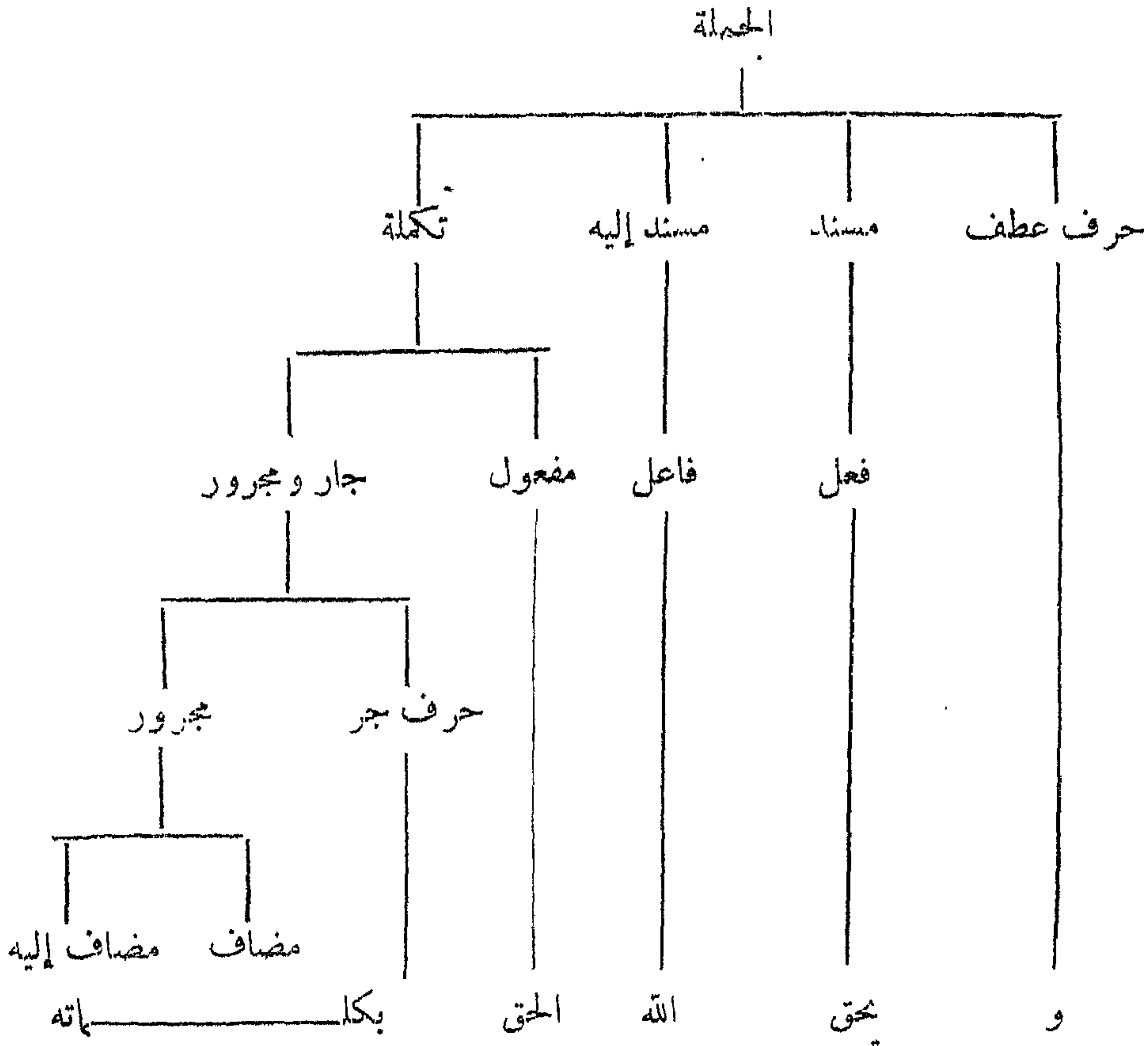
(ج) الإغفال عن تحديد الحمل التي لها محل من الإعراب ، والتي ليس لها محل من الإعراب . فلم يظهر على الشجرة السابقة - مثلا - أن جملة « يعرفونهم » في محل نصب

(١) انظر نقدا تفصيليا لتحليل الحمل بطريق شجرة التحليل في « كم الجملة العربية » للمؤلف ، سلسة البحث اللغوي ، كلية دارالعلوم ، مارس ١٩٧٧ .

قال تعالى : « وعنده مفاتيح الغيب » (١) :



قال تعالى : « ويحق الله الحق بكلماته » (٢) :



(٢) يونس : ٨٢ .

(١) الأنعام : ٥٩ .

الكم والكيف :

والمراد بـ«كيف» الجملة الطريفة التي توصف بها هذه العناصر . فهذا اعتبار يشار به إلى ترتيب الكلمات في الجملة : كما يقصده الكيفيات المختلفة التي تطرأ على التركيب من حيث كونه مثبتاً أو منفيّاً : تقريرياً أو مؤكداً دالاً على زمن ما من الأزمنة وقد يقصد بالكيف أيضاً ما قد يتحقق في التراكيب من مطابقة بين العناصر المفردة وكذا الحركة الإعرابية التي يستحقها العنصر الاسمي في الموقع النحوي المعين .

المقصود « بالكم » عدد العناصر التي يتكون منها التركيب . وهذا إطلاق قد يرادف « حجم » التركيب ، والعناصر التي تكون الجملة قد تكون ضرورية لتكوين ما أسميه التركيب الأساسي ، ثم قد تزداد هذه العناصر عناصر أخرى . أو تنقص بعض العناصر فتنتج الزيادة ما أسميه بالتركيب الممتد ، وينتج النقص ما أسميه التركيب المختزلاً .

وهاك جدولاً لبعض الحمل

رقم	الجملة	الكم	الكيف	عناصر الكيفية
١	حضر رجل	بسيطة تركيبها أساسي	فعلية مثبتة فاعلها مرفوع	ما
٢	ما حضر رجل	» » »	» منفية »	ما
٣	ما حضر من رجل	» » »	» مؤكدة فاعلها مجرور	ما من النكرة

أو العلامة الصفيرية Zero - market فالإثبات في (١) دلالة عدم وجود علامة له . وأخيراً يلاحظ أن عناصر الكيفيات لا تسبب تضخماً في المواقع النحوية أو تغييراً في كمها . وقد يستثنى من ذلك الكلمات الدالة على الشرط ، فالكلام ينعدم معها ويصبح أكبر مما كان قبل دخولها (١) . وأحياناً يحدث تلازم بين «كم» الجملة ، وكيفية معينة ، ويتحقق هذا مثلاً في الحال والمفعول المطلق

يلاحظ في الجدول السابق أن هناك عناصر كلامية إيجابية عبرت عن السكيفية التي أريد للجملة أن تكون عليها : و «ما» في (٢) وظفت للنفي ، و «ما» و «من» وتأكيد الأسم في (٣) وظفت في النفي والتأكيد والجر .

كما قد يدل على الكيفية المعينة عدم وجود عنصر كلامي أو ما يسمى بالعنصر الصفيري ،

(١) السيوطي ، جلال الدين ، الأشباه والنظائر ج ٢ - ٤٤ ، الكليات الأزهرية ، القاهرة ١٩٧٥ .

المؤكدتين لعمامتهما في نحو قوله تعالى :
« فتبسم ضاحكاً » (١)
« وكلم الله موسى تكليماً » (٢)
وكم التركيب يزداد بوسيلة من الوسائل
التالية :

- ١- اندراج الكلمة عنصراً في مجموعة كلامية متلازمة متشابكة تصير وزنها بدلاً ، أو نعتاً مثلاً .
- ٢- كون الكلمة من الكلمات المهمة التي تحتاج إلى كلام بعدها لتوضيح المراد منها .
- ٣- تعدد في المواقع النحوية للجملية ، وغالباً ما يكون الفعل مركز الدائرة لهذه المواقع .

فكم الجملة يزيد إما عن طريق تضخم الموقع (٢٠١) أو عن طريق كثرة المواقع (٢) والحديث عن « المركب الإسمي » هو حديث عن زيادة كم التركيب عن طريق تضخم الموقع أو الزيادة في عدد العناصر المفردة .

الوحدات النحوية :

أجمع النحويون العرب على أن أجزاء الكلام هي : الاسم والفعل والحرف . وهذا في الواقع تقسيم للكلام حسب أنواعه . وقد فرق النحويون بين هذه الأنواع الثلاثة تفريقاً بني على المعنى حيناً ، واستند إلى « الشكل » حيناً آخر ، ثم إلى « الوظيفة » في بعض الأحيان :

نوع الكلمة	الشكل	المعنى	الوظيفة
اسم	من علاماته : الجرو والتثوين وأل	له معنى في نفسه وليس الزمن جزء منه	يتبع مسنداً إليه ومسنداً
فعل	من علاماته : تافعات ، يا افعل نون التوكيد .	له معنى في نفسه والزمن جزء منه	يقع مسنداً فقط
حرف	لا علامة له	ليس له معنى في نفسه وله معنى في غيره	لا يقع مسنداً إليه ولا مسنداً .

هناك فرقاً بين المفرد والمركب (٣) فالمفرد ما لا يدل جزؤه على جزء معناه ، والمركب ما يدل جزؤه على جزء معناه (٤)

ومع هذا التقسيم نجد النحويين يقسمون وحدات الكلام تقسيماً يأخذ في اعتباره حجم العنصر وكميته وإمكانية تقسيمه إلى عناصر أبسط ، فقد ذهبوا إلى أن

(٢) النساء - ١٦٤ .

(١) النمل - ١٩

(٣) محمد بن حسن الرضى ، شرح الكافية « ٢ حيدر اباد »

(٤) أمين السيد . في علم النحو - ١ - ٧ دار المعارف ، القاهرة ط ١ ، ١٩٧٢ ، أنظر أيضاً ، السيوطي ،

مع الهوامع ج ١ - ٣ ، مصر ١٣٢٧ هـ .

الإسمية فيعامل معاملة المفرد ، ويعرب على
الحكاية وذلك مثل :

جاد المولى

برق نجره

تأبط شرا

ولهذا معالجة خاصة .

وقد قسم اللغويون المحدثون وحدات الكلام
تقسيمًا يقرب من تقسيم النحويين القدماء
إياها إلى مفرد ومركب . فقالوا إن
الوحدات التي تدخل في نسيج الجملة هي :

١- الوحدة الصرفية :

وهي الوحدة التي لا يمكن أن تقسم
إلى وحدات أصغر منها كتاء الفاعل في نحو :
نجهت .

٢- الكلمة :

وهي أصغر صيغة حرة مثل :

كتاب .

٣- التعبير :

وهو ما يتألف من عدد من الكلمات
بينها ترابط سياقي يجعل منها وحدة متماسكة

يمكن أن تستبدل بها كلمة واحدة مثل :

كتاب الصديق .

ثم قسم النحويون المركب إلى :

١- المركب الإضافي مثل :

كتاب محمد

شجرة الورد

٢- المركب المزجي : وهو كل كلمتين
جعلتا كلمة واحدة ، ونزلت الكلمة الثانية
من الأولى منزلة تاء التانيث في ظهور
الإعراب عليها مثل :

بعلمك ، حضرموت ، سيبويه أحد
عشر ، بين بين .

٣- المركب الاسنادي : وهو كل كلمة
أو ما يجري مجراها ضمت إلى كلمة أخرى
أو لمسا يجري مجراها ، بحيث يفيد
يفيد التركيب أن مفهوم إحداهما ثابت
لمدلول الأخرى مثل :

قال تعالى : والآخرة خير وأبقى « (١)
قال تعالى « وحال بينهما الموج » (٢)
قال تعالى « وأن يستعففن خير لهن » (٣)
قال تعالى « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع
قلوبهم » (٤) ، أن وما بعدها في الآيتين
الأخيرتين تجرى مجرى الكلمة الواحدة ،
لأنها وما بعدها في تأويل مصدر « مبتدأ » ،
« فاعل » .

ومن المركب الإسنادي ما هو جملة
في أصل الاستعمال ، لكنه ينقل إلى

(٢) هود-٤٣

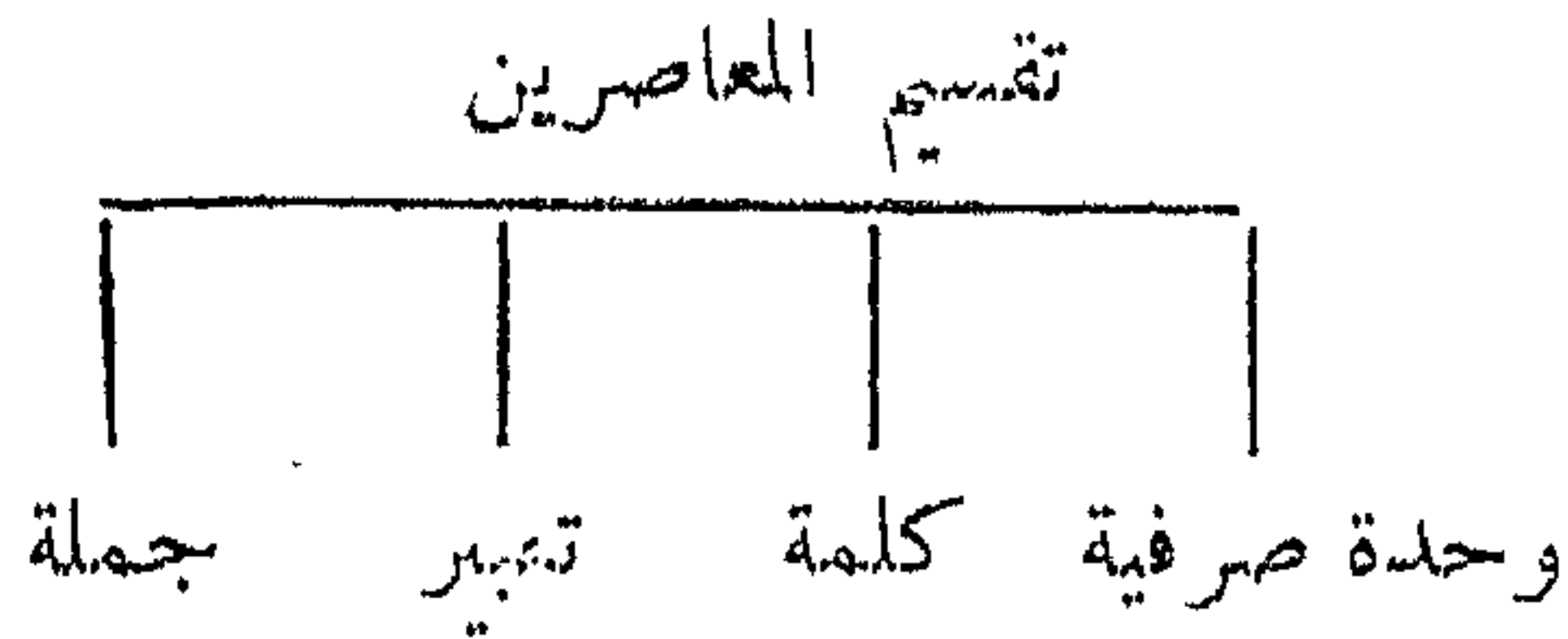
(٤) الحديد-١٦

(١) الأعل-١٧

(٣) النور-٦٠

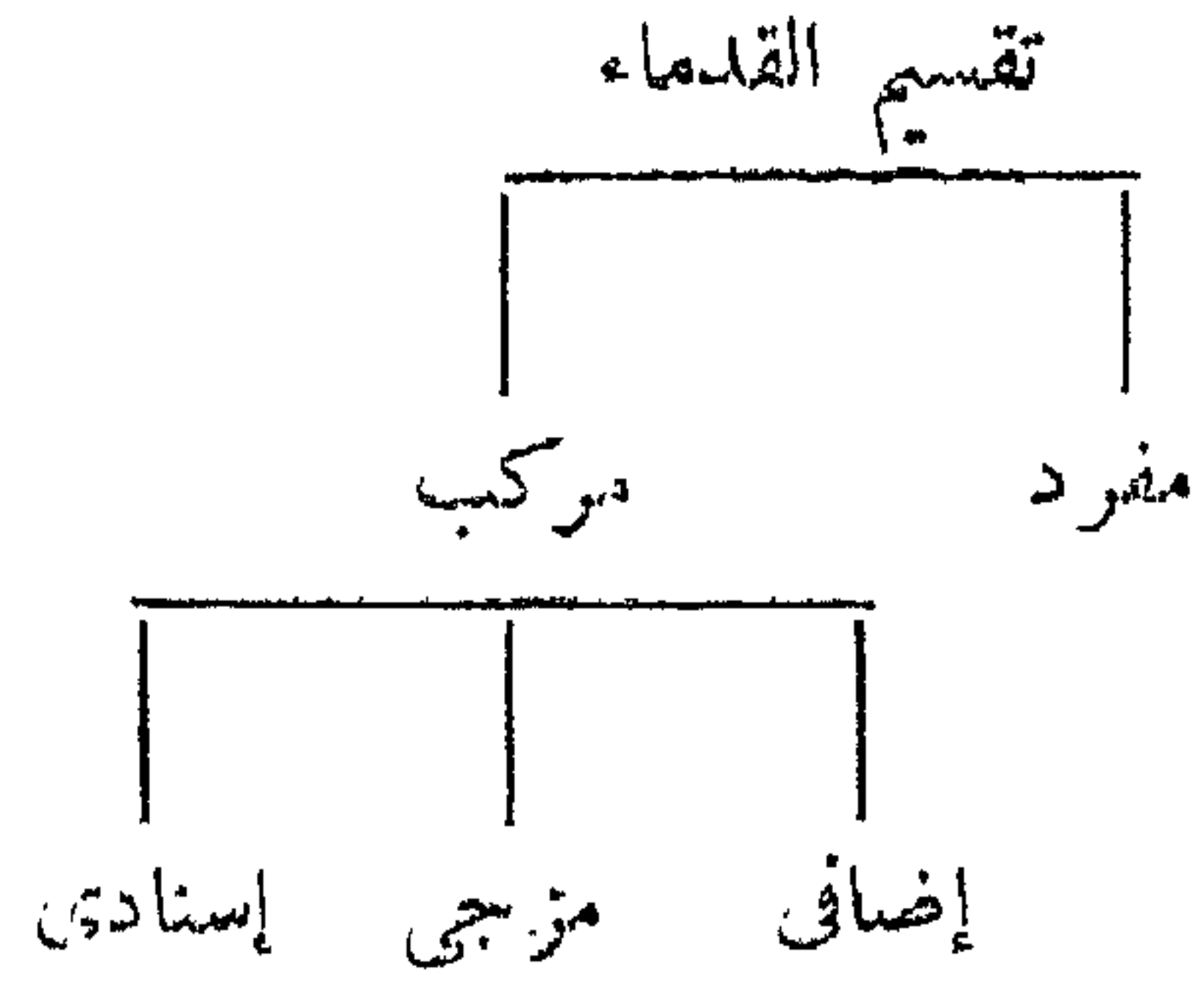
والوحدة الثالثة (التعبير) تقابل المركب الإضافي والمركب المزجي والمركب الإسنادي (المحكي) في التقسيم القديم ، أما الوحدة الرابعة (الجملة الصغرى) فهي ما أسماه الأقدمون بالمركب الإسنادي .

وهاك تخطيطا للتقسيمين :

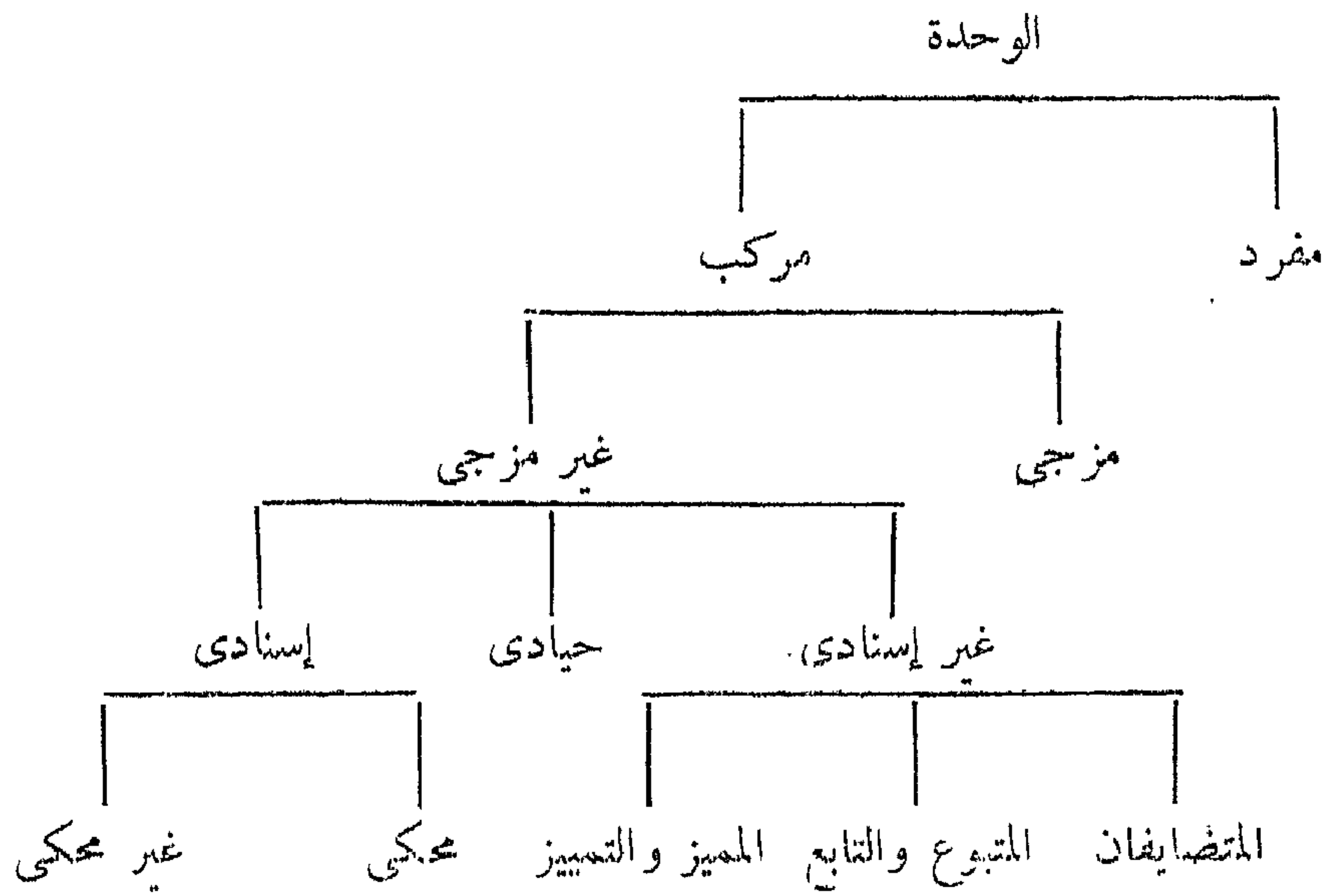


٤ - الجملة الصغرى :
وهي مجموعة من الكلمات تشكل في صورة مسند ومسند إليه أثناء جملة كبرى مثل :
محمد كتابه جديد .

ويمكن أن يعتبر (٢٠١) في تقسيم المعاصرين مقابلا لما أسماه القدماء بالمفرد



وأقدم الآن تقسيما آخر للوحدات النحوية :



لتركيبه من أكثر من كلمة ، لكن عنصريه ازداد تداخلهما فاعتبرا معا كلمة واحدة ، ففارق بهذا المركب غير المزجي ، ومثله في هذا المركب الإسنادي المحكي .

فلسفة هذا التقسيم

يقوم هذا التقسيم على الاعتبارات التالية :
١ - المركب المزجي وسط بين المفرد والمركب غير المزجي ، وليس بمفرد

إسنادية ينعقد بها الكلام ، أى يفيد فائدة
يخصن السكوت عاينها .

العلاقة بين هذه الوحدات تركيباً ووظيفة :

معنى تركيب الجملة من الوحدات السابقة
أن اللمعة عبارة عن مركب تشكل الوحدات
الأكبر حجماً فيه من وحدات أبسط منها
أو أصغر . فالكلمة مكونة من أصوات
ووحدات صرفية والمركب مكون من كلمات ،
والجملة الصغرى من مركبات ، ففي الحديث
عن تركيب الوحدة نتدرج من الأعلى
إلى ما هو أسفل منه . لكننا لكي نتعرف
على وظيفة الوحدة النحوية نقوم بحركة
صاعدة ، إذ الوحدات توظف فيما هو
أعلى منها ، فالوحدة الصرفية توظف في الكلمة .
والكلمة في المركب ، والمركب في الجملة
الصغرى ، وهذه في الجملة الكبرى (١) .

الوظيفة	الوحدات	التركيب
↑	الجملة	↓
↑	المركب	↓
↑	الكلمة	↓
↑	الوحدة الصرفية	↓

٢- توسع في المركب غير المزجى غير
الإسنادى ليشمل أى مركب من اسمين
بينهما نسبة معينة بالإضافة . التبعية ،
التمييز .

٣- المراد بالمركب غير المزجى الحيادى
ذلك المكون من اسم من الأسماء التى
تعمل عمل الفعل ومعمول ذلك الاسم
فظاهر هذا المركب بالإضافة ، وحقيقته
وعمقه الإسناد . فهو - إذن - وسط بين
المركب غير الإسنادى والمركب الإسنادى
وأياً كان التقسيم المقدم للوحدات النحوية
فهى جميعاً تتفق على ما يلى :

أولاً : أبسط عناصر التركيب هو
المفرد سواء كان حراً مستقلاً . (كلمة)
أو غير مستقل كالوحدة الصرفية التفسيرية
والمركب المزجى والإسنادى المحكى .
يعاملان معاملة المفرد .

ثانياً : يلى ما سبق المركب غير المزجى
غير الإسنادى ، فهو وإن كان أكبر من
المفرد لا ينعقد به كلام تام .

ثالثاً : يأتى فى قمة الوحدات المركب
الإسنادى أو الجملة التى بين طرفيها علاقة

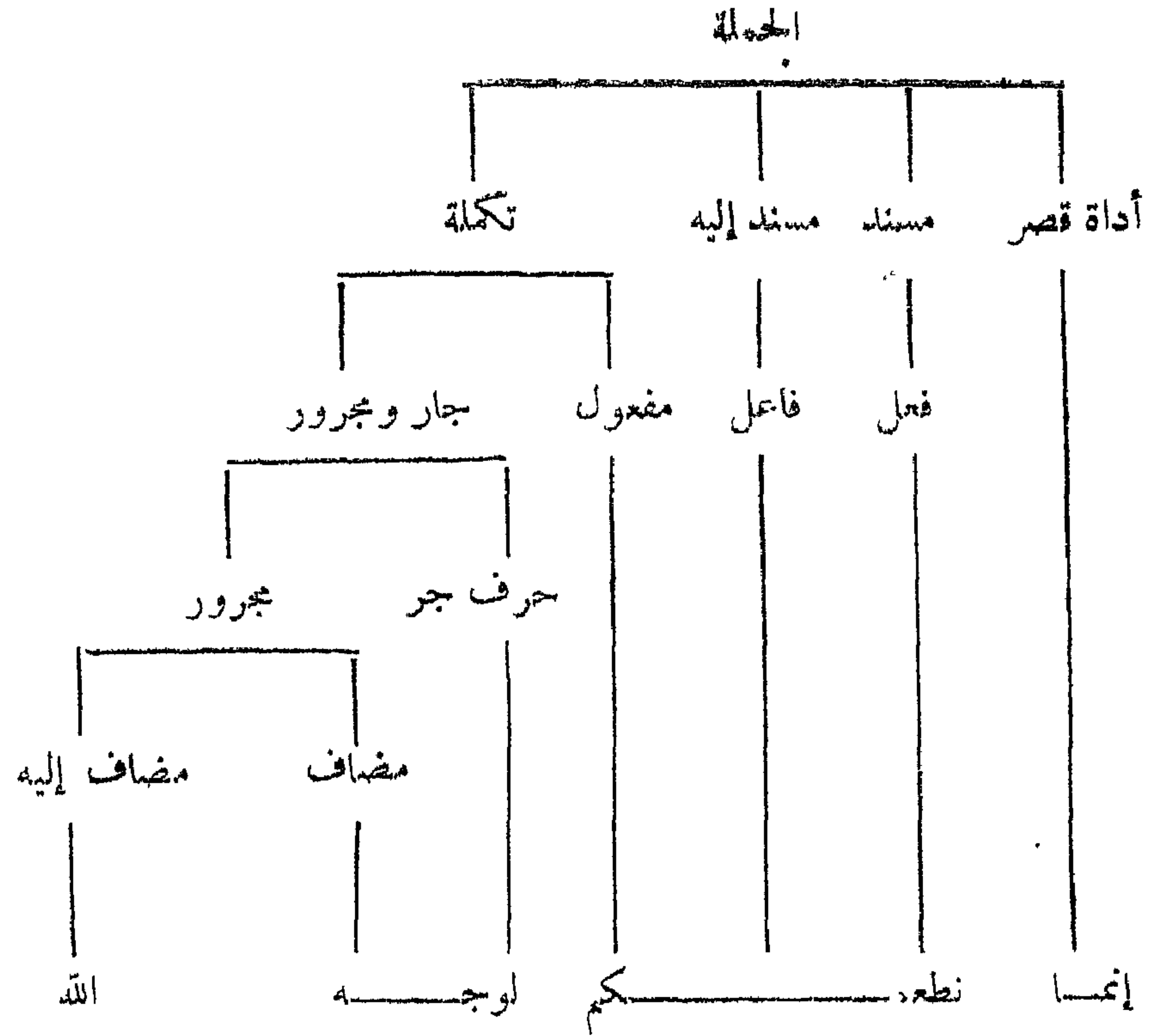
(١) وهذه الصفحات عن « المركب الاسمى » أى تلك الوحدة التى بين الكلمة والجملة .

مكانة المركب وأين يوظف :

يتضح من التقسيم السابق أن المركب يقع بين الكلمة والجملة الصغرى ، وهو يؤدي وظيفته إما داخل الجملة الصغرى في حال وجود الإسناد المركب - أو داخل الجملة قال تعالى : « إنما نطعمكم لوجه الله » (١).

قال تعالى : « فانطلقا حتى إذا أتيا أهل

قرية استطعما أهلها » (٢) .
الجملة الأولى بسيطة أى ذات إسناد واحد ، والمركب الاسمى الموظف فيها هو المضاف والمضاف إليه « وجه الله » وهالك تحليلا لها :



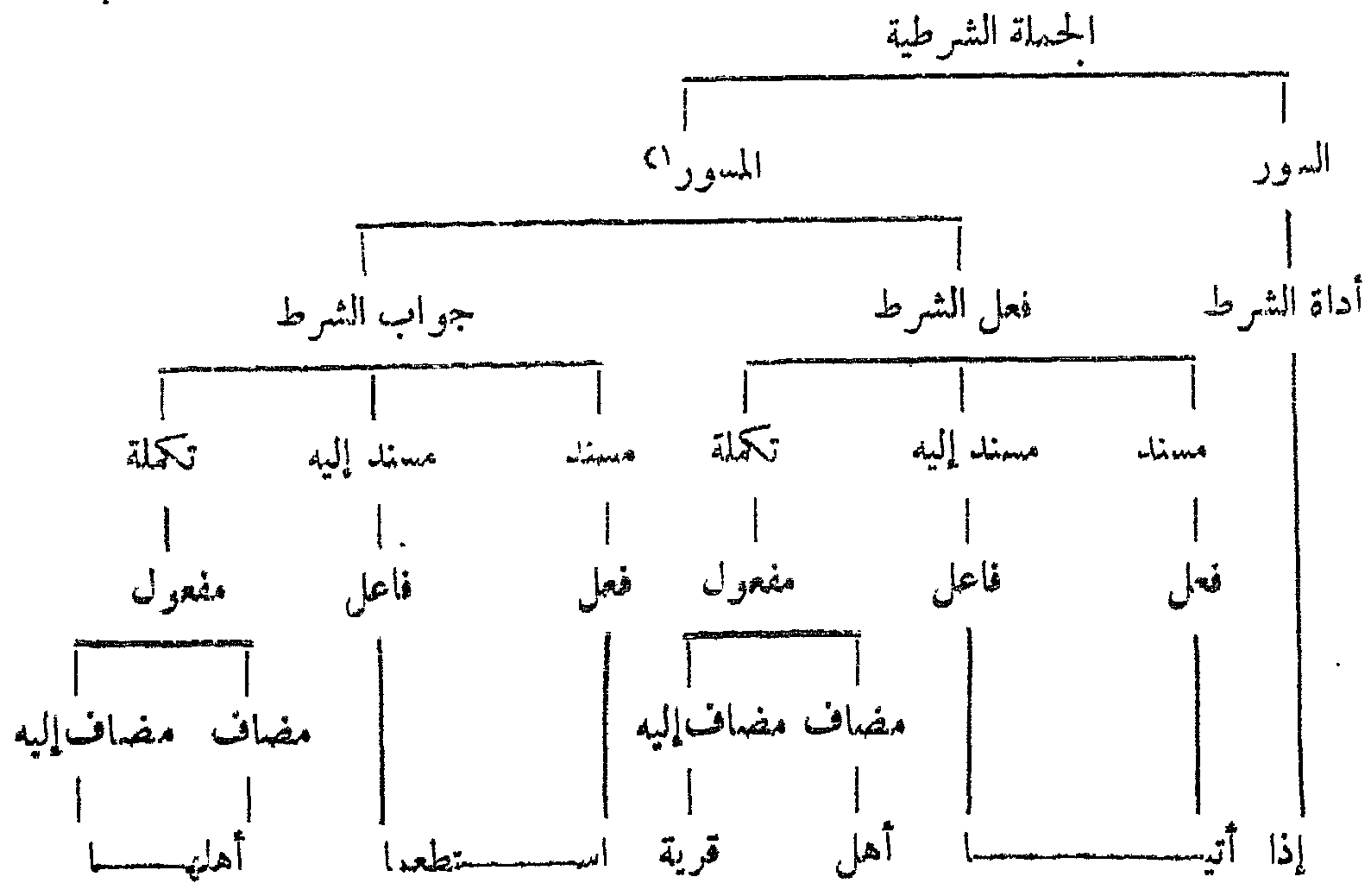
في إسناد آخر ، فهي جملة شرطية لها شرط وجواب ، والمركب الاسمى الموظف في

وجملة (إذا أتيا أهل . . .) في الآية الثانية مركبة ، إذ فيها إسناد مندمج

(٢) الكهف : ٧٧ .

(١) الإنسان : ٩

كلتا الجمالتين هو المضاف والمضاف إليه «أهل قرية» «وأهلها» وهالك تحليلا لهذا الجزء :



قال تعالى : « وإن كان ذو عسرة فنظرة

إلى ميسرة » (٢٢) .

وهالك تحليلا للجزء الأول من الجملة

المركبة :

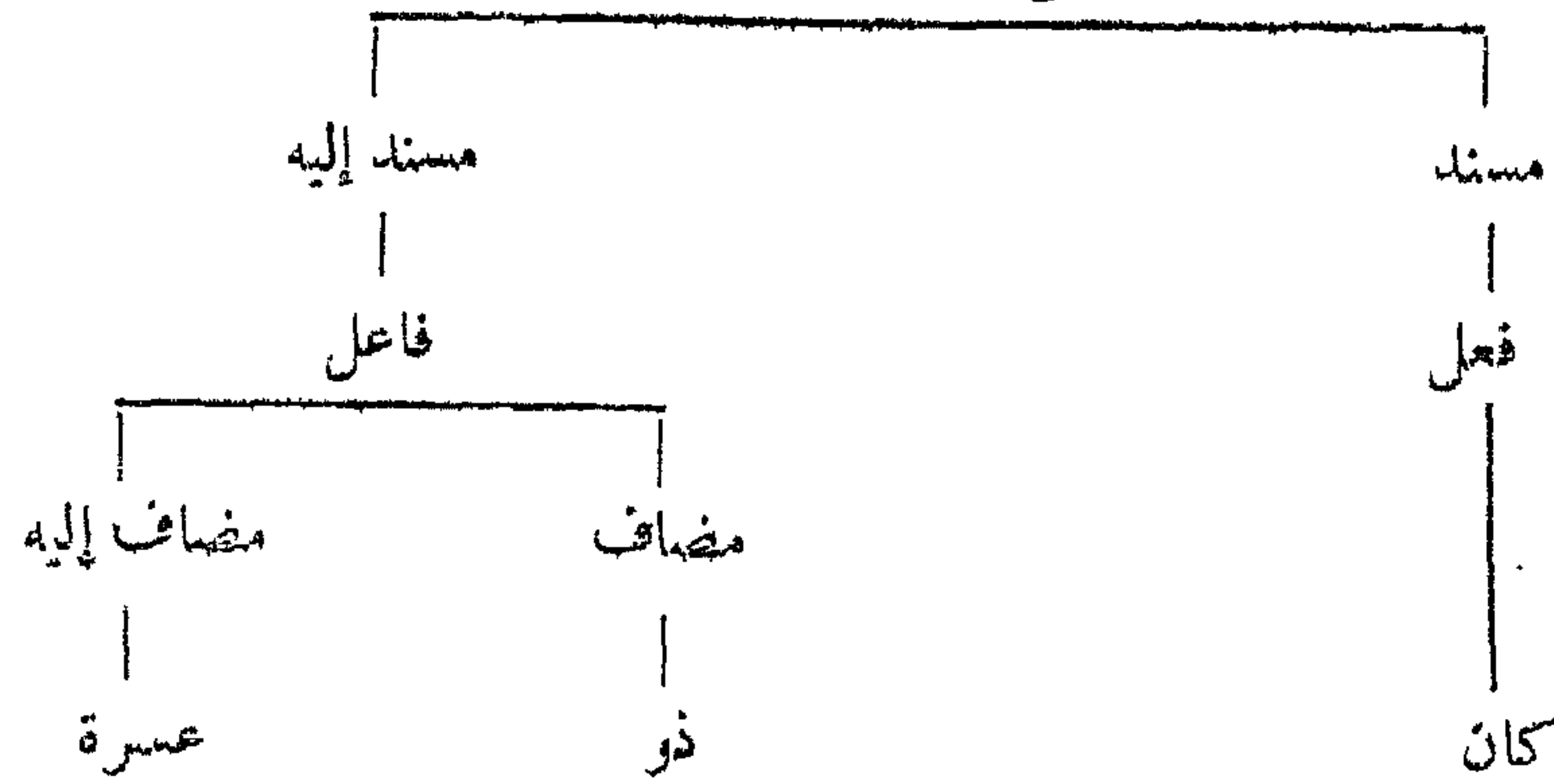
والمركب الإسمي في الآيتين السابقتين

وقع مجرورا بحرف الجر « لوجه الله » كما وقع مفعولا « أهل قرية » ، « أهلها » .

وهالك آية وقع فيها المركب الاسمي

فاعلا في جملة صغرى .

فعل الشرط



الوظيفة النحوية التي يؤديها من كونه ذاعلا، مفعولا به، مجرورا بالحرف أو بالإضافة مثلا .

فالمركب الإسمي - إذن - هو الوحدة النحوية التي ترد في مركز المفرد الاسم فيؤدي

(١) أداة الشرط من أدوات الصدارة لايتقدم ما بعدها عليها ولا يعمل ما بعدها فيما قبلها فهي - إذن - بمثابة السور

(٢) البقرة : ٢٨٠ ، وكان في الآية الكريمة تامة بمعنى وجد .

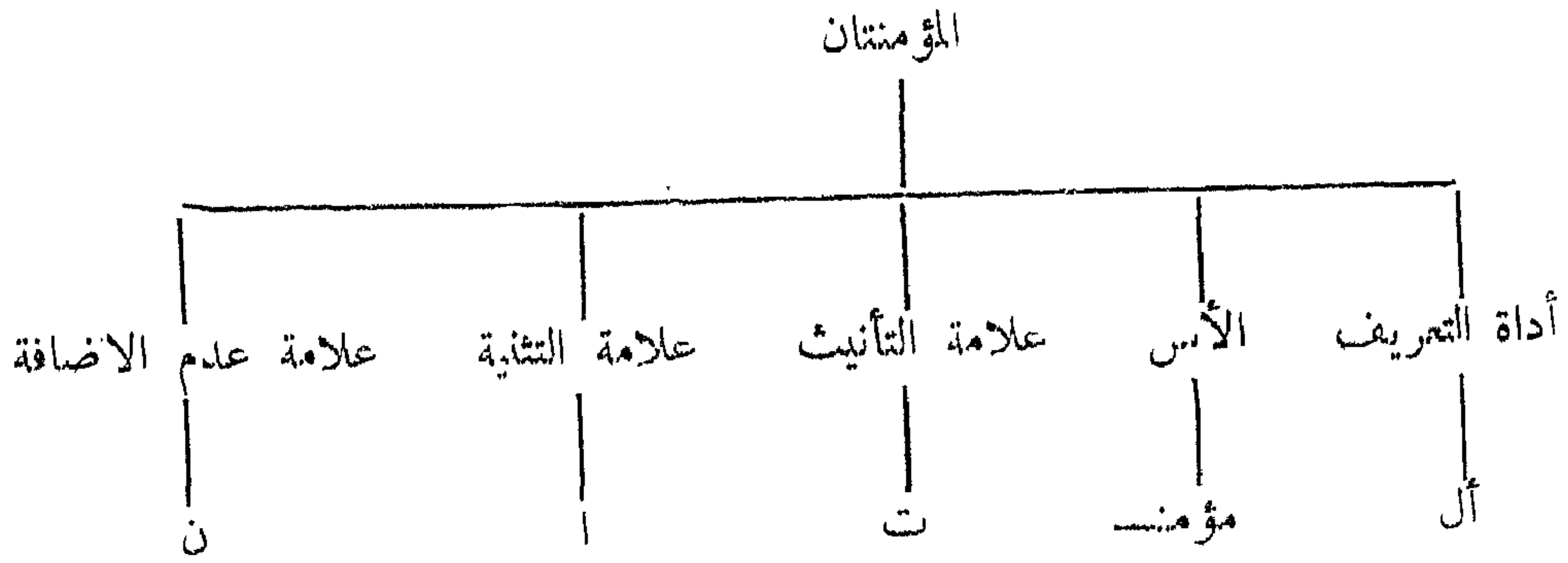
وما بعدها « مسور » .

مركبات في قوة المفرد

نجيب محمد

والمفرد قد يكون عاريا عن أية إصاغات نحو : رجل ، بنت ، كما يكون متصلا بعلامات التعريف ، والعدد ، والنوع والحالة الإعرابية . وهذه العلامات غالبا ماتكون ملاصقة بأصل الاسم (١) . فهذه أربعة مناح تؤخذ في الحساب حين الحديث عن الاسم وهي على التتبع عشرة ، للتعريف اثنتان ، وللعدد ثلاثة ، وللنوع ثلاثة ، وللحالة الإعرابية ثلاثة .

وهناك توزيعا للعناصر التي تتألف منها كلمة « المؤمنتان » مثلا :



وَألف التثنية هي علامة للعدد أي لكون الاسم مثنى ، وعلامة للرفع ، ولذا نراها تصبح ياء مفتوح ما قبلها مكسور ما بعدها في حالتى النصب والجر ، ومثلها في ذلك

(١) يستثنى من هذا المعارف بذاتها ، والأسماء المؤنثة بذاتها .

(٢) في اللغة مفردات تكون للمذكر والتثنية ، والواحد والجمع تقول : هذا بشر هذه بشر ، هذان بشر ، هؤلاء بشر ، ومثله « الظاغوت » . أنظر الزبيدي . أبو بكر محمد بن الحسن الواضح في علم العربية ، ٢٤٦ القاهرة

الواو في جمع المذكر السالم في نحو « المؤمنون » ما بعدها في حالتى النصب والجر .
فهذه تصبح ياء مكسورة ما قبلها مفتوح

وكلمة : مؤمن عبارة عن :

التنوين + الأسم

أما : المؤمن فعبارة عن :

+ أداة التعريف الأسم - التنوين

وبعض المفردات تتغير صيغتها بتغير النوع والعدد كأسماء الإشارة والضمائر وأسماء الموصول المختص .
والإعراب والبناء قاسم مشترك بين المفردات والمبنى مالا يتغير آخره بتغير موقعه في الجملة ، والأسماء المبنية هي :
الضمائر بأنواعها ، أسماء الشرط ، أسماء الاستفهام ، أسماء الإشارة ما عدا المشى ، أسماء الموصول العام والمختص ما عدا المشى ، إذ ، وإذا وحيث من الظروف . وما سوى هذا من المفردات فعرب .

١ - المركب الزجى :

كلمتان تداخلنا أى تجاورتا تجاء رأى تلتديدا واعتبرتا معا كلمة واحدة ، بحيث أننا نصورها على شجرة التحليل بنوع واحد

وقد ارتأيت أن أثبت « التنوين » على الشجرة السابقة مسبقا بهذه العلامة (-) لأن زيادة أداة التعريف (+) فى بداية الاسم يصحبه الاستغناء عن التنوين من آخره .
وبعض الزيادات تنقل المفرد من الاسمية إلى الوصفية . ومن هنا ياء النسب التى تلتحق بآخر الأسماء كما فى نحو : مصر - مصرى التى معنى : المنسوب إلى مصر . والزيادات التى فى أسماء الإشارة من نحو ذلك ، ذلك - مثلا - فائدتها تحديد درجة المشار إليه .

وبعض المفردات جامدة تقال لكل فرد مفردا أو غيره ، مذكرا أو غيره . ومن هنا أسماء الموصول المشترك نحو :

من ، ما ، أى ، أل

وأسماء الاستفهام .

لا يتفرع . وينقسم المركب المزجي إلى قسمين :

١ - ألقاظ كان أصلها أن تستعمل مفردة معطوفا بعضها على بعض بخلاف العطف ثم استغنى العرب عن حرف العطف والتنوين وركبوا الأسمين معا وبنوهما على الفتح ومن هذا :

(أ) مركب من الأعداد وهو الأحد عشر والإحدى عشرة إلى التسعة عشر والتسع عشرة ، باستثناء اثني عشر واثني عشرة ، فان الجزء الأول منهما يعرب إعراب المثني : بالألف رفعا وبالياء جرا ونصبها (١) .

يقول « الزبيدي » : « إذا تجاوزت العشرة جمعت العديدين وحذفت راو العطف التي كانت بينهما وجعلتهما بمنزلة

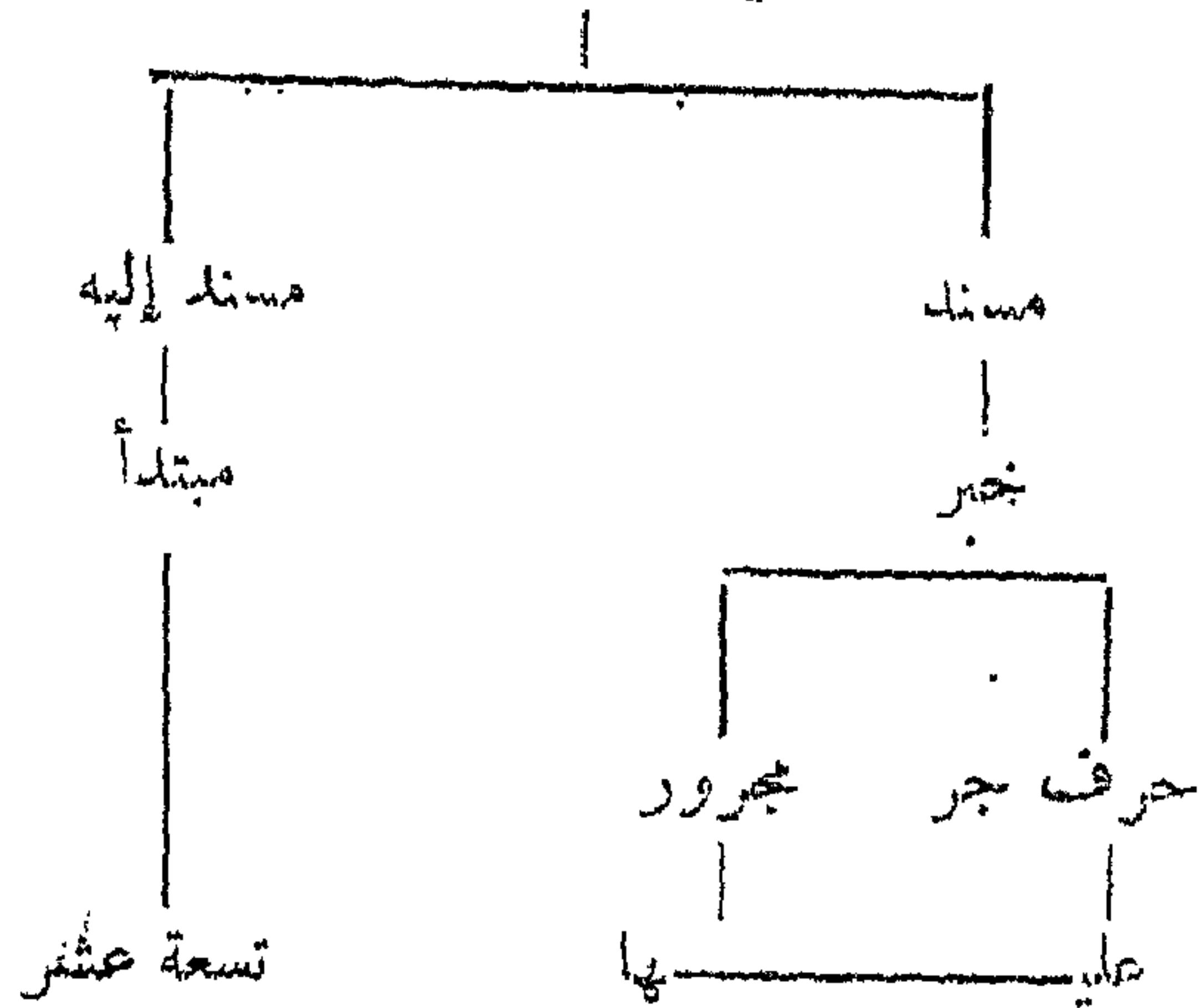
اسم واحد وبنيتهما على الفتح ، وما اثناعشر فان الرفع فيها بالألف التي هي ألف التشية والنصب والخفض بالياء ، وتبقى « عشر » مفتوحة (٢)

والتركيب هنا لفظي فقط لأن كلا عنصري المركب لا يزال ذا معنى يقول ابن يعيش : « والأول من الأسمين نزل من الثاني منزلة صحاح الكلمة من مجزها وكل واحد من الأسمين منفرد بشيء من المعنى ، وهما كالأسم الواحد الذي على مسدى واحد ليجرى مجرى الأعداد المفردة (٣) » .

وهالك تحليلا لبعض الأمثلة :

قال تعالى : « إني رأيت أحد عشر كوكبا » (٤) « عليها تسعة عشر » (٥)

عليها تسعة عشر



(١) الكتاب ج ٣ - ٣٠٧ ابن يعيش ، شرح المفصل ج ٤ - ١١٢

(٢) الواضح في علم العربية ٨٨ ، ٨٩

(٣) شرح المفصل ج ٣ - ١١٢ انظر أيضا شرح شذور الذهب - ٧٢ ، قطر الندى وبل الصدى - ١٩ ، شرح

الكافية ج ٢ - ٨٤ - ٨٧ ، سيبويه ، الكتاب ج ٣ - ٥٥٧ ، ٢٩٧ .

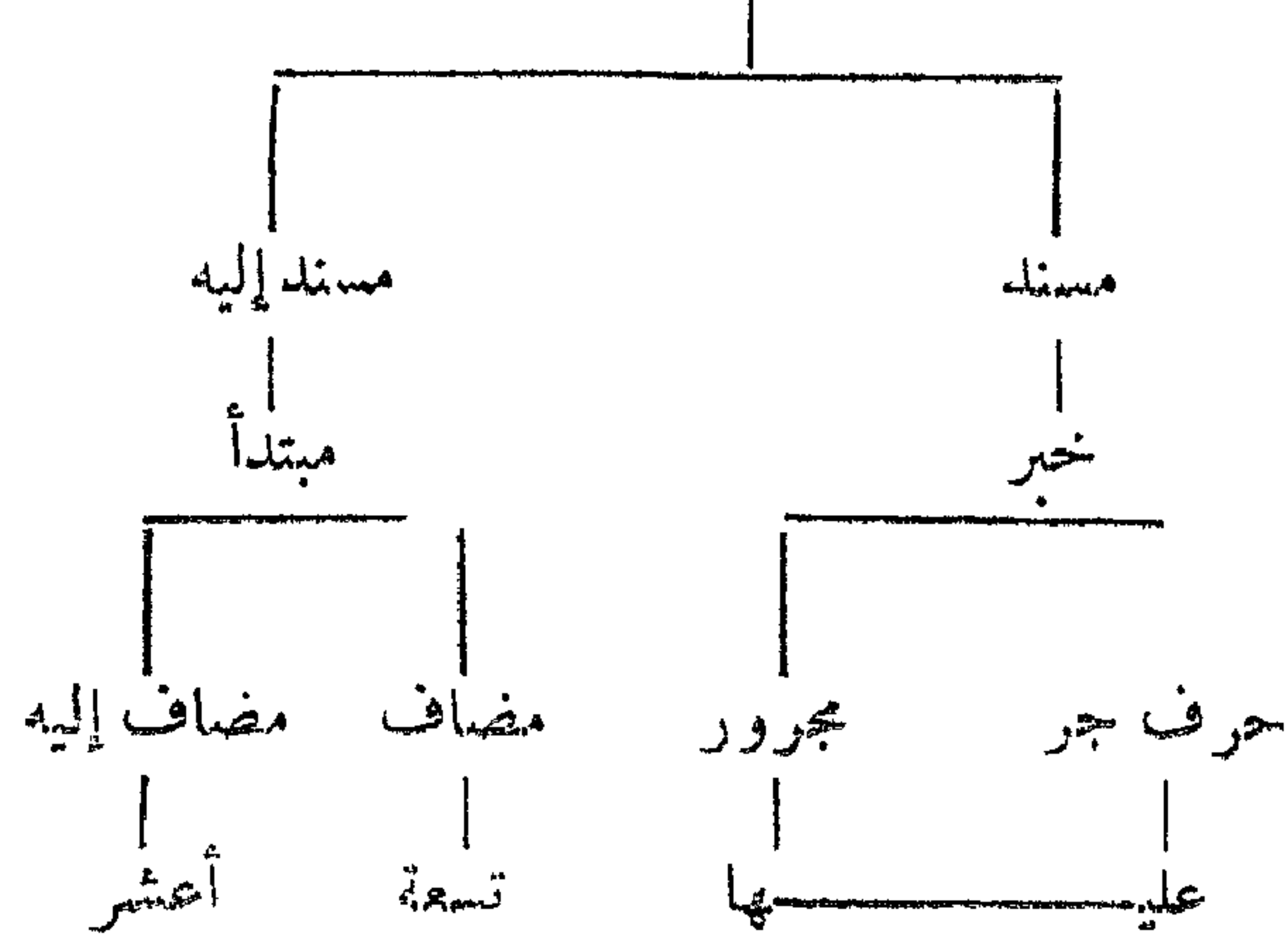
(٤) يوسف : ٤ (٥) المدثر : ٣٠

والمركب غير المزجي الذي سأحدث عنه
فيما بعد سأرسم شجرة لهذه الآية الكريمة
بناء على قراءة :

وواضح من الشجرة السابقة أننا لم نفرع
فرع المبتدأ إلى أفرع أخرى ، وما ذلك
إلا لأن الكلمتين «تسعة عشر» كلمة واحدة.

وكى أوضح الفرق بين المركب المزجي

« عليها تسعة عشر » (١)



(ب) مركب من الظروف زمانية كانت
أو مكانية ، وكانت هذه الظروف تستعمل
بطريقة أخرى قبل أن تتركب .

ففردا المركب المزجي لا يتصور انقسامهما
ما مفردا المركب غير المزجي فتتقسم
ولكل مفرد تسمية خاصة ، وهذه المسألة
سوف نتضح فيما بعد (٢).

استعمالها قبل التركيب والبناء	استعمالها مركبة مبنية على فتح الجزأين
محمد يأتينا صباحا ومساء (٣)	١ - محمد يأتينا صباح مساء
الصادق يأتينا يوما فيوما	٢ - الصادق يأتينا يوم يوم
اجلس بين هؤلاء وبين هؤلاء	٣ - اجلس بين بين

والمضاف إليه المكررين بطريق العطف (٤)
يقول ابن هشام : « أزيلت
الإضافة : واستغنى عن الواو . وركب

فهذه الظروف المركبة تركيبا مزجيا .
تستعمل أيضا في صورة المركب غير المزجي
(المعطوف عليه والمعطوف (٢، ١) والمضاف

(١) عشر جمع عشير ، كأيمن جمع يمين ، شرح شذور الذهب - ٨٧
(٢) يدل على قوة التركيب في خمسة عشر قول الرضى : « وإنما تركوا الجر في العدد المركب نحو إحدى عشر ؛ لأن
المضاف إليه مع المضاف كاسم واحد لفظا ، فلو أضيف العدد المركب إلى مميزه ، والمميز من حيث المعنى هو المجهم المحتاج إلى
التمييز لكان جعلاً لثلاثة أسماء كاسم واحد لفظا ومعنى » شرح الكافية ج ١ - ٢١٧ ، ٢١٨ .
(٣) شرح شذور الذهب - ٧٤ ، ٧٥

رمن لا يصرف الواوئين عنه
صباح مساء يبنسوه نخبالا
آت الرزق يوم يوم فأجمل
طلبا . وابغ للقيامة زادا
نحى حقيقتنا وبعض القوم
يقسط بينا بينا (٢)

الاسمان تركيب خمسة عشر، وهذان الظرفان
اللذان صارا ظرفا واحدا في موضع
نصب على الحال إذ المراد : وسطا (١) .
ومن شراهد هذه الظروف التي ركبت
تركيبا مزجيا فصارت كلمة واحدة، بعد أن
كانت مركبة تركيبا غير مزجى لكل
من مفرديه مكان في التركيب :

(ج) ماركب تركيب خمسة عشر من الأحوال ومن أمثلة هذا :

المثال	المعنى المراد
محمد جارى بيت بيت	محمد جارى ملاصقا
تساقط الأعداء أنحول أنحول	تساقط الأعداء متفرقين
لقيت محمدا كفة كفة	لقيت محمدا متكافين
لقيت عليا صحرة بحرة	لقيت عليا بارزا

الإضافة وتركته على بنائه ؛ لأن الألف
واللام والإضافة لا تخرجانه عن لفظه
وتركيبه ، فكان باقيا على بنائه :

حضر الخمسة عشر رجلا
خسة عشر

انصرف القوم شذر مندر - شذر بخر،
خذع مدع ، أيدي سبا . . . متفرقين
افعل هذا بادى بدا (٣) .

نصرف المركب تركيب خمسة عشر :

١ - إذا أردت تعريف المركب المزجى
العددى أدخلت عليه الألف واللام أو

(١) شرح شذور الذهب - ٧٥

(٢) شرح المفصل ج ٤ - ١٢٢ .

(٣) الكتاب ج ١ - ٢٢٧

ويرى الأخصش أنه يعرب إذا عرف
بالإضافة فتقول :

هذه الدراهم خمسة عشر (١)

٢ - المركب المزجي غير العددي (الظروف
والأحوال) يستعمل على النحو التالي :

١ - البناء على فتح الجزأين ، إذا كانت
ملازمة للظرفية أو الحالية .

٢ - يجوز إضافة الأول إلى الثاني .

٣ - وجوب إضافة الأول إلى الثاني

إن دخل عليه حرف جر . لأن حرف الجر
يخرج هذه الأسماء عن الظرفية وتجعلها
متماكنة في الاسمية (٢) .

المثال مع وجوب الإضافة	المثال مع جواز الإضافة	المثال بعد التركيب المزجي	المثال قبل التركيب المزجي
جاءوا في كل صباح مساء	جاءوا صباح مساء	جاءوا صباح مساء	جاءوا صباحا ومساء
هو جارى في كل بيت	هو جارى بيت بيت	هو جارى بيت بيت	هو جارى بيتا لبيت
يزورنا الصديق في كل يوم	يزورنا الصديق يوم يوم	يزورنا الصديق يوم يوم	يزورنا الصديق يوما فيوما

فالأصل في هذا والقياس الإضافة
وتقول أنت تأتينا في كل صباح مساء ليس
إلا (٣) .

٣ - تحدث تغييرات في الاسمين المركبين
تركيبا مزجيا بسبب شدة التداخل بينهما
من ذلك مثلا :

(أ) يقول العرب :

وقع القسوم في حيمص بيص

فعنصر المركب في المثال السابق مصدران ،
وعجز المركب من باص ييـوص أى

جاء في الكتاب : وأما يوم يوم ،
وصباح مساء ، وبيت بيت ، وبين بين فإن
العرب تختلف في ذلك : يجعله بعضهم
بمنزلة اسم واحد ، وبعضهم يضيف الأول
إلى الآخر ولا يجعله اسما واحدا ، ولا
يجعلون شيئا من هذه الأسماء بمنزلة اسم
واحد إلا في حال الظرف أو الحال ،
كما لم يجعلوا يا ابن عم ، ويا ابن أم بمنزلة
شيء واحد إلا في النداء ... وقال الفرزدق .

ولولا يوم يوم ما أردنا ...

جزاءك والقروض لها جزاء

(١) شرح المفصل ج ٤ - ٤ - ١١٤ ، أنظر أيضا الكتاب ج ٣ - ٢٩٨ ، ٢٩٩ .

(٢) شرح المفصل ج ٤ - ١١٨ .

(٣) الكتاب ج ٣ - ٣٠٣ .

لا + نكرة غير متونة = تركيب مزجي :

يقول « سيويه » عن لا :

ترك التنوين لما تعمل فيه لازم لا ،
لأنها جعلت وما عملت فيه بمنزلة اسم واحد (٤)
فسيويه يوازن - اذن - بين :

خسة عشر

و

لارجل

« فجعلت وما بعدها كخسة عشر في
اللفظ وهي عاملة فيما بعدها كما قالوا :
يا ابن أم

فهي مثلها في اللفظ وفي أن الأول عامل
في الآخر (٥)

ولأن لا جعلت وما عملت فيه بمنزلة
اسم واحد، فهذا معا في موضع ابتداء (٦)
ثم إنك لا تفصل بين لا وبين المنى ...
لأنهم جعلوا لا وما بعدها بمنزلة خسة عشر
فقبیح أن يفصلوا بينهما عندهم كما لا يجوز
أن يفصلوا بين خسة وعشر بشيء من
الكلام ، لأنها مشبهة بها « (٧)

وهذا هو السبب في أن المعطوف على
اسم « لا » ينون . تقول : لا طالب ودرسا
في المدرسة .

تقدم وسبق ومصدره : بوص ، لكن
العرب قلبت الواو ياء لتتفق الكلمة مع
ماقبلها فيحدث بذلك المزج أو كما قال
ابن يعيش : ليزدوجا ولا يختلفا (١) .

(ب) التركيب يكسب الكلمة خاصية
لا تتحقق بدونها تقول العرب :

انصرف القوم أيادي سبا

فسبا علم وقد وقعت حالا ، والسبب
أنه زال بالتركيب معنى العلية وصارا
اسما واحدا (٢)

(ج) لا يتصور التركيب المزجي بين
ثلاث كلمات ، تقول العرب :

لقيته صحرة بحرة بمعنى لقيته بارزا

فالتراكيب المزجي هنا مقصور ومستعمل ،
أما قول العرب :

لقيته صحرة بحرة بحرة بمعنى لقيته بارزا
أول النهار .

فلا يتصور فيها تركيب مزجي ؛ لأن
المزج لا يتم بين ثلاث كلمات ، ولذا تنطبق
هذه الأسماء الثلاثة بالنصب والتنوين (٣)

(١) شرح المفصل ج ٤ - ١١٤ ، ١١٥

(٢) شرح المفصل ج ٤ - ١٢٣

(٣) شرح المفصل ج ٤ - ١١٧

(٤) الكتاب ج ٢ - ٢٧٤

(٥) السابق - ٢٧٥ ، انظر أيضا الواضح - ٨٠ - ٨١ . (٦) الكتاب ج ٢ - ٢٧٥ ، ٢٧٦

(٧) السابق - ٢٧٦

لأن « لا » إنما تجعل وما تعمل فيه
اسما واحدا إذا كانت إلى جنب الاسم
فكما لا يجوز أن تفصل خمسة من عشر،
كذلك لم يستقم هذا لأنه مشبه به فإذا
فارقه جرى على الأصل^(١)

على أنك إذا كررت « لا » لاتنون تقول
لا طالب ولا مدرس في الفصل :

« فتكون حال الآخر في تثنيها كحال
الأولى »^(٢) .

ألخص حتى الآن المسلمات النحوية التي
أرساها سيبويه ووافقها عليها من بعده من
النحويين :

١ - لا + اسم معادلة لخمسة عشر :

٢ - لا يبنى اسم « لا » على الفتح إذا
فصل عنها « لافيها غول »^(٣) .

٣ - المعطوف بدون « لا » على اسم
لا ينون ، لأنه بعد عن لا .

ومن المسائل التي يعالجها النحويون عند
حديثهم عن « لا » النافية للجنس في ضوء
المركب المزجي :

وصف اسم « لا » :

١ - لا طالب كسولا هنا

٢ - لا طالب كسول هنا

٣ - لا طالب كسولا مهملا هنا

- ٤ - لا طالب كسول مهملا هنا
- ٥ - لا طالب طالبا كسول هنا
- ٦ - لا طالب طالب كسولا هنا
- ٧ - لا طالب هنا كسولا
- ٨ - لا طالب علم كسولا هنا

إذا وصفت اسم لا ، فإن شئت نونت
صفة المنفى وهو أكثر في الكلام^(٤) ، وإن
شئت لم تنون ، فأما الذين نونوا فإنهم جعلوا
(الاسم ولا) بمنزلة إسم واحد ، وجعلوا
صفة المنصوب في هذا الموضوع بمنزلة
في غير النفي ، وأما الذين لم ينونوا فإنهم
جعلوا المرصوف والوصف بمنزلة اسم
واحد .

يمكن إذن تصور كلام سيبويه السابق على
النحو التالي :

١ - لا طالب كسولا هنا = (لا طالب)
كسولا هنا

٢ - لا طالب كسول هنا = لا (طالب
كسول) هنا

وفي المثالين (٣ ، ٤) أنت في الوصف
الأول بالخيار ، ولا يكون الثاني إلا منونا ،
من قبل أنه لا تكون ثلاثة أشياء منفصلة
بمنزلة اسم واحد .

(٢) السابق - ٢٨٦

(١) السابق - ٢٨٤ - ٢٨٥

(٣) الصفات - ٤٧

(٤) الكتاب ج ٢ - ٢٩٠

ويقال في (٦،٥) ما قيل في (٤،٣) .

والوصف في (٧) يجب تنوينه من قبل أنه لا يجوز لك أن تجعل الاسم والصفة بمنزلة اسم واحد وقد فصلت بينهما، كما أنه لا يجوز لك أن تفصل بين عشر وخمسة في خمسة عشر (١)

أما (٨) فلا يكون الوصف فيه إلا منونا، مع غيره بمنزلة خمسة عشر، وإنما يذهب لأن اسم لا (الموصوف) المضاف لا يجعل التنوين منه كما يذهب منه في غير هذا الموضع فن ثم صار وصفه بمنزلة (٢) :

انتهى هنا الحديث عن النوع الأول من المركب المزجي : العددي ، والظروف والأحوال وما استتبعه من حديث عن لا النافية للجنس .

٢- النوع الثاني من المركب المزجي هو الأعلام المركبة ، وقد عنون له سيبويه بقوله « هذا باب الشئين اللذين إذا ضم أحدهما إلى الآخر جعلاً بمنزلة اسم واحد كعريضون وعنتريس » (٣)

ومن هذا : معد يكرب ، قالي قلا ، وبلال باد ، ورامهرمز ، وحضرموت وبعلبك ، وسيبويه ، وخارويه ، ونفطويه ، وعمرونيه (٤)

يقول «ابن يعيش» عن سر التركيب في هذه الأعلام :

«فهذا أصله الواو أيضا حذفت من اللفظ ولم ترد من جهة المعنى ، بل مزج الاسمان وصارا اسما واحدا بإزاء حقيقة، ولم ينفرد الاسم الثاني بشيء من معناه فكان كالمفرد غير المركب» (٥)

ثم يقول مفرقا بين النوعين السابقين للمركب المزجي : تركيب خمسة عشر وملحقاته .

والأعلام المركبة :

التركيب ههنا (٥) ليس كالتركيب في خمسة عشر، وذلك أن معد يكرب وحضرموت وشبهها من المركبات مشبهة بما فيه هاء التانيث من نحو طلحة وحمزة ، فأعرب كإعرابه لأن اتصال الاسم الثاني بالاسم الأول كاتصال هاء التانيث من جهة أنه زيادة فيه بها تمامه من غير أن يكون له معنى ينفرد به ، ولو كان للثاني معنى ينفرد به لكان خمسة عشر في البناء ألا ترى أن العشرة عدة معلومة ، كما أن الخمسة كذلك ، فلما اجتمعتا انتهى إلى مقدار آخر من العدد ليس لكل واحد منهما ، كما لو جمعتهما بحرف العطف فمعنى العطف

(١) الكتاب ج ٢ - ٢٩٠

(٢) الكتاب ج ٣ - ٢٩٦

(٣) الكتاب ج ٣ - ٢٩٦ ، شرح المفصل ج ٤ - ١١٢ .

(٤) شرح المفصل ج ٤ - ١٢٢

(٥) شرح (٢) أي في الأعلام المركبة

بعد التركيب مراد، والتركيب إنما كان من جهة اللفظ لا غير ، وليس كذلك معديكرب، لأن «كرب» لا ينفرد بمعنى من الحداة فصار كثناء طلحة وحمزة وهما من الأسماء المفردة مما في آخره تاء التأنيث (١) .

اعراب الاعلام المركبة :

١ - إن كان العلم مختوماً بـ «بويه» يبنى على الكسر دائماً بلا تنوين إن كان معرفة ، ويتنوين ان أريد تنكيره (٢)

هنا سيبويه وسيبويه آخر
عرفت سيبويه وسيبويه آخر
قرأت عن سيبويه وسيبويه آخر

٢ - أما الاعلام الأخرى غير المختومة بـ «بويه» ففيها ثلاث طرق :

(أ) لزوم الصدر للفتح وإعراب العجز حسب العوامل مع منعه من الصرف

هذه حضرموت
زرت حضرموت
سافرت إلى حضرموت

يقول «ابن يعيش» : «ركب الاسمان وجعلها اسماً واحداً ، وأعرّب الثاني ، إلا أنه منع من الصرف لاجتماع التعريف والتركيب

وهما علتان من موانع الصرف وبني ، الأول لأنه منزل منزلة الجزء من الكلمة فهو كصدر الكلمة من عجزها (٣) .

(ب) إعراب الصار حسب العوامل وإضافته إلى العجز وفتحه دائماً على المنع من الصرف :

هذه حضرموت

زرت حضرموت

سافرت إلى حضرموت

٣ - كالإعراب الثاني مع الصرف العجز :

هذه حضرموت

زرت حضرموت

سافرت إلى حضرموت

يجمع «سيبويه» الطرق الثلاث باختصار فيقول :

١ وأما معد يكرب ففيه لغات : منهم من يقول معد يكرب فيضيف ومنهم من يقول معد يكرب فيضيف ولا يصرف ، يجعل كرب اسماً مؤنثاً ومنهم من يقول : معد يكرب فيجعله اسماً واحداً (٤)

متفرقات في المركب المزجي :

ثلاثة وثلاثين :

هذا المركب مكون من عنصرين : المعطوف عليه والمعطوف ، والتداخل

(١) التنوين عند إرادة التنكير وعنده عند إرادة التعريف يحدث أيضاً مع أسماء الفعل انظر الكتاب ج ٣ - ٣٠١ - ٣٠٢

(٢) شرح المفصل ج ٤ - ١٢٤ .

(٣) شرح المفصل ج ٤ - ١٢٤ .

(٤) الكتاب ج ٣ - ٢٩٦ - ٢٩٧

بين العنصرين قوى : وقد تحدث سيوييه عن هذا المركب في «باب يكون الاسمان فيه بمنزلة اسم واحد ممطول ، وآخر الاسمين مضدوم إلى الأول بالواو» وقد لفظ سيوييه أن هذا المركب يشبه من الناحية اللفظية قولك : يا زيد وعمرو ، لكن العلاقة بين العنصرين في كلا المركبين مختلفة ، ولذا فإن ثلاثة وثلاثين تشبه في الحقيقة ثلاثة عشر ، وأن ثلاثين تكلمة لثلاثة ، كما أن «رجلا» مكلمة لضاربا في قولك : يا ضاربا رجلا .

يقول : « ليس هذا بمنزلة قولك : يا زيد وعمرو ، لأنك حين قلت يا زيد وعمرو جمعت بين اسمين كل واحد منهما مفرد يتوهم على حياله ، وإذا قلت يا ثلاثة وثلاثين فلم تفرد الثلاثة من الثلاثين لتوهم على حيالها ، ولا الثلاثين من الثلاثة ، ألا ترى إنك تقول : يا زيد ويا عمرو ، ولا تقول يا ثلاثة ويا ثلاثون ، لأنك لم ترد أن تجعل كل واحد منهما على حياله ، فصار بمنزلة قولك ثلاثة عشر ؛ لأنك لم ترد أن تفصل ثلاثة من العشرة ليتوهموها على حيالها ، ولزمها النصب كما لزم يا ضاربا رجلا حين طال الكلام (١) .

وهناك الجدول التالي للدوازنة بين التراكيب الثلاثة التي قدمها سيوييه .

توجيه الأمثلة	مركب مزجي عددي	مركب عطفي مفرداه غير مستقلين	مركب عطفي مفرداه مستقلان
الأمثلة كلها صحيحة (١) صحيح ، أما (٢، ٣) فخطأ	يا ثلاثة عشر يا ثلاثة ويا عشر	يا ثلاثة وثلاثين يا ثلاثة ويا ثلاثون	يا زيد وعمرو يا زيد ويا عمرو
(١) صحيح أما (٢، ٣) فخطأ النقصان في الجملة	حضر ثلاثة عشر	حضر ثلاثة وثلاثون	حضر زيد وعمرو
(٢، ٣) صحيحان لكامل الجملة بالتمييز	حضر ثلاثة عشر طالبا	حضر ثلاثة وثلاثون طالبا	

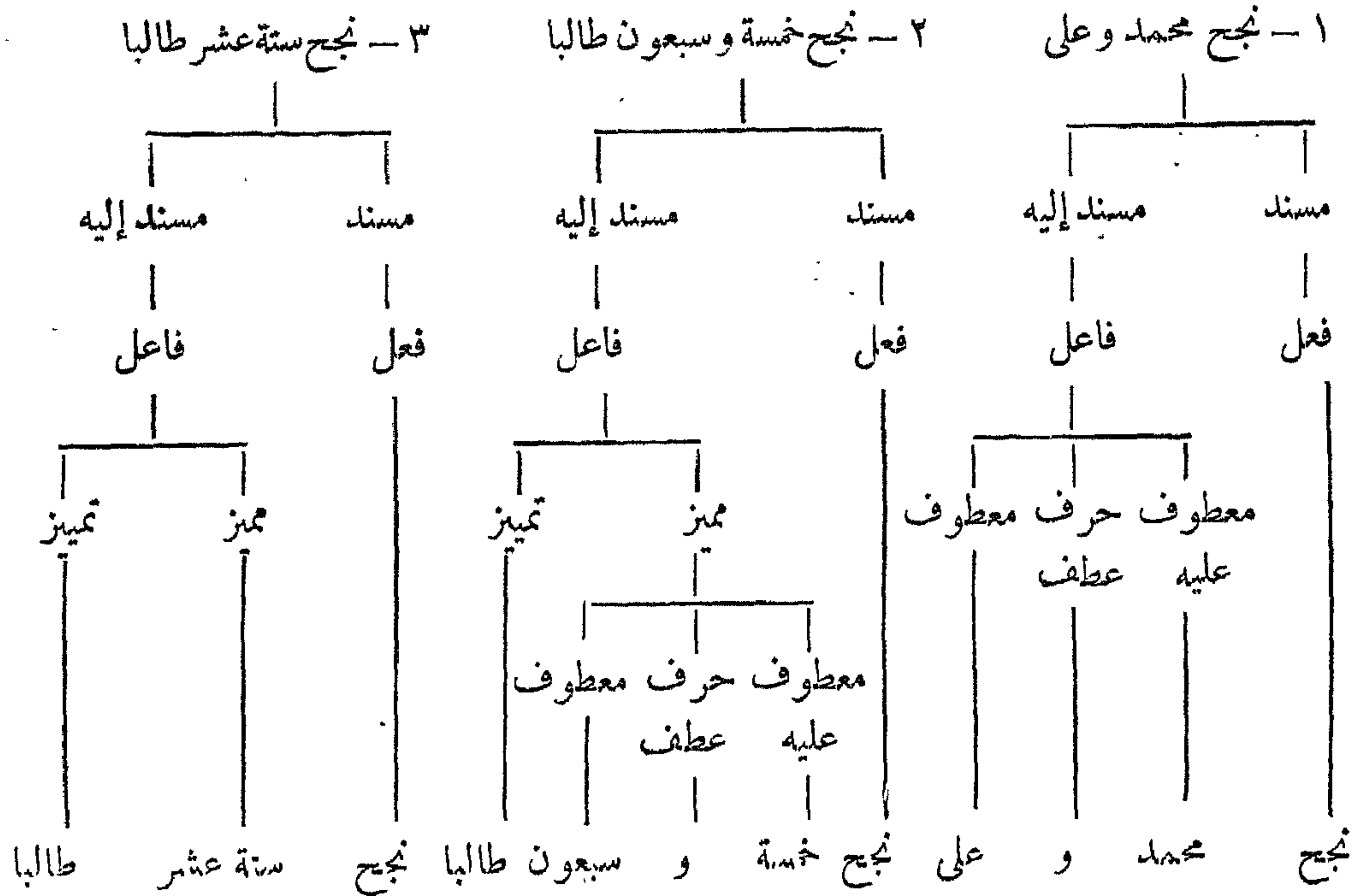
ما يجوز في أحدهما يجوز في الآخر والعكس صحيح ، كما أن كليهما مميزا باسم مفرد منصوب :

من الواضح - إذن - أن المركب العددي العطفي أقرب إلى المركب المزجي منه إلى المركب العطفي رغم مشابهته للأخير في الوصف . و دليل قرابة (٢) من (٣) أن

هذا يخالف المركب العطفى العددي قرينه المزجى الذى لا يفرع على شجرة التحليل كما سبق أن أشرت .

وهناك تحليلا لثلاثة أمثلة من الأنواع الثلاثة السابقة للمركب :

بقى أنه عند تحليل مثال للمركب العطفى العددي سوف يفرع المركب إلى ثلاثة أفرع : فرع للمعطوف عليه ، وفرع للمعطوف ، وبينهما فرع ثالث لحرف العطف . وفى



اعراب « حينذا » :

يبدو أن «سيبويه» كان يذهب موافقا فى هذا رأى التحليل إلى أن « حينذا » بعد التركيب حرف ، فهو يقول : «ولكن ذا وحب بمنزلة كلمة واحدة نحو لولا وهو اسم مرفوع ألا ترى أنك تقول للدؤنث حينذا ، ولا تقول حينده ، لأنه كالمثل»^(٤)

حينذا :

هذه الكلمة مركبة من :

(أ) «حب» بالضم أى صار حبيبا ، ثم أدغم فصار حب^(١) .

(ب) ذا : اسم المشار إليه^(٢)

يقول «سيبويه» ولكن ذا وحب بمنزلة كلمة واحدة ويقول «الزبيدي» ؛ ثم كثر استعمالها حتى صار حب وذا كلمة واحدة^(٣)

(٢) الكتاب ج ٢ - ١٨٠

(٤) الكتاب ج ٢ - ١٨٠

(١) السيوطى ، همع الطوامع ج ٢ - ٨٨

(٣) الواضح فى علم العربية - ٨٦ .

أما «الزبيدي» فيذهب إلى أن «حبذا» فعل ، إذ يقول ، صارت «ذا» كالباء من «ضرب» فارتفع ما بعدها من الأسماء بها تقول : حبذا عبد الله . فعبد الله رفع بحبذا وكذلك : حبذا الرجلان ، وحبذا المرأة» (١) .

ويقول «السيوطي» : «الأصح أن ذا فاعله ، فلا تتبع وتلزم الافراد والتذكير وإن كان المخصوص بخلاف ذلك كقوله :

ياحبذا جبل الريان من جبل
وحبذا ساكن الريان من كانا
وحبذا نفحات من بمانية
تأتيك من قبل الريان أحيانا

وقوله :

حبذا أنما خليلي إن لم
تعذلاني في دمعي المهراق (٢)
يستمر «السيوطي» في سرد الآراء فيقول
«وقال دريود «ذا» زائدة ، وليست اسما

مشارا به بدليل حذفها . . . ، وقيل الكل اسم واحد مركب مبتدأ وخبره المخصوص بعده عند المبرد ، وذهب الفارسي إلى أن «حبذا» خبر مقدم ، والمخصوص بعده مبتدأ مؤخر» (٣) وعلى أن «ذا» فاعل يعرب المخصوص بعده مبتدأ ، والجملة قبله خبر مقدم ، أو مبتدأ خبره محذوف أو خبر مبتدؤه محذوف ، أو بدل أو عطف بيان (٤) .

هذه هي الإعرابات التي قدمها النحويون وصاستبعد إعراب سيديويه لعدم وضوح المراد منه ، فهل هو يساوي بين «حبذا» و«لولا» في الحرفية ، وفي رفع الاسم بعدهما ؟ نعم المراد واضح . لكننا تعلم أن المرفوع بعد لولا مبتدأ فهل هو كذلك بعد حبذا؟ كما نعلم أن خبر المبتدأ بعد لولا يحذف وجوبا - كما قال النحويون - فهل كذلك خبر المبتدأ بعد حبذا ؟

(١) الواضح - ٨٦

(٢) مع الهوامع ج ٢ - ٨٨

(٣) السابق ، نفس الصفحة

(٤) السابق ، نفس الصفحة .

وهاك جدولاً للاعرابات السابقة مع توجيهها:

المتال	رقم الاعراب	الاعراب	توجيه الاعراب
جنداً محمد	١	فعل + فاعل	جنداً كلها فعل مركب والجملة - إذن - فعلية بسيطة
	٢	فعل + فاعل + بدل	جنداً كلمة واحدة لفظاً لكنها منقسمة تقديراً والجملة فعلية بسيطة التركيب
	٣	فعل + حرف زائد + فعل	جنداً فعل بسيط والجملة فعلية بسيطة والفاعل مركب
	٤ - أ	مبتدأ + خبر	جنداً اسم مركب ، والجملة اسمية بسيطة ، وهذا الإعراب عكس الإعراب رقم (١)
	ب	خبر + مبتدأ	
	٥	فعل + فاعل + مبتدأ	يشبه (٢) فحنداً يبدو عليها للتركيب لكنها منقسمة والجملة اسمية خبرها جملة فعلية
٦ - أ	فعل + فاعل + مبتدأ +	جنداً ليست كلمة مركبة بل هي جملة والمثال عبارة عن جملتين ثانيتهما اسمية مكتفية بأحدها	
ب	فعل + فاعل + خبر + ..		

تعليق عام :

لا تعتبر « جنداً » مركبة إلا على (١) و (٤) فهي في (١) فعل مركب ، وفي (٤) اسم مركب وتعتبر فعلاً بسيطاً (٣) ، وتعتبر جملة في (٢، ٥، ٦) .

والزبيدي يفضل الرأي القائل بتركيب (جنداً) وتغليب الفعلية عليها إعراب (١) أما المبرد فيرى أنها مركبة ويغلب جانب الاسم فهو يقول في المقتضب : « جنداً . الأصل حب وذا ثم جعلت اسماً واحداً مبتدأ^(١) ...

حيهل :

جاء في الكتاب : « وأما حيهل التي للأمر فمن شيشين ، يدل ذلك على ذلك : حتى على الصلاة

وزعم أبو الخطاب : أنه سمع من يقول حتى هل الصلاة ، والدليل على أنهما جعلاً اسماً واحداً قول الشاعر :

وهيج الحى من دار فظل لهم
يوم كثير تناديه وحيهله

والقوافي مرفوعة ، وأنشدناه هكذا أعرابى من أفصح الناس^(٢) .

وسيبويه يعتبرها مركبة تركيب حضر موت ويثبت أن من العرب من يقول : حيهلا ومنهم من يقول : حيهل إذا وقف أثبت الألف . ومنهم من لا يثبت الألف في

(١) المقتضب ج ٢ - ١٤٥

(٢) الكتاب ج ٣ - ٣٠٠

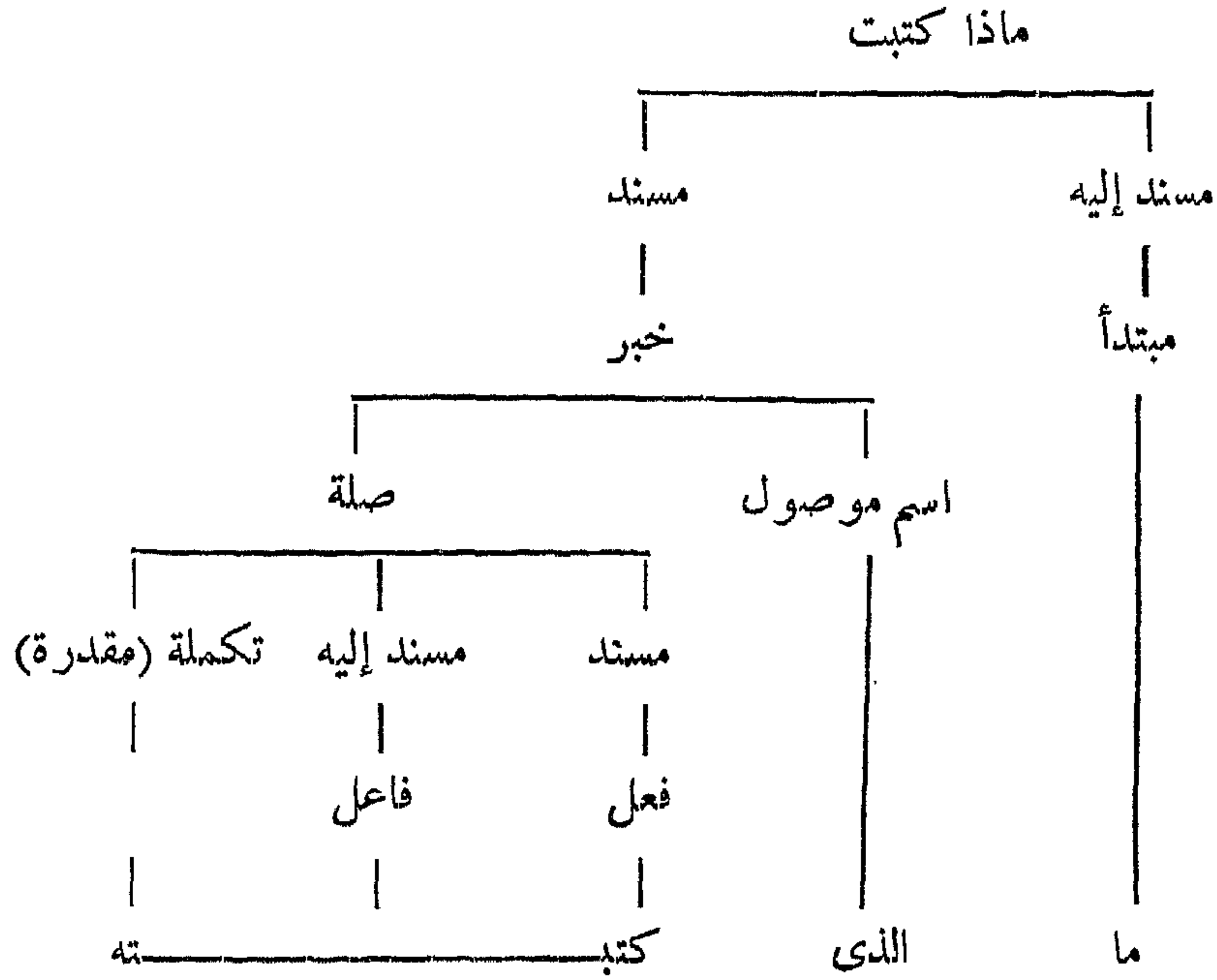
الوقف والوصل^(١) وفيها لغة أخرى هي « حيل » خفيفة^(٢) .

بجهد يزجون كل مطية
أمام المطايا سيرها المتقاذف^(٣)

ماذا : ذا بعدما قد تعتبر :

(أ) اسم موصول بمعنى الذي ، فتكون مساوية (مالذي .. ؟) فإذا إذن عبارة عن عنصرين : ما الاستفهامية الواقعة مبتدأ وذا الموصولة الواقعة خبراً ، وعلى هذا فاعراب مثل : ماذا كتبت هو على النحو التالي :

وحيل بمعنى أقبل أو إيت ، فهي مركبة تركيب حضرموت ، فهي اسم فعل مركب باجماع النحويين . وقد يدخل عليه حرف جر فيترك على لفظه محكياً . من شواهد الكتاب :



بمنزلة الذي فهو قولك : ماذا رأيت ؟
فيقول : « متاع محسن » .

ولما كان السؤال عن مرفوع فاجابته بالرفع ، لأن الجواب بدل من السؤال^(٤)
(٥) جاء في الكتاب « أما إجراؤهم ذا

(٢) الواضح - ١١٣

(٤) شرح المفصل ج ٣ - ١٤٩ .

(١) السابق - ٣٠١

(٣) الكتاب ج ٣ - ٣٠١

وقال الشاعر ، لبيد بن ربيعة :

ألا تسألان المرء ماذا يحاول
أنحب فيقضى أم ضلال وباطل (١)
فكلمة « نحب » مرفوعة رد على « ما »
التي هي في موضع رفع بالابتداء .

(ب) مركبة مع ما ، فتكون « ماذا »
كلها كلمة واحدة مركبة من كلمتين يقول
السيوطي : أما إذا ركبت مامع ذا يصارا
اسما واحدا فله معنيان : أحدهما وهو
الأشهر أن يكون المجموع اسم استفهام
كقوله :

ياخرز تغلب ماذا بال نسوتكم
لايستفغن إلى الديرين تخنانا
فهذا لا يصح فيه الموصولية . . .
والثاني أن يكون المجموع اسما واحدا موصولا
كقوله وهو من شواهد الكتاب :

دعى ماذا علمت سأثقيه
ولكن بالمغيب نبئني
أى دعى الذى علمت ، قال أبو حيان
واستعمالها على هذا الوجه قليل ، وقيل خاص

بالشعر (٢) وماذا المركبة الدالة على الاستفهام
تكون إجابتها بالنص ، فالجواب بالرفع عن
« ماذا » « دليل » كون ذا موصولة ، وماذا
ليست مركبة ، والجواب بالنصب دليل
كون « ماذا » مركبة :

قال تعالى : « ويسألونك ماذا ينفقون
قل العفو » (٣) قرىء برفع « العفو » ونصبه
قال تعالى : « ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا » (٤)
خيرا بالنصب ، وقرأ « زيد بن على
« خير » بالرفع :

قال تعالى : « ماذا أنزل ربكم قالوا
أساطير الأولين » (٥) قرأ الجدهور برفع
« أساطير » وقرىء شاذاً « أساطير بالنصب » (٦) .

وهاك تحليلا لقوله تعالى : « ماذا ينفقون »
على الاعتبارين السابقين : اعتبار بساطة
« ماذا » وكونها عبارة عن عنصرين
مفردين ، واعتبار تركيب ماذا وكونها
كلمة واحدة مركبة :

(١) الكتاب ج ٢ ، ٤١٧

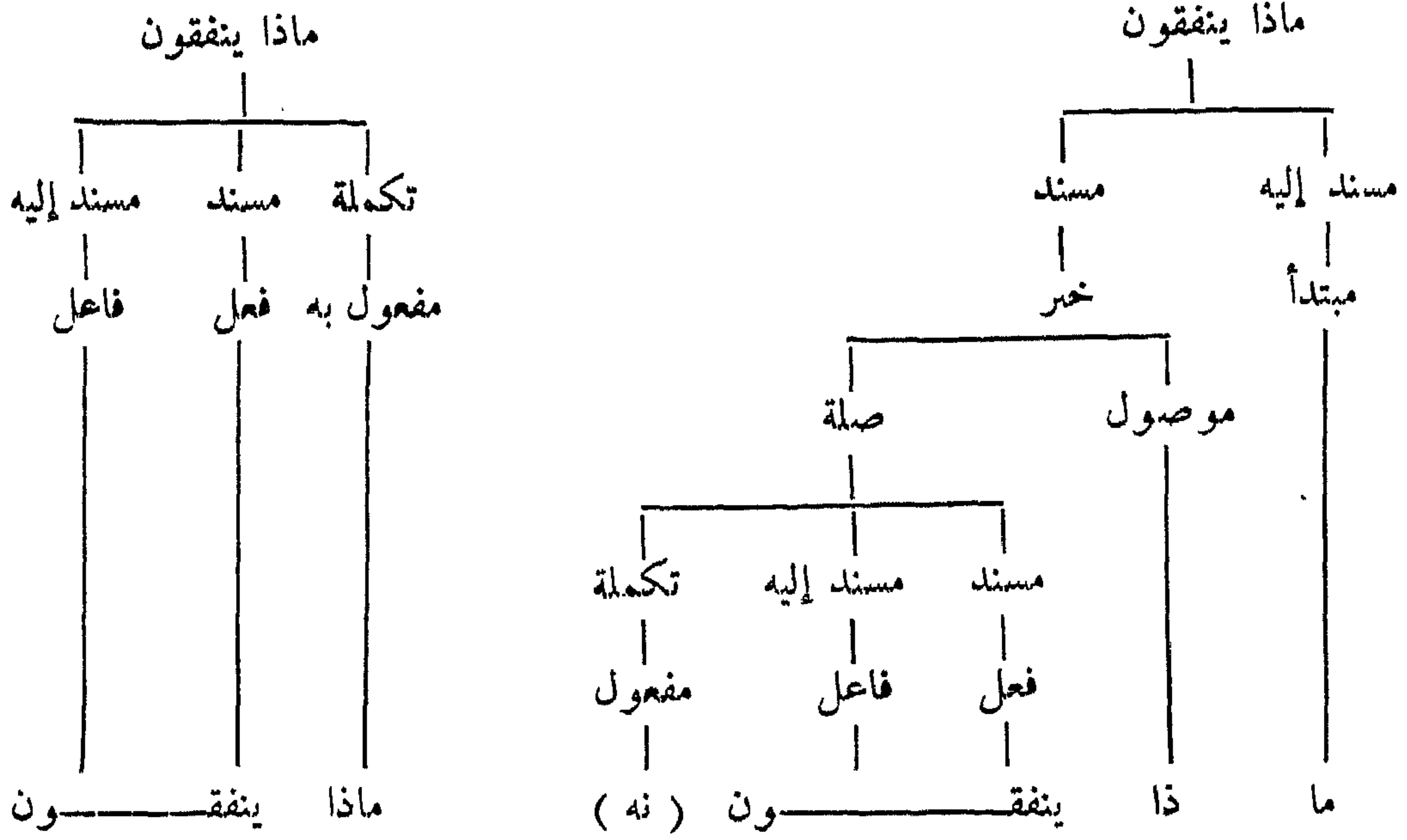
(٢) هم الهوامع ج ١ - ٨٤ ، انظر ايضا الكتاب ج ٢ - ٤١٨

(٣) البقرة - ٢١٩

(٤) النمل - ٣٠

(٥) النمل - ٢٤

(٦) الكتاب ج ٢ - ٤١٨ ، شرح المفصل ج ٣ - ١٤٩ ، ١٥٠ .



٢ - انوه من واقع الشواهد بمنطقية اللغة ،
فنحن مع ماذا أمام :

(أ) الاحتفاظ بكيان كل عنصر من
العنصرين ، فنعتبر ما استفهامية ، وذا موصولة .

(ب) تغليب جانب ما فتصبح « ماذا »
كلها استفهامية :

(ج) تغليب جانب ذا فتصبح « ماذا »
كلها موصولة :

٣ - عقد « ابن هشام » فصلا لماذا ، فصل
القول فيها تفصيلا مبينا زاد عما ذكرته
حديثا عن اعتبار « ذا » زائدة ، اكتفى هنا
بالاحالة عليها (١) .

محمد عبد السلام شرف الدين

تنبيهات :

١ - ترتب على القول بتركيب « ماذا »
اختصار في التحليل ، فالجملة على هذا
الاعتبار فعلية بسيطة تقدم مفعولها على
الفعل والفاعل ، أما على القول بعدم
التركيب ، فقد تفرع التحليل كما يتضح
من الشجرة الأولى - ، والجملة على هذا
الاعتبار اسمية خبرها اسم موصول استدعى
جملة الصلة ، فهل يمكن الذهاب إلى أن
اعتبار بعض الكلمات مركبا يتولد عنه
بساطة في التحليل ، واعتبارها بسيطة
يتولد عنه تضخما في التحليل . ؟ .

(١) معنى اللبيب ج ٢ - ٤ ، ٥ .

في إعراب ومشكلاته

للكبير أحمد علم الدين الجبلي

(١)

مقدمة :

الأمير ، فليبغني كاتباً لقنناً يفعل ما أقول
فأتى بكاتب من عبد القيس ، فلم يرضه
فأتى بآخر فقال له أبو الأسود : إذا رأيتني
قد فتحت في بالحرف ، فانقط نقطة
فوقه على أعلاه ، فإن ضمنت في فانقط
نقطة بين يدي الحرف ، وإن كسرت
فاجعل النقطة تحت الحرف ، فإن أتبت
شيئاً من ذلك غنة ، فاجعل مكان النقطة
نقطتين (١) « كما ذكر السيوطي : أنه أول من
نقط المصحف (٢) ، وكان عند ابن سيرين مصحفاً
نقطه يحيى بن يعمر (٣) ، وكان أول من
نقط المصحف ، كما ذكر الداني أن المبتدئ
بالنقط هو نصر بن عاصم (٤) اللبثي ،
ويظهر أن العلماء الثلاثة ساهموا في إعراب
المصحف ، إلا أنني أرجح أن أبا الأسود
كان أولهم ، للروايات التي تسوقها كتب

مما لا يتطرق إليه الشك أن أبا الأسود
الدؤلي كان أول من وضع اللبنة الأولى
في العربية وهي شكله للقرآن الكريم عن طريق
النقط ، فكأنه أول من أعرب القرآن
بالنقط ، والدليل على ذلك روايات عدة
في كتب الطبقات : منها ما جاء عن
السيرافي من أن زياداً أرسل إلى أبي الأسود
وقال له : اعمل شيئاً تكون فيه إماماً
ينتفع الناس به وتعرب به كتاب الله ،
فاستعفاه من ذلك ، حتى سمع أبو الأسود
قارئاً يقرأ : « إن الله برئ من المشركين
ورسوله » بكسر اللام في رسوله
فقال : ما ظننت أن أمر الناس صار إلى
هذا فرجع إلى زياد فقال : أنا أفعل ما أمر به

(١) أخبار النحويين البصريين : ١٢ ، مراتب النحويين : ١٠ أبو الطيب اللغوي : كتابه النقط والشكل
لأبي عمرو الداني : ١٢٤ - ١٢٥ دمشق .
(٢) المزهري : ٢ - ٣٩٨ .
(٣) المقنع للداني : ١٢٥ دمشق .
(٤) كتاب النقط والشكل للداني : ١٢٥ دمشق .

الطبقات^(١)، ولما عثر عليه من مصحف مخطوط في مسجد عمرو بن العاص في مدينة القسطنطينية، وهذا المصحف يعد أقدم مصحف في العالم، وأنه جمع الشكل الذي وضعه أبو الأسود، وقد رسم بمداد أحمر وبنفس الطريقة التي نسبتها الرواة إلى أبي الأسود، كما أن هذا المصحف جمع عملاً آخر لنصر بن عاصم وهو نقط الإعجام وقد رسم في المصحف بمداد أسود^(٢). فهذا يدل على أن عمل أبي الأسود كان إعراب القرآن بوسيلة النقط، وأن عمل عاصم كان نقط إعجام للحروف، للترقية بين ما تشابه منها في اللحن. ولا أريد أن أفيض فيما إذا كان هذا النقط قد ابتكره أبو الأسود أم أنه استمده من نحاة السريانيين، فلهذا مقام آخر، وإنما الذي أريد أن أنتهي إليه هو أن تلك الخطوة الجريئة من أبي الأسود تلاها وصحبها ملاحظات، وتجمع للأشباه والنظائر من المرفسوعات والمنصوبات والمجرورات، ولا شك أن العلاقة وثيقة بين نقط النص القرآني - والذي يشير إلى الإعراب في عمل أبي الأسود -

وبين النحو الذي بأيدينا الآن ذلك الذي يحث على الإعراب في كل صفحة من صفحاته؛ إذ أنهم خافوا على القرآن الكريم من أن يمتد إليه اللحن، وهو فيه أشد خطراً، وأبشع جرماً، ولهذا فزع أبو الأسود عندما سمع من يقرأ «إن الله بريء من المشركين ورسوله^(٣)» بكسر اللام في رسوله، وفي رواية أن الأعرابي قال: إن يكن الله بريء من رسوله فأنا أبرؤ منه^(٤)، وماروى عن يونس أنه قال: قال الحجاج لابن يعمر: أتسمعي أَلْحَنَ على المنبر؟ قال: الأمير أفصح من ذلك فألح عليه فقال: حرفاً، قال: أيا؟ قال: في القرآن. قال الحجاج: ذلك أشنع له، فما هو؟ قال: تقول: «قل إن كان أبأؤكم وأبناؤكم^(٥)» إلى قوله عز وجل «أحبُّ» فتقروها «أحبُّ» بالرفع، والوجه أن تقرأ بالنصب على خبر كان، قال: «لا جرم: لا تسمع لي لحناً أبداً، فألحقه بخراسان^(٦) وهذا يدل على أن اللحن عار، بدلي - بل أن الحجاج نفي يحيى بن يعمر إلى خراسان، لأنه أنف أن يطلع له رجل على لحن.

(١) طبقات النحويين واللغويين: أبو الأسود الدؤلي، المقنع ١٢٥ الداني.

(٢) اللغة والنحو: ٢٣٦ حسن عون.

(٣) سورة التوبة آية ٣.

(٤) نزهة الألباء ٧.

(٥) سورة التوبة آية: ٢٤.

(٦) طبقات النحويين واللغويين: ٢٢ للزبيدي، وأخبار النحويين البصريين: ١٨ للسيرافي، نزهة الألباء ١٠٠.

وجدنا أن الخطأ في الإعراب من أقبح
 الهجنة، فعبد الملك بن مروان كان يستسقط من
 يلحن، قال العيني: «استأذن رجل من عليّة
 أهل الشام عليه، وبين يديه قوم يلعبون
 بالشطرنج، فقال: يا غلام، غطها،
 فلما دخل الرجل فتكلم لحن، فقال
 عبد الملك: يا غلام، اكشف عنها
 الغطاء، ليس للاحن حرمة»^(٧) ومما ساقه ابن
 عبد ربه أن عمر بن عبد العزيز كان يجالساً
 عند الوليد بن عبد الملك، وكان الوليد
 لحانا فقال: يا غلام، ادع لي صالح، فقال
 الغلام: يا صالحا. قال له الوليد: انقص
 ألفا فقال عمر: وأنت يا أمير المؤمنين فزد ألفا^(٨)!
 واحتج على عبد الملك بلحن الوليد هذا، فقد
 ذكر ابن عساكر أن عبد الملك قال لرجل
 من قريش: «إنك لرجل لولا أنك تلحن»
 فقال: «وهذا ابنك الوليد يلحن» قال عبد
 الملك: لكن ابني سليمان لا يلحن «قال الرجل
 وأخى فلان لا يلحن»^(٩) وقرأ يوما علي

ومن أجل هذا قال النبي (ص)
 «أعربوا الكلام كي تعربوا القرآن»^(*)
 كما روى أن رجلا لحن بحضرة النبي (ص)
 فقال: أرشدوا أحاكم فإنه قد ضل»^(١)
 كما روى السيوطي أن النبي (ص) قال:
 أنا من قريش، ونشأت في بني
 سعد، فأني لي اللحن^(٢) فإذا وصلنا إلى
 عهد أبي بكر نسمعه يقول «لأن أقرأ
 فأسقط أحب إلي من أن أقرأ فألحن»^(٣)
 «فإذا جاء عهد عمر رأيناه يقول لقوم
 استقبح رميمهم «مأسوا رميمكم فيقولون:
 نحن قوم متعلمين، فيقول عمر: لحنكم أشد
 على من فساد رميمكم»^(٤) كما روى أن كاتباً
 كتب إلى عمر «من أبو موسى الأشعري»
 فكتب عمر إلى أبي موسى: «أن قنّع
 كاتبك سوطا»^(٥)، وروى عن ابن المغيرة
 عن أبي عبيدة قال: مرّ أبو عمرو بن العلاء
 فإذا أعدل مطروحة مكتوب عليها
 «لأبوفلان، فقال أبو عمرو: يارب يلحنون
 ويرزقون»^(٦). فإذا جئنا إلى عصر بني أمية

- (*) الأضداد ٢١٣ لابن الأنباري .
 (١) الخصائص : ٢-٨ ، إرشاد الأريب : ١-٨ .
 (٢) المزهر : ٢-٣٩٧ .
 (٣) المرجع السابق .
 (٤) الأضداد : ٢١٣ لابن الأنباري
 (٥) الخصائص : ٢-٨ ، المزهر : ٢-٣٩٧ .
 (٦) إنباه الرواة : ٢-٣١٩ للقفطي
 (٧) تاريخ آداب العرب : ١-٢٤٥ .
 (٨) العقد الفريد : ٢-٢٩٩ .
 (٩) في أصول النحو للأفغانى : ١٢ هامش .

وهو ربيعة بن أبي عبد الرحمن (المتوفى ١٣٦) إذ كان يخاطب في الإعراب (٣)، ولم يكن اللحن مقصوراً على هؤلاء جميعاً ولكنه شمل ميدانا آخر - ميدان القراء - حيث اتهمهم النحاة باللحن في القرآن ، فالنحاة يخطئون ابن عامر مقرئ الشام ونافع مقرئ المدينة ، وحمزة مقرئ الكوفة ، والقعقاع ، وابن مسعود ، والحسن البصرى ومعاذ الهراء .

حركة تنقية اللغة :

ومن هذا العرض الوجيز نرى أن اللحن قد شمل البيئات والأفراد على اختلاف مشاربها ومنازلها ، فشمل الأمراء ، والفقهاء والشعراء ، وأخيرا القراء ، والحق أن اللحن له صور عدة ، اخترت منها الأمثلة السابقة وهي كلها تتعلق (بالإعراب) إذ أن اللحن في الإعراب كان أول ما ظهر عند العرب ، بعكس لحن الموالي الذي اتجه أولا إلى تحريف الأصوات العربية ، ويؤيد ذلك قول أبي الطيب « واعلم أن أول ما اختل من كلام العرب فأحوج إلى التعلم الإعراب (٤) » كما يظهر أن هذا اللحن في الإعراب قابلته حركة قوية ، ولا سيما بعد أن انتشر في جميع الأوساط في المنازل

المنبر « ياليتها كانت القاضية » وضم التاء ، فقال عمر بن عبد العزيز (وكان تحت المنبر) ياليتها كانت عليك وأراحتنا منك (١) ! » فإذا ما جاء عصر الدولة العباسية ، نرى اللحن يزحف وينشر وتتعدد صورته وأشكاله ، بل إنه هدد الفصحى ، ونظرة واحدة إلى العقد الفريد والبيان والتبيين ، والمعجم في بقية الأشياء للعسكري ، وكتب الطبقات تريك حشداً من اللحن. ولم يكن اللحن مقصورا على طبقة معينة ، ولكنه شمل العلماء ورجال الدين ، فأبو حنيفة - كان في الفتيا ولطف النظر واحد زمانه ، وسأله رجل يوما فقال له : ماتقول في رجل تناول صخرة فضرب بها رأس رجل ، فقتله أتقيده به ؟ قال : لا ، ولو ضربه بأبا قبيس (٢) ، والحق أن هذه القولة من أبي حنيفة يمكن أن نجعل لها تخريجا في العربية ، وأنها جاءت على لهجة من يلزم الأسماء الخمسة الألف في جميع أحوالها ، كما نجد لحننا للإمام الكبير مالك بن أنس (٩٠ - ١٧٩ هـ) من يقول : أى مطراً ، بدلا من : أى مطر . حتى إن الأصمعي ليدهش من صدور مثل هذا عنه ، وهو حجة ثقة ، نتجرف اللحن أيضا فقيها من رجال المدينة

(١) المرجع السابق .

(٢) العقد الفريد : ٢ - ٣٠١ ، البيان والتبيين : ٢ - ٢١٢ .

(٣) العربية : ٦٩ يوهان فك .

(٤) مراتب النحويين : • أبو الطيب .

والمدارس والمساجد وبين الخاصة أنفسهم تلك الحركة هي حركة تحصيل اللغة وتنقيتها التي تمثلت أول أمرها في نقط القرآن أو إعرابه ، ثم إعجابه ، فالنحو الذي وضعه أبو الأسود ليس هو النحو الذي نراه ونلمسه الآن ، مملوءا بالمهارات والمشاحنات ، والجدل ، والمنطق والعمل ولكنه نحو أيسر مما نراه لا يجاوز الحفاظ على قراءة القرآن ، حتى لا تنحرف فيه الألسنة ، ثم أعقبته أعمال بعد ذلك كملت خطاه .

سلطان النحاة ونفوذهم :

وكانت وظيفة النحو أن يطاردا للحن ويشن عليه غاراته ، ولكن هذا النحو أخذ يمد سلطانه حتى تصدى لعلماء العربية ، وشعراء الجاهلية ، وأخيرا امتدت يده إلى القراء ، المشهود لهم بالثقة ، والذين تلقوا قراءتهم عن صاحب الرسالة (ص) وكان أكثر هجومهم وتخطئهم في ميدان الإعراب ، حتى اشتد الجدل بينهم أنفسهم فيه ، فمن ذلك أن ابن أبي إسحق كان يقرأ

« ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين » بالنصب ، وكان يقرأ « الزانية والأزاني »^(١) « والسارق والسارقة »^(٢) بالنصب وهو خلاف ماقرأ به القراء^(٣) . إذ قرعوا بالرفع كما كان يقرأ عيسى بن عمر « هؤلاء بناتي هن أطهر لكم »^(٤) بنصب أطهر ، وأبو عمرو^(٥) ينكرها عليه ، وكان عيسى وأبو عمرو يقرآن « يا جبال أوبي معه والطير »^(٦) بالنصب ويختلفان في التأويل وكان عيسى يقول : هو على النداء كما تقول : يا زيد والحارث لما لم يمكنه ويا الحارث ، وقال أبو عمرو : لو كان على النداء لكان رفعا ، ولكنها على إضمار وسخرنا^(٧) الطير ، كما تناول النحوى عيسى بن عمر الثقفي (١٤٩هـ) فخطأ النابغة في قوله .

فبت كأني ساورتني ضئيلة

من الرقش في أنيابها السم ناقع^(٨)

اوذكر أنه يجب أن يكون في غير الضرورة : ناقعاً . كما خطأ عنيسة بن معدان المهري (١٠٠ هـ) الفرزدق أيضاً^(٩) . وهذا أحد النحاة عبد الله بن أبي إسحق الحضرمي النحوى

(١) سورة النور آية : ٢٤

(٢) سورة المائدة آية : ٥

(٣) طبقات النحويين واللغويين : ٢٧ للزبيدي .

(٤) سورة هود آية : ٧٨

(٥) طبقات النحويين : ٣٦ للزبيدي .

(٦) سورة سبأ آية : ١٠

(٧) طبقات اللغويين : ٣٦ للزبيدي .

(٨) طبقات الزبيدي : ٣٥ ، كتاب سيويوه : ١ - ٢٦١ ط بولاق .

(٩) أخبار النحويين البصريين : ١٨ - ١٩ ، الموشح : ١٠٤ للمرزباني .

وشعرأهم . يظهر هذا حين أنشد الفرزدق
قصيدته التي يقول فيها :

إليك أمير المؤمنين رمت بنا
هموم المنى والهوجل المتعسف
وعض زمان يا ابن مروان لم يدع
من المال إلا مسحتاً أو مجلفاً (٤)

فقال له ابن أبي إسحق : على أي شيء
رفعت مجلفاً؟ فأجابه الفرزدق في سخرية :
على ما يسروك وينووك ، علينا أن نقول
وعليكم أن تتأولوا . وإجابة الفرزدق تشير
إلى منهج يراعى المستوى الصوابي الاجتماعي
أما المنهج الآخر الذي يراعيه المستوى الصوابي
النحوي فهو منهج النحاة ، ويرى الدكتور
تمام حسان أن المنهج اللغوي الحديث يعترف
بالمستوى الصوابي الأول ، وينكر المستوى
الصوابي الثاني لأنه معايير باحث خلقها بنفسه ،
ويريد أن يفرضها في الاستعمال (٥) ، ولقد
طلب النحاة العال والمقاييس لتصحيح قول
الفرزدق حتى جهدوا ، وأرى أن الفرزدق
لم يخطئُ بدليل أن أبا عمرو بن العلاء قال
للفرزدق أصبت وهو جائز على المعنى (٦) ،
ورحم الله ابن قتيبة حيث قال : أتعب

(١١٧ هـ) وكان كعيسى بن عمر يطعن
على العرب (١) في لغتهم ، إذ كان يقدم
القياس ويأخذ بالعلل ، كما يقف من العرب
موقف العداوة والبغضاء - ويعيب على
الفرزدق في مديحه ليزيد بن عبد الملك :

مستقبلين شمال الشام - تضربنا
بمحاصب كنديف القطن منثور
على عمائنا يأتى وأرجلنا
على زواحف تزجى مخخارير (٢)

وبلغ الفرزدق أن الناس يهيمون بأنه
قد أقوى ، ولم يبلغه أن الذي اتهمه بالإقواء
هو ابن أبي إسحق ، فقال الفرزدق : ما بال
هذا الذي يجرّ خصييه « يعنى ابن أبي إسحق »
لا يجعل له بحيلته وجهاً ؟ فلما علم أن ابن
أبي إسحق صاحب الطعن عليه قال : والله
لأهجونه ببيت يكون شاهداً على ألسنة
النحاة فهجاه بقوله :

فلو كان عبد الله مولى هجوته

ولكن عبد الله مولى مواليا (٣)

ويظهر أن جمود النحاة وتعنّتهم هذا قد
أوجد في أول الأمر ثورة عليهم من العرب

(١) طبقات الزبيدي : ٢٦

(٢) المرجع السابق .

(٣) مراتب النحويين : ١٢

(٤) الشعر والشعراء : ٢٣ ط المعاهد .

(٥) اللغة بين المعيارية والوصفية ١١ دكتور تمام حسان .

(٦) نزهة الألباء ١٣ .

٣ - ابن حزم الأندلسي (القرن السادس).
 ٤ - ابن مضاء القرطبي (القرن السابع) .
 وهكذا أصبحنا لا نتصفح ورقة من النحو
 إلا وجدنا خلافاً في الإعراب ، فالكسائي
 يقرأ بحضرة الرشيد أبيات أفنون التغلبي ومنها:
 أبلغ حُببياً وخلل في سراتهم
 أن الفؤاد انطوى منهم على حزن
 إلى أن قال: أم كيف ينفع ما تعطى العلقوق به
 رثمان أنف إذا ماضن باللبن
 ففتح نون رثمان - وكان الأصمعي حاضراً
 فقال : هي رثمان بضم النون ، فأقبل عليه
 الكسائي وقال له : اسكت ما أنت وهذا ؟
 يجوز رثمان- ورثمان- ورثمان بالرفع
 والنصب و الجر (٣) . فالنحاة في هذا
 قد نسئوا المعنى لحرصهم على هذا
 الإعراب ، حتى كان النحو عندهم
 غاية الإعراب ، وهم بهذا قد ضيقوا حدوده
 حين اهتموا بالأحوال المختلفة من : رفع
 ونصب وجر من غير فطنة لما يتبع هذه الأوجه
 من أثر في المعنى ، يجيزون في الكلام وجهين
 أو أكثر من أوجه الإعراب ، ولا يشيرون
 إلى ما يتبع كل وجه من أثر في رسم المعنى
 وتصويره ، وهذا يشتد جدلهم ويطول احتجاجهم
 ثم لا ينتهون إلى كلمة فاصلة (٤) .

الفرزدق أهل الأعراب ، فقالوا وأكروا ،
 ولم يأتوا بشيء يرتضى ، ومن ذا يخفى عليه
 من أهل النظر أن كل ما أتوا به احتيال
 وتمويه (١) ، وكان النحاة بالتحامهم مع
 الشعراء في تلك المعارك الحامية يريدون أن
 يتثبتوا من مدى صلاحية مفايرهم وقواعدهم
 التي فرضوها ، ولا شك أن كثيراً من النحاة
 كانوا يتقعون حتى تستغلق أفهامهم ،
 ويستبد بهم جمود القرينة والصنعة والتكلف
 ويظهر هذا من سؤال وجهه الخاضع إلى
 أبي الحسن الأخفش قائلاً له : أنت أعلم
 الناس بالنحو ، فلم لا تجعل كتبك مفهومة
 كلها ؟ ... قال : أنا رجل لم أضع كتبى
 هذه لله ، وليست هي من كتب الدين ،
 ولو وضعتها هذا الوضع الذي تدعوني إليه
 قلت حاجاتهم إلى فيها ، وإنما كانت غايتى
 المنالة (٢) . وبهذا ضيق النحاة على أنفسهم
 وعلى غيرهم حتى ضاق النحو بنفسه لتعقد
 أبوابه ، وأخذ رد الفعل الإيجابي لهذا الضجر
 تقديم مقترحات لإصلاح النحو وتيسيره ،
 ونقد مناهج النحاة ، ومن أول من تصدى
 لذلك :

- ١ - ابن ولاد المصري (القرن الرابع) .
- ٢ - أبو العلاء المعري (القرن الخامس) .

(١) الشعر والشعراء ٢٣ . إحياء النحو إبراهيم مصطفى ط ١٩٥١ ٩٤ .

(٢) الحيوان ١ - ٩١ فما بعدها . تحقيق عبد السلام هارون .

(٣) معنى اللبيب ١ - ٤٤ ، وانظر : خزنة الأدب . الشاهد ٩٠٦ .

(٤) إحياء النحو ٨ .

تفسير ظاهرة الإعراب :

قام خلاف بين علماء العربية في دلالة الحركات على المعاني الإعرابية أو عدم دلالتها ، وأول من أشار إلى ذلك الخليل (١) .
ومن ذهب إلى أن الحركات دوال على معان أبو القاسم الزجاجي ت ٣٣٧ هـ في كتابه : الإيضاح (٢) في علل النحو حيث يقول : إن الأسماء لما كانت تعورها المعاني ، فتكون فاعلة ومفعولة ، ومضافة ومضافا إليها ولم تكن في صورتها وأبنيها أدلة على هذه المعاني بل كانت مشتركة ، جعلت حركات الإعراب فيها تنبيء عن هذه المعاني .

ويذهب قطرب ت ٢٠٦ هـ إلى أن العرب : « إنما أعربت كلامها ؛ لأن الاسم في حال الوقف يلزمه السكون للوقف ، فلو جعلوا وصله بالسكون أيضا لكان يلزمه الإسكان في الوقف والوصل ، وكانوا يبطئون عند الإدراج (٣) فلما وصلوا وأمكنهم التحريك ، جعلوا التحريك معاقبا للإسكان ، ليعتدل الكلام » فذهب قطرب إلى أن الحركات الإعرابية لا معنى لها ، بل جرى بها تخفيفا ، وقد انفرد قطرب بهذا الرأي ، والأصل دخول الإعراب في الكلام ، ليفرق بين المعاني ، وعلماء العربية على هذا .

لكن منهج البحث عند جمهور النحاة تنكب هذا الطريق حين فسّر هذه الحركات تفسيراً فلسفياً في ضوء العامل ، والأثر والمؤثر ، والمعلول والعللة ، وشغلوا عن دلالة الحركات ودلالاتها على المعاني ، حتى صار الإعراب وهو دليل المعاني يدرس بمعزل عن تلك المعاني ، وحرصوا على أن يتقن العرب مصطلحات الإعراب وعباراته من غير إشارة إلى الارتباط بين المعاني والإعراب ؛ ولهذا كان يهيب ابن جنى بالنحاة أن يتركوا المعنى على ما هو عليه ، وأن يصححوا أوجه الإعراب من غير مساس (٤) بالمعنى نفسه .

وإحقاقا للحق يجب أن نشير إلى أن فئة من نحاة القرآن كانت تلاحظ هذا الارتباط ، وها هو الفراء في معانيه عند تفسير قوله تعالى : « كل نفس ذائقة الموت » يقول : لو نونت في (ذائقة) ونصبت الموت كان صوابا ، وأكثر ما تختار العرب التنوين والنصب في المستقبل ، فإذا كان معناه ماضيا لم يكادوا يقولون إلا بالإضافة (٥) ؛ فالفراء يشير إلى اختلاف الحركات باختلاف المعاني ماضيا واستقبالا (٦) .

(١) كتاب سيويه ٢ / ٣١٥ بولاق .

(٢) ص ٦٩ تحقيق : مازن المبارك ط دار العروبة ، وانظر الأشباه والنظائر ١ / ٧٦ فما بعدها . للسيوطي .

(٣) الإيضاح ٧٠ .

(٤) انظر الخصائص ٢٩٢ ط الهلال .

(٥) انظر معاني القرآن للفراء عند تفسير : « كل نفس ذائقة الموت » .

(٦) انظر المصدر السابق عند تفسير : إن الله بالغ أمره ، وقوله : « هل هن كاشفات ضره » .

الإعراب في الفصحى والساميات :

ولكن هل هذا الإعراب كان مراعى في الفصحى ؟ وهل في الساميات مثل هذا الإعراب الذى نراه في عربيتنا ؟

يرى V. Renan أن الإعراب في العربية لا يوجد له نظير في أى أخت من الأخوات السامية اللهم إلا بعض آثار ضئيلة بدائية في العبرية والآرامية والحبشية^(١) ،

ويذهب المستشرقون ومنهم : ولين Wallin وفليبي Phillippi ونولدكه Noöldeke ثم بروكلمان Brokelmann إلى أن الإعراب خاصة سامية قديمة تشترك فيه مع العربية الأكديّة، والإعراب فهما أقدم من ٢٥٠٠ سنة ق.م. أى أن عمره أكثر من خمسة وأربعين قرنا ، وبهذا يرد على زعم من ينكر الإعراب عند العرب أو من يرى في الإعراب ظاهرة لا تتلاءم مع الحضارة^(٢) . ولا يشارك العربية في الإعراب من اللغات الحية إلا الألمانية ، أما اللغات الآرية الحديثة - وتشمل معظم لغات أوروبا الحديثة - فقد نخلت من حالات الإعراب ، هذا وقد امتدح الإعراب في العربية نفر من المستشرقين منهم : بروكلمان حيث يرى أن لغة الشعر العربى تميزت بثروة

عظيمة من الصور النحوية ، وقد بلغت من حيث دقة التعبير عن علاقات الإعراب والنحو ذروة التطور في اللغات السامية « ولوى مسينون ، ويوهان فك » حيث يقول الأخير : لقد احتفظت العربية الفصحى في ظاهرة التصرف الإعرابى بسمة من أقدم السمات اللغوية التى فقدتها جميع اللغات السامية باستثناء البابلية القديمة قبل عصر نموها وازدهارها الأدبى^(٣) .

يؤكد ذلك ما ساقه د . رمضان عبد التواب من نصوص قانون حمورابى ١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق . م المدون باللغة البابلية القديمة - بين فيها تماثل الإعراب بينها وبين العربية ، فالفاعل مرفوع والمفعول منصوب ، وعلامة الرفع الضمة وعلامة النصب الفتحة وعلامة الجر الكسرة كما في العربية^(٤) . هذا ، وقد حملت لغة النقوش العربية البائدة بذور الإعراب ، وقد رمز إلى الإعراب في تلك النقوش بحروف تلاحق بآخر الكلمة ، ومن ذلك ما جاء في نقش النمارة : ونزدو - فالواو علامة الرفع عندهم : وهرب منحجو - فألحق الواو بالكلمة أيضا مع أنها في حالة النصب ، لأنها مفعول به وقد وقع عليها الفعل : وملك معدو - فالواو في الاسم ذكرت

(١) فقه اللغة ١٣٠ وافي .

(٢) نحو عربية ميسرة ١٢٣ / د . فريجة . بيروت .

(٣) العربية ٣ يوهان فك .

(٤) فصول في فقه العربية ٢٣٩

إذن لرجل سوء! ، فالأعرابي البدوي فهم :
الجر والهدز لغويا لا بمعناها الاصطلاحى
العلمى المعروف للنحاة :

وأميل إلى أن نحاة البصرة والكوفة قد زادوا
فيه شيئا كثيرا ، ولا سيما فى دقة القواعد وتشعبها ،
فاتسع الإعراب كلما احتدم النزاع بين المذاهب
النحوية ، وكثرت الأوجه الإعرابية فى
كل كلمة ، فالإعراب أثر لعامل إن وجد
فبها ونعمت ، وإلا وجب تقديره ، فكل
حركة لا بد لها من عامل ، كما أن كل حادث
لا بد له من محدث .

وقد كانت المناظرات بين علماء النحو
من أسباب التوسع فى الإعراب ، ونخلق أنماط
جديدة منه ، فالمناظرة التى وقعت بين الكسائى
والأصمعى - كانت خلافا على الإعراب فى
كلمة - أجاز فيها الكسائى الأوجه الإعرابية
الثلاثة (٣) ، وكذلك كانت المناظرة بين
الكسائى وسيبويه فى المسألة الزنبورية (٤) .
وقد لعبت فيها السياسة دورا خطيرا ،
وكذلك غيرها من المناظرات النحوية كالتى
وقعت بين الرياشى وثلعب ، أو بين المبرد
وثلعب ، وأكثرها يشترك فيها الإعراب الذى
أتقنه وزاد فيه وغيره هؤلاء جميعا .

للإعراب (١) ، كما حملت الإعراب لهجة
(أزد السراة) وهى لهجة عربية قديمة حيث
يقولون : جاء زيدو ، ورأيت زيدا ،
ومررت بزيدى ، فالواو والياء يمكن أن
تكون دليل الإعراب فى تلك اللهجة ، وأنهم
فعلوا ذلك لحرصهم على بيان الإعراب ولا سيما
عند الوقف (٢) . ولا شك أن هذه آثار
ضئيلة إذا ماقيست بالإعراب فى عربيتنا .
والذى أرجحه أن الإعراب عنصر أساسى
من عناصر الفصحى ، وموجود فيها قبل
وضع النحو العربى على الصورة التى نراها
الآن ، على أن الإعراب لم يصل إلى تلك
الدرجة الدقيقة الكاملة إلا بعد مراحل ،
وربما كانت الألفاظ المعربة فى العربية فى
وقت ما مبنية على السكون ، ثم تطورت إلى
مرحلة جديدة نحو الإعراب ، وكان ذلك
قبل الإسلام بوقت طويل ، واللغة العربية
لا تشد فى هذا الباب عن عالم الأحياء ،
والاجتماع ، إذ اللغة كائن حتى من جهة
واجتماعى من جهة أخرى .

على أن الأعراب فى باديتهم فى الزمن
الأقدم لم يعرفوا قواعد الإعراب كعلم له
مصطلحاته العلمية بدليل أن أعرابيا سئل :
أتجر فلسطين ؟ فقال : إني إذن لقوى !
ف قيل له : أتهدز إسرائيل ؟ فقال : إني

(١) تاريخ اللغات السامية ١٩٠ ولفنسون ، تاريخ العرب ٧ / ٢٧٣ فما بعدها . جواد على .

(٢) شرح السيرافى على سيبويه ٥ - ١٦ مخطوط بالتميزية ٢٨ ٥ نحو .

(٣) معجم الأدباء : ترجمة الكسائى .

(٤) طبقات اللغويين ٦٩ للزبيدي .

فايت كفافاً كان شرك كله
وخيرك عنى ما ارتوى الماء مرتوى
ولم أقل إلا الماء بالنصب (١) .

والحق أن للنحويين دخلاً كبيراً في اللغة
التي بين أيدينا ، وأنهم خلقوا أشياء وأمثلة
لم تعرفها العرب ، وعمموا ما لم تعدسه العرب ،
والواقع أن هناك فروقا كبيرة بين اللغة كما
حكيت عن العرب ، كما قعدا النحاة .

واستمع إلى المعرى يثير مشهدا لأحد
النحاة حيث اتتهم بتغيير الإعراب وتبديله
« وكنت رأيت في المحشر شيخا لنا كان يدرس
النحو في الدار العاجلة يعرف بأبي على الفارسي
وقد امترس به قوم يطالبونه ويقولون :
تأولت علينا وظلمتنا . منهم : يزيد بن
الحكم الكلابي وهو يقول : ويحك !! أنشدت
عنى هذا البيت : برفع الماء - يعنى قوله :

بين الحركات والحروف في الإعراب

وتاريخ الحركات جزء هام من تاريخ
الكتابة العربية في عصورها الإسلامية غايتها
تصوير كل صوت برمز كتابي يدل عليه ،
وفي العربية نجد أنماطا من الحركات المختلفة من
بسيطة ومزدوجة (Diphthong) وممطولة
ومخطوفة أو مختلطة ، على أن الحركات وهي
الأهم في موضوعنا يمكن أن ترتبط بنظرية
نحويي العربية الذين يرون أن الحركات
الأساسية هي التي بواسطتها تحرك نهاية الكلمة
في حالات الإعراب ، غير أنه يوجد إلى جانب
هذه الحركات حركات أخرى نشأت
بتأثير الحرف الصامت سابقا أو لاحقا ،
مع بعض العوامل الأخرى ، على أن هذه

لمحة تاريخية :

توهم القدماء من علمائنا ضلالة قيمة
الحركات ، وأنها أمر ثانوي بالقياس على
الحروف وفي هذا القول بعض المغالاة ،
فالحركات خطورتها في تنويع أصل كل معنى
وعن طريقها يتحقق تغير المعنى الصرفي ،
كما أنها تمثل عنصرا هاما في كل من : النبر
في الجانب الصرفي ، والتنغيم في الجانب
النحوي ، زد على ذلك أنها تكون قسم مقاطع
في العربية ، ومكانتها أخيرا في العروض العربي
لا تنكر حيث حلت مكانا مرموقا في موازين
الشعر (٢) .

(١) رسالة الغفران ١٥٢ فا بعدها . المعرى . تحقيق : بنت الشاطي * : ١٩٥ .
(٢) انظر كتابنا : « نحو القلوب الصغير » ص : ١٩٠ ط الدار العربية للكتاب بتونس ، وفي هذا الكتاب أثبت
أن للحركات قيمة هامة أخرى في الجانب الصرفي وشاعت عليها تسمية مبتكرة باسم (صونية الحركات) ، أو (أخلاقية
الحركات) .

قبله ويذكر ابن جني ابتداء تلك القضية فيقول
« واعلم أن الحركة التي يتحملها الحرف لا تخاو
أن تكون في المرتبة قبله، أو معه، أو بعده (٢) ».

والفارسي على رأس الذين يرون أن الحركة
تحدث مع الحرف (٣) على أن ابن جني
يستنكر أن تكون الحركة في المرتبة قبل
الحرف (٤).

ونحننا في هذا الخضم العريض تتناحر
آراؤهم وتشاجر فعندما يقررون أن الحركات
أضعف من الحروف نرى أن الصواب قد
جانبهم في ذلك، إذ الدراسات الحديثة قد
أثبتت أن جميع الحركات القصيرة والطويلة
مجهورة، وأنها أقوى في الوضوح السهوى من
الأصوات الساكنة (٥).

٢- ثم تراهم ينقضون مبدأهم فيقررون
أن الحركة أصل الإعراب وأن حرف المد
فرع عنها وذلك في قول ابن جني « فالألف
والياء والواو في جميع هذه الأسماء الستة
دواخل على الفتح والكسر والضم، ألا تراها
تفيد من الإعراب ما تفيد الحركات :

الضمة والفتحة والكسرة . . . وإنما الموضع
في الإعراب للحركات، فأما الحروف فدواخل
عليها (٦).

الحركات والسكنات عندما تتقاصف على
الصيغة تؤلف نمطا منسجما يتواكب مع
المعاني الوظيفية، وفيضا غامرا من اختلاف
الأوجه وديناميكية الانتقال من صيغة إلى أخرى
مما يعبد نمطا فريدا لسياسة الحركات الذي
يتوج التمدن اللغوي الحضاري للأمة العربية (١).

على أننا لا ننكر صعوبة تاريخ الحركات
في سائر اللغات العربية الجاهلية لأن أبجديتنا
أبجدية حروف صامتة تهمل الحركات وأمثالها
من ضغط ونبر وتنغيم، كما أن مخالفة الكتابة
للنطق كثيرا ما يكون مصدرها تطور الصوت
في الكلمة، ونشاهد ذلك في رسم المصحف
الشريف، والساميات أخوات العربية حيث
نشاهد في العبرية (صان) ونطقها (صون)
وكذلك (راش) بمعنى رأس، ونطقها
(روش).

وإذا كان الأمر كذلك فإننا نرى أن بعض
قدماء النحاة لم يوفقوا حين ظنوا أن الحركات
ليس لها من الأهمية ما للحروف، فقد
زعموا أن حركات العلة أعراض،
والحروف الساكنة جواهر وأصول ثم دخلوا
في متاهات ومشكلات منها :

١- محل الحركة من الحرف : أما سيديويه
فيذهب إلى أن الحركة تحدث بعد الحرف،
وقال غيره : معه وذهب غيره إلى أنها تحدث

(١) انظر مقالنا في مجلة مجمع اللغة العربية ج ٢٩ .

(٢) سر الصناعة : ٣٢ .

(٣) السابق : ٣٧ .

(٤) انظر أدلته في سر الصناعة ص : ٣٢ . (٥) نحو القلوب الصغير : ١٨٤ .

(٦) الخصائص : ٣ / ١٣٥ تحقيق الأستاذ محمد النجار . دار الكتب المصرية .

وإذا كان نحائنا يرون أن الحركات أضعف من الحروف لأن الحركة في حقيقتها ناقصة لأنها لا تقوم بنفسها وهي محتاجة لكي توجد إلى حامل هو الحرف. ثم إن الحركات جزء من شيء آخر سابق عليها وهو الحرف التام الكامل ، وابن جنى يقرر ذلك حين يقول : « اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين ، وهي الألف والواو والياء فكما أن هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث : الفتحة والكسرة والضمة ، فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء والضمة بعض الواو ، وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة : الألف الصغيرة ، والكسرة : الياء الصغيرة والضمة : الواو الصغيرة وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة » (١) .

فنص ابن جنى يؤكد أن الحركات أبعاض لهذه الحروف ، وإذا كان كذلك فكيف تنقلب الفكرة عندهم رأسا على عقب حين يقررون أن أصل الإعراب أن يكون بالحركات كما قالوا أيضا بأن الحروف أقوى من الحركات وأصل لها ، وفي الإعراب نقضوا عهدهم أيضا حين قالوا بأن حروف المد فرع أو دواخل على الحركات وهي الضم والفتح والكسر . على أنه لا فرق بين الحركات وحروف المد إلا في الكمية من وجهة نظر الدرس اللغوي الحديث ، وعلماء العربية الأقدمون يذهبون إلى مثل ذلك أيضا ، حيث

يقرر ابن جنى ذلك فيقول : « ويدلك على أن الحركات أبعاض لهذه الحروف أنك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذي هو بعضه » (٢) فكأن الحركات حين تشبع تنشأ الحروف ، وكان على النحاة من خلال هذا الفهم أن يعتصموا بأن الإعراب لا يكون إلا بالحركات وحدها لا غير حتى لا يثيروا بلبلة واضطرابا وتناقضا في مسائل النحو كما سنرى ، لأنه ليس بين الإعراب بالحركات والحروف من فرق إلا في الكم ، أما في الكيف فهي هي : الحركات أصوات مد قصيرة والأحرف أصوات مد طويلة ، والواو التي زعموا أنها علامة رفع فرعية ليست إلا ضمة مشبعة ، والياء ليست إلا كسرة مشبعة ، والألف كذلك ليست إلا فتحة مشبعة ، فالفتحة من الألف والكسرة من الياء والضمة من الواو ، ولكن النحاة شقوا على أنفسهم وعلى غيرهم حين ذكروا علامات أخرى للإعراب سموها العلامات الفرعية ، وجعلوها نائبة عن العلامات الأصلية ، وسبقا بذلك حشد من آرائهم المتصارعة في الإعراب بالعلامات الفرعية . وعلى سبيل المثال فالأسماء الستة تراهم يختلفون في إعرابها إلى مذاهب قددا :

١ - أن الواو والألف والياء فيها حروف إعراب ، والإعراب مقدر فيها كما يقدر في الأسماء المقصورة . وهذا قول سيديويه .

(١) سر الصناعة : ١٩ ، وانظر : الأشباه والنظائر ١ / ١٧٢ للسيوطي . القاهرة .

(٢) سر الصناعة : ٢٠ .

٢- أنها معربة من مكانين بالحروف والحركات التي قبلها ، وهو رأى الكوفيين .

٣- أن هذه الحروف حروف الإعراب وعلامة فالواو بمنزلة الدال والضمة في نحو : قاتل الجند، والياء بمنزلة الدال والكسرة في نحو : أتيت على الجند والذي جعلهم يقولون بذلك : أن حروف العلة لو سقطت اختلفت معاني هذه الأسماء ، فهي كحروف الإعراب ، توجد بوجوده ، وتزول بزواله فهي كعلامته .

٤- وذهب بعض النحويين إلى أن هذه الأسماء إذا كانت في موضع رفع كان فيها نقل بلا قلب ، وإذا كانت في موضع نصب كان فيها قلب بلا نقل ، وإذا كانت في موضع جر كان نقل وقلب .

٥- وذهب بعضهم إلى أن الياء والواو والألف نشأت عن إشباع الحركات (١) وهذا الرأى قريب من رأى المحدثين اللغويين حيث يرون أن اختلاف وقوع النبر هو السبب في مثل هذه الحركات أو تقصيرها فلو قلت : (أخوك) كان النبر على المقطع الثانى (خو) أما (أخك) بدون مثل فالنبر على المقطع الأول (أ) .

ومثل هذا الخلاف يطالعنا في باب التثنية والجمع كذلك بين البصريين والكوفيين ، وبين أفراد كل فريق منهم ، فيذهب سيديويه إلى أن الألف والواو والياء هي حروف الإعراب ، وذهب أبو الحسن الأخفش ، وأبو العباس المبرد ومن تابعهما إلى أنها تدل على الإعراب وليست بإعراب ولا حروف إعراب ، وذهب أبو عمر الجرمي إلى أن انقلابها هو الإعراب وذهب قطرب والفراء والزياىدى إلى أنها هي الإعراب (٢) .

والذى ورط النحاة في قولهم : الإعراب بالحروف فرع عن الإعراب بالحركات التى هي أصول - ما يذهبون إليه دائماً من القول بالأصل والفرع في كل مشكلة تقابلهم ، ولهذا يعجج النحو العربى ، وتطالعك نظرية الأصول والفروع التى ترتبط بمنهج أصول الفقه في كل باب من أبوابه ومن ذلك :

١ - باب من غلبة الفروع على الأصول (٣) .

٢ - حمل الأصول على الفروع .

٣ - باب فى المستحيل وصحة قياس الفروع على فساد الأصول (٤) .

(١) أسرار العربية لابن الأنبارى ١ / ٤٤ فما بعدها ط د مشق ، واللمع لابن جنى : ١٠١ فما بعدها وانظر التحقيق للدكتور حسين شرف ط ١٩٧٨ والرضى على الكافية ١ / ٢٧ ، وشرح المقدمة النحوية لابن شاذ ٥٨ فما بعدها .

(٢) سيديويه ١ / ٤ ط بولاق ، وأسرار العربية : ٥١ ، واللمع لابن جنى : ١٠٣ وانظر المحقق ، وشرح المقدمة النحوية لابن شاذ : ٦٤ تحقيق د . أبو الفتوح شريف ط ١٩٧٨ .

(٣) الخصائص ١ / ٣٠٠ .

(٤) الخصائص ٣ / ٣٢٨ .

- ٤ - مراجعة أصل واستثناف فرع .
- ٥ - نقض الأصول وإنشاء أصول غيرها منها (١) .
- ٦ - مراجعة الأصل الأقرب دون الأبعد .
- ٧ - مراعاة الأصول تارة وإهمالها إياها أخرى . وقد تكثر الفروع وتطرد حتى تصير كالأصول فتشبه الأصول بها .
- ٨ - حط الفروع عن الأصول .
- ٩ - هجر الأصل حتى بعد النطق شذوذا .
- ١٠ - قد يكون للشيء أصلان (٢) والأصول لا تحتاج إلى علامات ، وإنما تحتاجها الفروع ، كما نرى هذه الأصول في جزئيات الفصول والأبواب النحوية مثل قولهم :
- ١ - لماذا كان (٣) الأصل في الخبر الأفراد؟ ومتى يأتي الخبر على خلاف الأصل؟
- ٢ - لماذا كانت إلا هي الأصل في الاستثناء؟
- ٣ - لماذا كان الأصل في الأفعال التصرف ، ولماذا كان الأصل في الأفعال الدلالة على الحدث والزمان؟
- ٤ - لماذا كان الفعل أصلاً للاسم في الصحة والإعلال؟
- ٥ - الأصل في الأسماء التذكير ، والتأنيث فرع عليه .
- ٦ - الحذف للجزم أصل للحذف للنصب .
- ٧ - الباء هي الأصل في حرف القسم .
- ٨ - الذكرة أصل والمعرفة فرع عليها .
- ٩ - وحسبنا أن نختم هذا بما يتصل بموضوعنا (الإعراب ومشكلاته) ونشير إلى قضيتين :
- أولاهما : قولهم : الأصل في الإعراب أن يكون بالحركات ، والإعراب بالحروف فرع عليها . وإنما كان الإعراب بالحركات هو الأصل لثلاثة أمور :
- الأمر الأول : أن الإعراب دال على معنى عارض في الكلمة ، فكانت علامته حركة عارضة في الكلمة لما بينهما من التناسب .
- والثاني : أن الحركة أخف من الحرف وأقل منه ، وهي كافية في الدلالة على الإعراب ، وإذا حصل الغرض بالأخف الأقل ، فلا يتكلف غيره ، ولذلك كثرت الحركات في بابها ، وقل غيرها مما أعرب به ، وقدر غيرها بها ، ولم تندر هي به (٤) .

(١) الخصائص : ٢٢٧/٣ .

(٢) الأشموني : ٢١٢/٤ .

(٣) ألاحظ اهتمام النحو التقليدي بالعلة : لماذا كان ؟ فلم يكن يلاحظ ويستقرىه ويفسر تفسيراً يقوم على المعقائق اللغوية ، بل كان نحرأ معيارياً صورياً لا يركز على الاستعمال اللغوي كما هو .

(٤) انظر شرح المفصل ١/٥١ .

والثالث : أن الحرف من جملة الصيغة الدالة على معنى الكلمة اللازم لها ، فلو جعل الحرف دليلاً على الإعراب ، لأدى الأمر إلى أن يدل الشيء الواحد على معنيين ، وفي ذلك اشتراك ، والأصل أن يخص كل معنى بدليل . وإنما أعرب المثني وجمع المذكر والأسماء الستة بالحروف لأمر اقتضاه ، فأعربوا المثني وجمع المذكر بالحروف للفرق بينهما وبين المفرد ، ولم يعكس الأمر ليكون الأصل للأصل والفرع للفرع ، فإن الحركات أصل للحروف ، والمفرد أصل للمثني والجمع (١) .

وثانيتها : قولهم : هل حركات الإعراب أصل لحركات البناء ، أو حركات البناء أصل لحركات الإعراب ، وقد اختلف النحاة في ذلك :

فذهب بعضهم إلى أن حركات الإعراب هي الأصل ، وأن حركات البناء فرع ، لأن الأصل في حركات الإعراب أن تكون للأسماء وهي الأصل ، فكانت أصلاً ، والأصل في حركات البناء أن تكون للأفعال والحروف وهي الفرع فكانت فرعاً .

وذهب آخرون إلى أن حركات البناء هي الأصل ، وحركات الإعراب فرع ، لأن حركات البناء لا تزول ولا تتغير ، وحركات الإعراب تزول وتتغير وما لا يتغير أولى أن يكون أصلاً مما يتغير (٢) .

ولا تعجب بعد ذلك أن تجد خلطاً بين كثير من النحويين في علامات كل من حركات الإعراب والبناء حيث أطلق بعضهم ألقاب الإعراب على ألقاب البناء والعكس (٣) .

والأعجب مما سبق أن البصريين والكوفيين عندما وضعوا أصولهم وفروعهم في النحو لم يلتزموا تلك الأصول والفروع عند التطبيق ، فقد ناقض كل فريق (أصله) (٤) وكان ذلك سبباً من أسباب التضارب والتناقض والتخالف والتشابك في مسائل العربية .

ونظرية الأصل والفرع وافدة على النحاة من أصول الفقهاء ، فقد تحدث الأحناف والشافعية عن الأصول والفروع ، واهتم بها أبو حنيفة ومدرسته ، ومعلوم أن تأثير الفقه وأصوله في النحو كان قوياً منذ العصور الأولى فقد كان النحاة ينظرون إلى الفقه وأصوله على أنه علم تابع من الفكر الإسلامي الخالص ، ولهذا رأينا كثيراً من النحاة

(١) انظر حواشي النحو المطولة ، والأشباه والنظائر ٢ - ٢٢ للسيوطي . ط القاهرة ، القواعد الكلية د . غريب نافع ، نشر : مكتبة الأزهر سنة ١٩٧٥

(٢) أسرار العربية لابن الأنباري : ٢٠ ط دمشق ، وانظر الأشباه والنظائر ١ - ١٥٩ القاهرة .

(٣) معاني الفراء ٢ / ٣٥ ، ٤٠ ، والمقتضب ٤ / ٨٣ .

(٤) الإنصاف مسألة : ٥ ، ٢٢ ، ٣٣ ، ٧٤ ، ٧٧ ، ٨٥ .

والتأخير ، وغيره من القرائن التي تظهر
من سياق الكلمات السابقة واللاحقة .^١

وفكرة الاعتماد على القرائن في فهم التعليق
النحوي ينفي عن النحو : كل تفسير ظني
أو منطقي ، كما ينفي أصالة بعض الكلمات
في العمل وفرعية الأخرى^(٢) كما أن مسائل
الأصل والفرع بالصورة التي تخلت جزئيات
ومسائل النحو العربي مرفوضة لأن اللغة لها
خصائصها وسماتها التي تختلف عن خصائص
وسمات القياس المنطقي الحدلي الذي تأثر به
النحاة ، وقضية (الأصالة والفرعية)
لا ترتبط بمقاييس ثابتة عند علماء النحو
العربي ، ومن هنا اضطربت الآراء والمشارب
فما يعتبره نفر منهم أصلاً يعتبره الآخرون
فرعاً لهذا الأصل . ونظرية الأصل والفرع
ترتبط أولاً وأخيراً بالقياس الذي فرض
سلطانه على النحو ونرجح أن تعتمد القضايا
النحوية على الاستقراء . ولهذا أرى إلغاء
فكرة نيابة الحروف عن الحركات لبنائها
على الأصالة والفرعية ، ويكون إعراب
الأسماء الستة بالحركات الثلاث مع مدها ،
أما جمع المذكر فالضمة فيه علم الرفع وعلم
الإسناد والواو لإشباع ، والكسرة علم الحر
والإضافة والياء لإشباع . وأغفل الفتح لأنه
ليس بإعراب ، فلم يقصد إلى أن يجعل له

يتأثرون بالفقهاء ويشاركونهم من أمثال :
أبو عمر الجرمي ، والفراء ، والسيرافي ، حتى
إن الجرمي والسيرافي كانا يقعدان للفتيا ،
والخليل بن أحمد النحوي يصرح في أمكنة
كثيرة باقتباسه نصوصاً فقهية لأبي حنيفة
يؤكد بها مسائل في النحو والعربية^(٣) ، ومحمد
ابن الحسن ألف كتاباً في الإيمان ضمنه مسائل
فقهية مبنية على أصول النحو والعربية ،
وابن جني في الخصائص يتأثر في مسأله
النحوية بالفقهاء وعلماء الأصول^(٤) . وكذلك
كتب ابن الأنباري كالإنصاف ولمع الأدلة ،
وتأليف السيوطي كالمجمع والاقتراح والأشباه
والنظائر ، فهي مبنية على أشباهها من كتب
الفقهاء ، ونرى أن يكون منهج النحو نابعا
من اللغة ويعود على اللغة دون السماح لأي
فكر آخر غير لغوي أن يتدخل .

والدراسات النحوية الحديثة لا تعترف

بفكرة الأصل والفرع كما فسرها النحاة إذ
أنها ترى أن فهم اللغة يخضع للشكل والوظيفة
ففي العربية كثير من الوظائف كوظيفة الفاعل
والمفعول والمبتدأ وكل وظيفة تتخذ لها طريقة
شكلية تعبر عنها ، فشكل الفعل مع الفاعل
يختلف شكله مع نائب الفاعل ، وهذا الشكل
لا يقتصر على الحركات الإعرابية بل يتسع
ليشمل الترتيب بين الكلمات مثل : التقديم

(١) كتاب العين : ٢٨٥ تحقيق الدكتور عبد الله درويش .

(٢) الخصائص : ١ / ١٦٣ فا بعدها ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ .

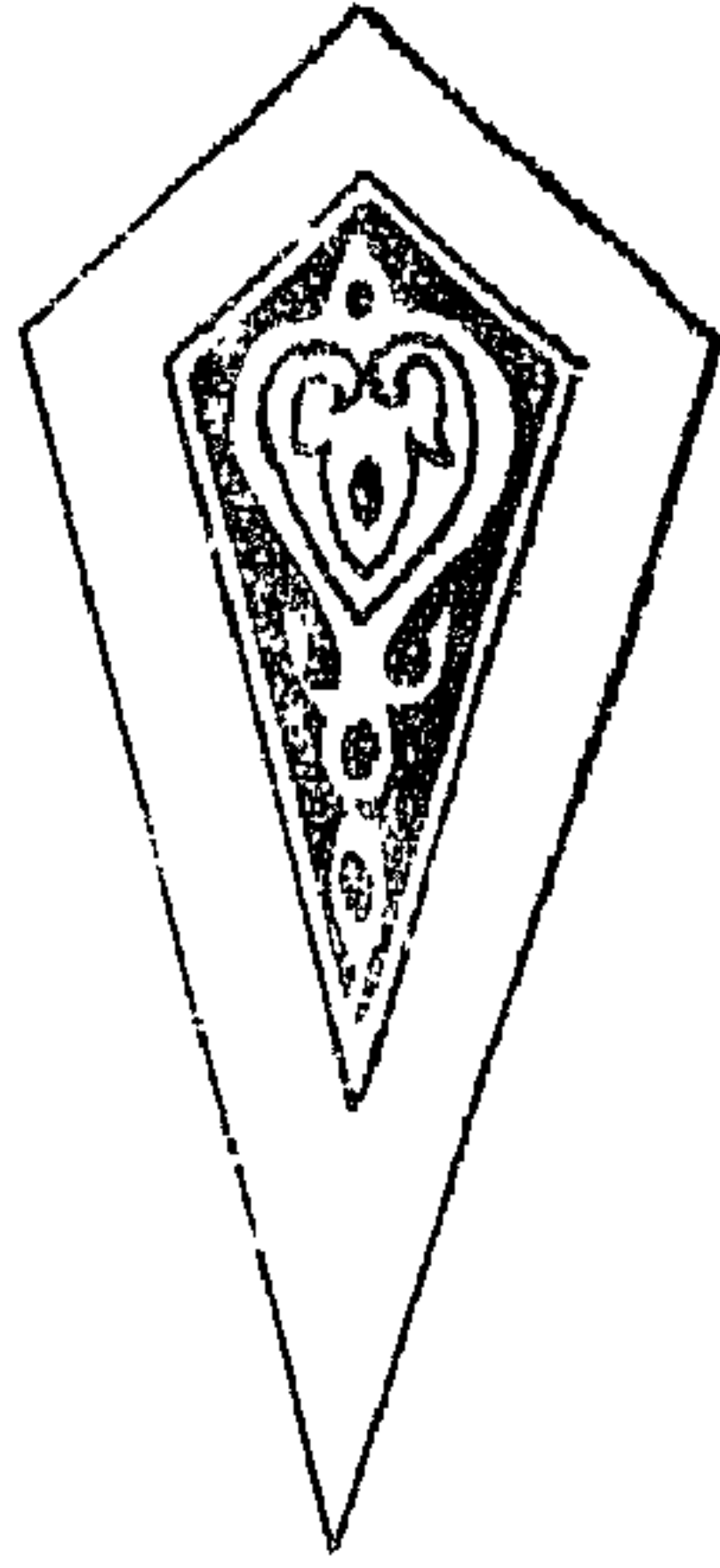
(٣) اللغة العربية معناها ومبتاها للدكتور تمام حسان ص ٢٣٣ .

المعنى فتركت الكلمة وهي مسند إليها -
بلا علامة تدل على الإسناد ، فاذا أريد أن
يكون مضافا إليه استعين بالياء - وهي جزء
من الكسرة ، ومطولة لها ، وأبقيت الفتحة
الدالة على ألف الاثنين قبلها ، وتحقق
في الصيغة إذن : دلالتها على التثنية ، ودالتها
على الإضافة .

أحمد علم الدين الجندى

علامة خاصة ، لأنه إذا أريد إلى أن يجعل
نصبا وأتى له بالفتحة اشتبه بالثنى ، ولهذا
أغفل الفتح فيه ، وجعلت الصيغة المستعملة
في الإضافة هي صيغة المنصوب^(١) أما المثنى
فالألف فيه ليست علامة للرفع ؛ لأن الضمة
وحدها هي علم الرفع ، أما الألف فهي
للتثنية لا غير ، وإذا أريد رفعه بالضمة
فيجب أن تزول الألف ، وبزوالها يزول

(لأبحاث بقية)



(١) إحياء النحو : ١١١ ط ١٩٥١ .

(٢) انظر : في النحو العربي ٥٩٠ . مهدي الخزومي . ط . أولى . بيروت .

الإبدال الصوتي في الكلمات العربية المقترضة في لغة البربر لدكتور مصطفى مجازي السيد مجازي

بدخول الإسلام هذه البلاد ، كما استقر عدد كبير من العرب والبربر المسلمين بتلك الجهات واختلطوا بالسكان الأصليين وتزاوجوا معهم .

ولما كانت اللغة العربية هي لغة الدين الإسلامي ، وكان على كل مسلم أن يحفظ قدراً من القرآن الكريم والحديث الشريف ، بدأت اللغة العربية تنتشر بين الوطنيين في غرب أفريقيا ، وكانت هذه الامبراطوريات في قمة مجدها تتخذ الدين الإسلامي عقيدة ، واللغة العربية أدواتها في الإدارة والثقافة والتجارة ، بل أنها أصبحت لغة التفاهم في كل غرب أفريقيا .

وقد ساعد على انتشار اللغة العربية كثرة المدارس التي تعلم الدين الإسلامي وأحكام الشريعة الإسلامية في كثير من المناطق الإسلامية ، وبانتشارها أخذ كثير من اللغات المحلية يقترض منها كثيراً من الكلمات ، ولا سيما

في غرب أفريقيا في
العصور الوسطى عدد

قام

من الامبراطوريات القهّمية ؛ إقامها الوطنيون الأفريقيون ، وقامت علاقات — مختلفة بين هذه الامبراطوريات وبين البلاد لمحاورة في الشمال والشرق ، وساعد على ذلك وجود بعض الطرق الصحراوية التي تربط ما في غرب الصحراء الكبرى وجنوبها بما في شمالها وشرقها ، والدليل على ذلك وجود الأثر الشرقي عامة والمصري بصفة خاصة ، بارزاً في حضارات هذه البلاد ، وأن هناك صناعات ونباتات وحيوانات مستأنسة قد نقلت من وادي النيل إلى غرب أفريقيا (١) .

وباعتناق معظم سكان غرب أفريقيا — للإسلام قامت علاقات أكثر قوة وتنوعاً بين هذه الامبراطوريات وبين البلاد الإسلامية ، وهي وإن كانت قديمة . . إلا أنها قويت

(١) د . إبراهيم علي طرخان ، دولة مالي الإسلامية ، ص ٦ ، القاهرة ١٩٧٣

أن بعض هذه اللغات كان يكتب بالرموز العربية كلغة الهوسا ولغة الغولاني ،

وقد تناول موضوع الكلمات العربية المقترضة في لغة الهوسا عالمان كبيران، الأول هو H.Greenberg (١) Joseph والثاني هو Hiskett (٢) ، وقد قسم جرينبرج في بحثه الكلمات المقترضة إلى مجموعتين متميزتين طبقاً لما يحدث لأصول هذه الكلمات من ظواهر صوتية ، وتمثل هاتان المجموعتان في مصادر الاقتراض المختلفة من حيث الفصحى والعامية ، واختلاف تاريخ اقتراض الكلمات وموضوعها .

والجموعة الأولى التي يشير إليها في بحثه برقم (١) تقوم على أساس الكلمات العامية المنطوقة ويبدو الاختلاف الكبير في معالجتها صوتياً . ويبدو أن مصدر كثير من هذه الكلمات كان المغرب العربي ومصر والسودان بصفة عامة ، كما يتضح من بعض الأمثلة - التي أوردها - وهذا الاستنتاج - في رأي جرينبرج - يعززه شاهد ثقافي آخر يشير إلى سيادة نفوذ شمال أفريقيا خلال الفترة التي كان الإسلام يبسط فيها نفوذه على بلاد

الهوسا ، ويضرب مثلاً على ذلك بسيادة مذهب الإمام مالك في غرب أفريقيا ، وكذلك استعمال الخط المغربي في الكتابة .

وهو يذكر أن الكلمات المقترضة في المجموعة رقم (١) دخلت اللغة مبكراً عن الكلمات الواردة في المجموعة رقم (٢) - وتتضمن المجموعة الأولى كثيراً من مصطلحات الحياة اليومية والتجارية ومظاهر الدين الإسلامي ، وهي تتفق مع الفترة التاريخية التي اعتنق الهوسا خلالها الإسلام والعناصر الثقافية المصاحبة له والتي دخلت إلى هذه البلاد نتيجة للاحتكاك بالمتكلمين باللغة العربية قبل أن تكون صبغة المثقفين المحليين .

أما كلمات المجموعة رقم (٢) فتبدو فيها معالجة أصوات الكلمات العربية المقترضة - بطريقة أكثر دقة تتفق مع النطق الحالي للغة العربية كما ينطقها طبقة المتعلمين من أبناء الهوسا ، وهذه المجموعة الحديثة من الكلمات تشتمل على أسماء الأشخاص المستمدة من القرآن الكريم ومصطلحات العلوم النظرية التي جاءت إلى الهوسا من خلال مصادر الأدب العربي والنحو والتنجيم . . . الخ .

(1) Joseph. H. Greenberg, Arabic Loan words in Hausa ; Word vol. 3 Nos 1 and 2 New york 1947.

(٢) يتبع Hiskett المنهج التاريخي في تحديد دخول الكلمات العربية في لغة الهوسا فيردا إلى ما بين سنة ١٣٤٩ م ، ١٣٨٥ م وهو يرى أن أول ما دخل الهوسا من كلمات عربية هي مصطلحات الدين والفروسية وذلك قبل منتصف القرن ١٤ الميلادي انظر Hiskett

ويُفرق بين العامية والفصحى على أساس استعمال أداة التعريف / ال / فهو يذكر أنها تقتض مع الاسم عادة وهذا يحدث في - المجموعتين إلا أنه في المجموعة الثانية تأتي على هذه الصورة / ال / بينما تحذف همزة الوصل في المجموعة الأولى وتبقى إحدى هذه الصور / ال / أو / ال / أو / ال / وهو يستدل بذلك على التأثير الثقافي الوارد من المغرب العربي (١) .

والواقع أن ثمة قصوراً في اعتماد جرينبرج على أداة التعريف فقط في التفريق بين العامية والفصحى ، فهذه الأداة لا تأتي إلا مع عدد محدود جداً من الكلمات فيلحساء الأسماء التي وردت فيها أداة التعريف في معجم Abraham (٢) انضح ما يلي :

عدد الكلمات التي جاءت فيها / ال / القمرية ٦٨ كلمة ٥

عدد الكلمات التي جاءت فيها / ال / الشمسية ٢٣ كلمة ٥

عدد الكلمات التي جاءت فيها / ال / ١٠ كلمات ٥

عدد الكلمات التي جاءت فيها / ال / ١٠ كلمات ٥

ومعنى هذا أنه لا يمكن الاعتماد على أداة التعريف / ال / معياراً للتفريق بين الكلمات

العامية والفصحى إلقلة عدد الكلمات التي وردت فيها ، وقد يمكن في هذا الصدد أن يستعين الباحث إلى جانب هذه الأداة بظاهرة حذف تاء التانيث من نهاية الكلمة العربية حيث إن هذه الظاهرة لا تحدث إلا في العامية .

كما أن ظاهرة استعمال أداة التعريف لا يدل بالضرورة على سيادة التأثير الثقافي الوارد من المغرب العربي فهذه الظاهرة شائعة في صعيد مصر ، ولهجة البدو في إقليم ساحل مريوط (٣) :

أوفوق إهدا إفاين إجرينبرج لا يأتي أبأكثر من مثال للظاهرة الواحدة إلا في حالات قليلة : رغم وفرة الأمثلة التي تدل على كل حالة ، كما أخطأ في كتابة بعض الكلمات العربية بالرغم من قلة الأمثلة - كما إذكرت - فكلمة « سرج » إمثلا إكتها بكسر السين بدلا من إفتحها ، وكلمة « تسبيح » كتها إبالصاد بدلا من السين ، وكلمة « ثلاثاء » كتها بفتح الثاء بدلا من ضمها .

كما لم يستطع التفريق بين كلمة « نفس » بفتح النون والفاء بمعنى breath أو « نفس » بفتح النون وحذف حركة الفاء بمعنى Soul وذلك عند ذكر المقابل العربي لكلمة / ن م ف ا ش / وهو النفس بمعنى breath وليس النفس بمعنى Soul ٥

(1) Greenberg P. 85

(2) Abraham. Dictionarg of The Hausa Language University of London press, 1973

(٣) انظر د . عبد العزيز مطر ، لهجة البدو في إقليم ساحل مريوط ص ١٢ ، ١٨ ، القاهرة سنة ١٩٦٧

ولم يفرق في بحثه بين الظواهر المطردة وغير المطردة ، فهو يذكر ظواهر لا تحدث إلا في كلمة واحدة مثل إبدال /ظ/ < /د/ أي كلمة /دَاهِرٌ رٌ/ وإبدال /غ/ < /ه/ أي كلمة /هَرِيٌّ/ بمعنى غارة ، وإبدال /أ/ < /و/ في كلمة /وَلٌ لَفٌ/ وكان الأفضل أن يقتصر على الظواهر المطردة ويستشهد بكثير من الأمثلة توضيح موقع الصوت في المواقع المختلفة من الكلمة .

وكذلك لم يتناول الأمثلة بالتحليل يظهر جميع الظواهر اللغوية التي تحدث في الكلمة المقترضة ، كظاهرة إبدال أصوات الحركة والأصوات الساكنة أو حذفها أو إضافتها ؛

كما أنه لم يتناول المصدر الذي اشتقت منه الكلمات المقترضة سواء كان هذا المصدر فعلاً أو اسماً أو أداة ، ولم يوضح مدى تقبل الكلمات المقترضة للوحدات الصرفية المستعملة في لغة الهوسا . . .

وأخيراً لم يذكر النتيجة التي استخلصها من البحث الذي قام به . لذلك رأيت أن أتناول موضوع الكلمات العربية المقترضة في لغة الهوسا لأكمل الظواهر التي لم يكمل جرينبرج بحثها ، وأبحث الظواهر الأخرى التي تحدث مثل ظاهرة الحذف والإضافة في أصوات الحركة والأصوات الساكنة مقتصراً على

الظواهر المطردة ، مع ذكر الأمثلة المناسبة في حالة تعدد المواقع التي يرد فيها الصوت في الكلمة . مع تحليل كل مثال لإبراز ما يحدث من تغير صوتي مبتدئاً بالأصوات الشفوية ومنتهياً بالحنجرية . وذكر صفات ومخرج الأصوات وإبراز أوجه الاختلاف أو الاتفاق بين الصوت الأصلي وبديله . . . وذكر الأمثلة بغض النظر عن الحركة النهائية للكلمة العربية المعربة ، وإنهاء البحث بالنتائج التي توصلت إليها في هذا البحث . ولهذا كله - ومع وفرة المادة المعجمية - تتضح ضرورة البحث الدقيق للجوانب المختلفة لقضية الاقتراض اللغوي من العربية إلى لغة الهوسا أو حسبنا هنا بحث جانب من هذه الجوانب .

إن الإقتراض اللغوي ليس انتقالاً مباشراً لكلمة من لغة إلى لغة أخرى فالوحدات الصوتية تختلف من لغة إلى أخرى ، وهناك أصوات توجد في لغات ولا توجد في أخرى . كما يختلف النظام المقطعي ونظام بناء الكلمة على نحو يجعل انتقال الكلمة من لغة إلى أخرى مؤدياً إلى حدوث تغيرات في بنية اللغة التي دخلتها الكلمة (١) .

ولما كانت اللغة العربية تختلف عن لغة الهوسا في ظاهرة هامة من الظواهر الصوتية . وهي ظاهرة الإطباق حيث توجد في الأولى ،

(١) د . محمود فهمي حجازي ، اللغة العربية عبر القرون ، ص ٧٨ ، القاهرة ١٩٧٨

وتنعدم في الثانية ، وأن أشق الأصوات هي المطبقة والاحتكاكية بوجه عام^(١) أدركنا مدى الصعوبة التي يواجهها المتكلمون بلغة الهوسا عندما ينطقون كلمة عربية بها صوت من أصوات الأطباق .

وتمشياً مع نظرية السهولة التي ترى أن الإنسان في نطق لأصوات اللغة يميل إلى الإقتصاد في المجهود العضلي ، وتلمس أسهل السبل مع الوصول إلى ما يهدف إليه من إبراز المعاني وإيصالها إلى المتحدثين معه ، فهو لهذا يميل إلى استبدال السهل من أصوات اللغة بالصعب الشاق الذي يحتاج إلى مجهود عضلي^(٢) ، لذلك لجأ المتكلمون بلغة الهوسا إلى استبدال الأصوات التي يصعب نطقها بأصوات أخرى مستعملة في لغتهم .

ويحدث هذا الإبدال بغض النظر عما يجاور الصوت من أصوات ، أي سواء وقع الصوت بين حركتين أو بين صوت ساكن وحركة ، ويحدث هذا كثيراً في اللهجات العامية العربية كإبدال صوت القاف من الهمزة أو الجيم القاهرية في مثل قولنا « آل »

أو « جال » بدلا من قال ، وفي قول أهل الصعيد في جنوب جمهورية مصر العربية « دلال » بدلا من « جلال » .

كما حدث هذا أيضاً في لهجات العرب السابقين ، وقد جمع العلامة أحمد تيمور باشا في كتابه « لهجات العرب » الكثير من هذه الظواهر كإبدال الجيم من الياء فيما يعرف بالعجعة ، وإبدال العين من الهمزة فيما يعرف بالنعنة ، وإبدال الشين من كاف الخطاب فيما يعرف بالكشكشة وغير ذلك من الظواهر الكثيرة التي ضربها^(٣) .

والإبدال بهذا المعنى يختلف عما يعرف بظاهرة « التغير الصوتي » والتي تشمل ظاهرتي المماثلة Assimilation والمخالفة Dissimilation . فالمماثلة هي تأثير الأصوات المتجاورة بعضها ببعض تأثيراً يؤدي إلى التقارب في الصفة أو المخرج تحقيقاً للانسجام الصوتي وتيسيراً لعملية النطق^(٤) ، والمخالفة هي أن الكلمة قد تشمل على صوتين متماثلين كل المماثلة فيقلب أحدهما إلى صوت آخر التتم المخالفة بين الصوتين المتماثلين^(٥) .

(١) د. إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص ٢١٣ ، القاهرة ١٩٧٥

(٢) د. إبراهيم أنيس ، ص ٢٣٥

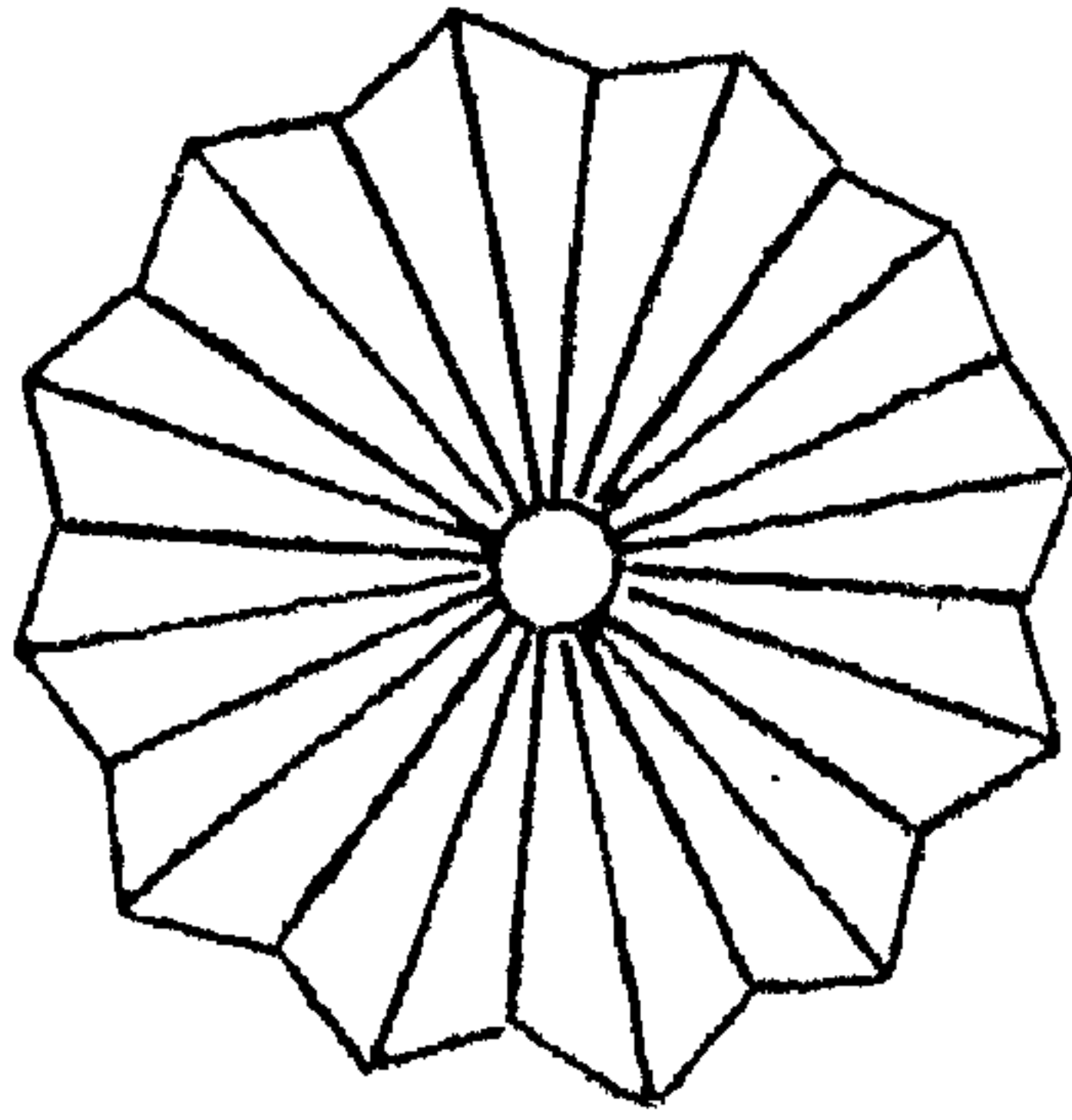
(٣) أحمد تيمور باشا . لهجات العرب . ص ٣ ، ٤ ، ٥ ، القاهرة ١٩٧٣

(٤) د. عبد العزيز مطر ، لحن العامة ، ص ٢٠٥ ، القاهرة سنة ١٩٦٦

(٥) د. إبراهيم أنيس ، ص ٢١٠ .

هذه الكتب ما ألفه الحاج أبوبكر إمام ،
والحاج أبوبكر تفاعوا ، ونوح بامللي ،
ووالى كتسينا الحاج بللو ، وأحمدو أنجوا
وكل هؤلاء من كبار الأدباء فى لغة الهوسا ،
وتعتبر كتاباتهم قمة الأدب ، إلى جانب
ماجمعتهم من معجم إبراهيم الذى بلغ ٩٩٢
صفحة (١) .

وتحدث ظاهرة الإبدال الصوتى كثيراً
فى الكلمات العربية المقترضة فى لغة الهوسا ،
وقد استطعت أثناء قراءتى لكثير من أدب
الهوسا أن أجمع عدداً كبيراً من الكلمات
العربية التى صادفتنى فى عشرين كتاباً بلغ
عدد صفحاتها ١٨٥٣ صفحة ، وكان من أهم



(١) انظر مصادر المادة العلمية فى نهاية البحث .

ملحوظة : يطيب لى فى مقدمة هذا البحث أن اتقدم بالشكر إلى الأستاذ الدكتور محمود فهمى حجازى ، أستاذ
اللغويات بكلية الآداب جامعة القاهرة لمراجعته الدقيقة لهذا البحث منهجياً .

واتقدم بالشكر كذلك إلى الأستاذ مختار عبد الرحمن أستاذ الدراسات العربية والإسلامية بجامعة أحمدو بللو بنيجيريا ،
لمراجعته لمادة هذا البحث مراجعة دقيقة .

أولاً : ابدال الأصوات الساكنة

ظواهر مطردة :

١ - الأصوات الشفوية والشفوية الأسنانية:

(١) الباء < فاء (*) :

الباء صوت شفوي انفجاري مجهور ،
يتكون بمرور الهواء أولاً من الحنجرة ،
فيتحرك الوتران الصوتيان ، ثم يتخذ مجراه
بالحلق ثم الفم حتى ينحبس عند الشفتين ،
فاذا انفرجت الشفتان فجأة سمع صوت
الانفجار الذي يعرف بصوت الباء (١) :

معه الوتران الصوتيان ، ثم يتخذ الهواء مجراه
في الحلق والفم حتى يصل إلى مخرج الصوت ،
وهو بين الشفة السفلى وأطراف الشايات العليا ،
فنسمع نوعاً من الخفيف وهو الذي يميز
صوت الفاء الاحتكاكي المهموس (٢) .

وبذلك يكون الصوتان متقاربين في
المخرج مختلفين في الصفة حيث يكون صوت
الباء صوتاً انفجارياً مجهوراً بينما صوت الفاء
احتكاكياً مهموساً .

وقد تحولت بعض الكلمات العربية
المقرضة في لغة الهوسا على النحو الموضح
في الجدول والتحليل :

أما صوت الفاء فهو صوت شفوي أسناني
احتكاكي مهموس ، يتكون باندفاع الهواء
من الرئتين ماراً بالحنجرة دون أن يتذبذب

الإبدال		الرمز	الأمثلة	
في المخرج	في الصفات		الكلمة العربية	الكلمة بالهوسا
=	إنفجاري < إحتكاكي مجهور < مهموس	ب < ف	/ آ ل ج ي ب / / ا ح ز ب / / ا ر ك ا ب / / ك س ب / / م ص ي ب ة /	/ آ ل ج ي ف ا و / / ا ز ف ي / / ا ل ك ا ف / / ك س ف ي / / م س ي ف ا /

(*) بخصوص هذه الظاهر . انظر د - أحمد علم الدين الجندي ، اللهجات العربية في التراث ، ص ٣٢٣ .
(١) انظر د . إبراهيم أنيس ، ص ٤٥ ، د . محمود السمران ، علم اللغة العام ، ص ١٦٧ القاهرة ١٩٦٢ ،
د . كمال بشر ، علم اللغة العام ، ص ١٢٨ القاهرة ١٩٧١ ،
(٢) انظر د . أنيس ، ص ٤٦ ، د . السمران ، ص ١٩٠ . د . كمال بشر ، ص ١٥١
ملحوظة : علامة = تدل على أن الصوتين متفقان في المخرج أو الصفة .

التحليل :

/ أ ل ج ي ب / < / أ ل ج ي ف و /
 بابدال صوت الجيم القاهرية بالجيم المعطشة ،
 وحركة الفتحة القصيرة بالكسرة الطويلة ،
 وصوت الباء بالفاء وإنهاء الكلمة بحركة
 الضمة الطويلة .

و / ح ز ب / < / إ ز ف ي / بابدال
 صوت الحاء بالهمزة وإضافة حركة الضمة
 القصيرة بعد صوت الزاي ، وإبدال الباء
 بالفاء وإنهاء الكلمة بحركة الكسرة الطويلة .

و / ر ك اب / < / ل ك ء اف / بابدال
 صوت الراء باللام وتضعيف صوت الكاف ،
 وإبدال صوت الباء بالفاء ، وإنهاء الكلمة
 بحركة الفتحة القصيرة .

و / ك س ب / < / ل ك س ف ي /
 بإضافة حركة الفتحة القصيرة بعد صوت
 السين ، وإبدال صوت الباء بالفاء وإنهاء
 الكلمة بحركة الكسرة الطويلة .

و / م ص ي بة / < / م س ي فة /
 بابدال صوت الصاد بالسين ، والباء بالفاء
 وحذف صوت تاء التأنيث من نهاية الكلمة
 الكلمة العربية وإبدال حركة الضمة القصيرة
 بعد الميم بالفتحة القصيرة .

(ب) الميم < نون(*) :

الميم صوت شفوي أنفي مجهور ويتكون
 بمرور الهواء بالحنجرة أولا فيتذبذب الوتران
 الصوتيان ، فاذا وصل مجراه إلى الفم هبط
 أقصى الحنك ، فسد مجراه الفم فيتخذ
 الهواء مجراه في التجويف الأنفي محدثا
 في مروره نوعا من الخفيف لا يكاد يسمع
 وفي أثناء تسرب الهواء من التجويف الأنفي
 تنطبق الشفتان تمام الانطباق (١) .

أما صوت النون فهو صوت أسناني
 لثوي أنفي مجهور ، يتكون باندفاع الهواء
 من الرئتين فيحرك الصوتين ثم يتخذ
 مجراه في الحلق أولا حتى إذا وصل إلى
 الحلق هبط أقصى الحنك الأعلى فيسد
 بهبوطه فتحة الفم ، ويتسرب الهواء من
 التجويف الأنفي محدثا نوعا من الخفيف
 لا يكاد يسمع بينما يرتفع طرف اللسان .
 فيلتقي بأصول الثنايا العليا (٢) .

وبذلك يتقارب الصوتان في المخرج
 إلى حد ما ، حيث يكون صوت الميم أنفيا
 شفويا والنون أنفيا لثويا ، ويتفقان في الصفة
 فكلاهما مجهور .

(١) انظر د . أنيس ، ص ٤٥ ، د . السمران ، ص ١٥٨

(٢) انظر د . أنيس ، ص ٦٦ ، د . السمران ، ص ١٨٥ ، د . كمال بشر ، ص ١٦٨ .

(*) بخصوص هذه الظاهرة انظر د . عبدالعزيز مطر ، ص ١٨٨ ، د . عيد المنعم سيد عيد المال القاهرة سنة ١٩٦٨
 لهجة شمال المغرب ، ص ٨٢ ، د . أحمد علم الدين الجندى ، اللهجات العربية في التراث ، ص ٣٤١ وأبي يوسف يعقوب
 ابن السكيت ، كتاب الإبدال ، ص ٧٧ ، القاهرة ١٩٧٨

الأمثلة		الرمز	الإبدال	
الكلمة بالهوسا	الكلمة العربية		في الصفحات	في المخرج
/لِ ي مَ ن°/	/أَلْ إِمَام°/	م < ن	=	أنفى شفوى < أنفى لثوى
/هُ كُنْ ت°/	/حُ كُ م°/			
/زَالُ نْ ت°/	/ظَلْ م°/			

التحليل :

الفتحة القصيرة بالضممة القصيرة ، والميم بالنون وإضافة صوت التاء بعدها ، وإنهاء الكلمة بحركة الفتحة القصيرة .

٢ - أصوات تخرج مما بين الأسنان :

(١) الظاء < زاي(*) :

الظاء صوت مجهور احتكاكي مطبق يخرج مما بين الأسنان ، ويتكون باندفاع الهواء مارا بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتين ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى مخرج الصوت وهو بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا ، حيث يضيق هذا المجرى فنسمع نوعا من الحفيف . وعند النطق بالظاء ينطبق اللسان على الحنك الأعلى آخذا شكلا مقعرا ولذلك اعتبره القدماء أحد أصوات الأطباق^(١) .

/أَلْ إِمَام°/ < /لِ ي مَ ن°/ بحذف همزة الوصل وإضافة حركة الكسرة الطويلة بعد صوت اللام . وحذف الهمزة الثانية - وهى من بنية الكلمة العربية ، وتقصير حركة الفتحة الطويلة بعد صوت الميم الأولى ، وإبدال صوت الميم الثانية بالنون ويلاحظ إدخال / ل / ضمن بنية الكلمة .

و / حُ كُ م° / < / هُ كُنْ ت° / بإبدال صوت الحاء بالهاء وإضافة حركة الضمة القصيرة بعد الكاف ، وإبدال صوت الميم بالنون وإضافة صوت التاء بعدها وإنهاء الكلمة بحركة الفتحة الطويلة .

و / ظَلْ م° / < / زَالُ نْ ت° / بإبدال صوت الظاء بالزاي وإطالة حركة الفتحة القصيرة بعدها ، وإبدال حركة

(*) هذه الظاهرة لا تنطبق على كلمة - ظَاهِر - - دَاهِر - التي يبدو أنها دخلت لغة الهوسا عن طريق لغة وسيطة ، أو إحدى اللهجات التي حدث فيها تغير صوتي جعل هذه الكلمة لا تنمى على النسق المعهود في الكلمات العربية المستخدمة في لغة الهوسا .

(١) انظر د. أنيس ، ص ٤٧ ، د. السمران ، ص ١٩١ ، د. كمال بشر ، ص ١٥٣

السفلى أو العليا . وصوت الزاى هو النظير
المجهور لصوت السين
وبذلك يختلف صوت الظاء مع الزاى
فى المخرج حيث يكون الأول أسنانيا و
الثانى لثويا ، ويتفقان فى صفة الحهر
ومختلفان فى صفة الأطباق حيث يكون الأول
مطبقا والثانى غير مطبق .

أما صوت الزاى فهو لثوى إحتكاكى
مجهور ويتكون باندفاع الهواء من الرئتين
مارا بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين
ثم يتخذ مجراه فى الحلق والفم حتى يصل
إلى المخرج وهو التقاء أول اللسان (مشتركا
مع طرف عند بعض الأفراد) بالثنايا

الإبدال		الرمز	الأمثلة	
فى المخرج	فى الصفات		الكلمة العربية	الكلمة بالهوسا
أسناني < لثوى	مطبق < غير مطبق	ظ < ز	/أظ-ظ-ال-م /	/ز-ز-ال-م-رى /
			/ب-ب-و-ظ-ة /	/ب-ب-ز /
			/ظ-ل-م- /	/ز-ال-ن-ت- /
			/ع-ظ-ظ-م- /	/أ-ز-م- /

تحليل :

وحذف تاء التأنيث من نهاية الكلمة .
و /ظ-ل-م- / < /ز-ال-ن-ت- /
بإبدال صوت الظاء بالزاى ، وحركة
الفتحة القصيرة بعد القصيرة وإبدال
صوت الميم بالنون وإضافة صوت التاء
بعد النون وإنهاء الكلمة بحركة الفتحة .

و /ع-ظ-ظ-م- / < /أ-ز-م- /
بإبدال صوت العين بالهمزة والظاء بالزاى
وإنهاء الكلمة بحركة الفتحة القصيرة .

/أظ-ظ-ال-م- / < /ظ-ظ-ال-م-رى /
بإبدال صوت الظاء بالزاى ، وتقصير حركة
الفتحة الطويلة بعد الظاء ، وإبدال حركة
الكسرة القصيرة بعد اللام بالضمة القصيرة
وإنهاء بحركة الكسرة الطويلة .

و /ب-ب-و-ظ-ة / < /ب-ب-ز / (١)
بتقصير حركة الضمة الطويلة ، بعد صوت
الباء ، وإبدال صوت الظاء بالزاى ،

(١) انظر د. أنيس ، ص ٧٦ ، د. كمال بشر ، ص ١٥٣

(٢) مشروب يعرفه بعض أبناء الشعب السودانى والمصرى .

(ب) الذال < زاي (*) :

الذال صوت أسناني إحتكاكي مجهور يتكون باندفاع الهواء بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين ، ثم يتخذ الهواء مجراه في الحلق والقم حتى يصل إلى مخرج الصوت وهو بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا حيث يضيق المجرى الهوائي فيسمع نوع قوى من الخفيف (١) أما صوت الزاي فقد سبق وصفه .

ويختلف الصوتان في المخرج حيث يكون مخرج الذال أسنانيا بينما الزاي لثويا ويتفقان في الصفة فكلاهما صوت إحتكاكي مجهور .
وهذه الظاهرة لا تنطبق على كلمتي /إِذْنٌ/ < /إِدْنٌ/ و /أَذَى/ < /أَذَى/ /إِدَانٍ/ < /أِدَانٍ/ حيث يبدو أن صوت الذال تحول إلى دال بسبب إسقاط اللفظة عند الكتابة بالخط العربي .

الأمثلة		الرمز	الإبدال	
الكلمة بالهوسا	الكلمة العربية		في الصفات	في المخرج
/هَازِقِي/	/حَازِقِي/	ذ < ز	=	أسناني < لثوي
/زِرَاعِي/	/ذِرَاعِي/			
/زُرِي/	/ذُرِي/			
/زَكْرِي/	/ذَكْرِي/			
/زِلْ/	/ذِلْ/			
/أَذَابِي/	/أَذَابِي/			
/هَازِي/	/هَازِي/			

التحليل :

الذال بالزاي والعين بالهمزة وإنهاء الكلمة بحركة الكسرة القصيرة .

/حَازِقِي/ < /هَازِقِي/ بإبدال صوت الحاء بالهاء والذال بالزاي وإنهاء الكلمة بحركة الكسرة الطويلة .

/ذُرِي/ < /زُرِي/ بإبدال صوت الذال بالزاي وحذف صوت الراء والياء لتتلاءم بنية الكلمة المستعارة مع بنية

/ذِرَاعِي/ < /زِرَاعِي/ بإبدال صوت

(*) بخصوص هذه الظاهرة انظر د . عيد العزيز مطر ، ص ١٨٩ ، د . عبد المنعم سيد عبدالعال ، ص ٧٨ ، ٦٩

(١) د . أنيس ، ص ٤٧ ، د . كمال بشرى ، ص ١٥٢ .

الحلق والقم حتى يصل إلى مخرج الصوت وهو بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا ، حيث يضيق هذا المجرى فنسمع نوعا قويا من الخفيف (١) .

أما صوت التاء فهو صوت أسناني لثوي انفجار مهموس وهو النظير المهموس لصوت الدال ، إذ لا يتحرك الوتران الصوتيان أثناء نطق صوت التاء بل يتخذ الهواء مجراه في الحلق والقم حتى ينحبس بالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا . فإذا انفصلا انفصلا فجائيا سمع ذلك الصوت الانفجاري الذي يعرف بصوت التاء (٢) .
وبذلك يختلف الصوتان من حيث المخرج فيكون مخرج صوت التاء مما بين الأسنان بينما صوت التاء لثويا ، كما يختلفان في الصفة فيكون صوت التاء احتكاكيا بينما التاء انفجاريا ويتفقان في صفة الهمس .

الكلمة في لغة الهوسا التي تتكون عادة من صوت ساكن يليه صوت حركة قصيرة أو طويلة ، وحذف تاء التأنيث من نهاية الكلمة .

/ ذَـكْ ر / < / زَـكْ ر / بابدال صوت الدال بالزاي وإنهاء الكلمة بحركة الكسرة القصيرة .

/ ذِـلْ لْـة / < / زِـلْ لْـ / بابدال صوت الدال بالزاي وإنهاء الكلمة بحركة الفتحة القصيرة .

/ هـَـ اذْ ا / < / هـَـ اذْ ا / بابدال صوت الدال والإبقاء على حركة الفتحة الطويلة في نهاية الكلمة .

(ج) التاء < تاء (*) :

صوت التاء هو النظير المهموس للدال أي أنه أسناني احتكاكي مهموس ، ويتكون باندفاع الهواء مارا بالحنجرة دون أن يحرك الوترين الصوتيين ، ثم يتخذ مجراه في

الأمثلة		الرمز	الإبدال	
الكلمة بالهوسا	الكلمة العربية		في الصفات	في المخرج
/ تَبْ بَـ تَـ /	/ ثَبْ بَـ تَـ /	ث < ت	إحتكاكي < انفجاري	مما بين الأسنان < أسناني لثوي
/ تَمَـ نِـ ي /	/ ثَمَـ نِـ /			
/ هـَـ رْ دَـ تَـ /	/ حَـ دْ دَـ تَـ /			

(*) بخصوص هذه الظاهرة انظر د . عبد العزيز مطر . ص ١٨٨ ، د . عبد المنعم سيد عبد العال . ص ٦٩ ، ٧٤ د . أحمد علم الدين ص ٣٣٧ .

(١) د . أنيس ص ٤٧ ، د . كمال بشر ص ١٥٢

(٢) د . أنيس ص ٦١ ، د . كمال بشر ص ١٢٩

التحليل :

وعند النطق به يندفع الهواء مارا بالحنجرة فلا يحرك الوترين الصوتيين ، ثم مجراه في الحلق والقم حتى يصل إلى المخرج وهو عند التقاء طرف اللسان بالثنايا السفلى أو العليا بحيث يكون بين اللسان والثنايا مجرى ضيق جدا يندفع خلاله الهواء فيحدث صغيرا إذا قيس باللغات الأخرى (١) .

وبذلك يكون الصوتان مختلفين في المخرج حيث يكون صوت الثاء هما بين بين الأسنان بينما صوت السين لثويا ، ويتفقان في الصغير فكلا الصوتين إحتكاكياً مهموسا .

/ثَبُّبَتَ / < /تَبُّبَتَ /
بإبدال صوت الثاء بالطاء وإنهاء الكلمة بحركة الفتحة القصيرة :

/ثَمَنَ / < /تَمَنِي / بإبدال صوت الثاء بالطاء ، وإضافة حركة الكسرة الطويلة بعد صوت النون

/حَدَدَتَ / < /هَرَدَتَ / بإبدال صوت الحاء بالهاء والذال بالراء والطاء بالثاء وإنهاء الكلمة بحركة الفتحة القصيرة .

(د) الثاء < سين :

صوت الثاء سبق وصفه أما صوت السين فهو صوت لثوي إحتكاكي مهموس

الأمثلة		الرمز	الإبدال	
الكلمة بالهوسا	الكلمة العربية		في الصفات	في المخرج
/بَهَسِي /	/بَحَثَ /	ث < س	=	مما بين الأسنان < لثوي
/هَدِي سَ /	/حَدِي ثَ /			
/هُنْ سَ /	/خُنْ ثَ /			
/مَسَالِ /	/مَثَالِ /			
/وَسِي قَ /	/وَثِي قَ /			

وإنهاء الكلمة بحركة الكسرة الطويلة .

/حَدِي ثَ / < /هَدِي سَ / بإبدال صوت الحاء بالهاء والطاء بالسين وإنهاء الكلمة بحركة الكسرة القصيرة .

التحليل :

/بَحَثَ / < /بَهَسِي / بإبدال صوت الحاء بالهاء وإضافة حركة الفتحة القصيرة بعدها ، وصوت الثاء بالسين

(١) د. أنيس ، ص ٧٦ ، د. كمال بشر ص ١٥٣

/خُنْثَا / < /هُنْسَ / بابدال
صوت الخاء بالهاء والثاء بالسين وإنهاء الكلمة
بحركة الفتحة القصيرة .

/مِثَال / < /مِسَالِ / بابدال
صوت الثاء بالسين وإنهاء الكلمة بحركة
الفتحة القصيرة .

/وَثِيْقَه / < /وَسِيْقَ /
بابدال صوت الثاء بالسين وحذف تاء
التأنيث من نهاية الكلمة .

٣ - الأصوات الأسنانية اللثوية :

(١) الضاد < لام :

الضاد صوت أسناني لثوي انفجاري
مجهور مطبق يتحرك معه الوتران الصوتيان
ثم ينحبس الهواء عند التقاء طرف اللسان
بأصول الثنايا العليا ، فإذا انفصل اللسان
عن أصول الثنايا سمعنا صوتا انفجاريا هو
صوت الضاد كما ينطق به في مصر .

وهو لا يختلف عن صوت الدال في شيء
سوى أنه أحد أصوات الأطباق ، فعند
النطق به ينطبق اللسان على الحنك الأعلى
متخذاً شكلاً مقعراً كما يرجع إلى الوراثة
قليلاً (١) .

أما صوت اللام فهو صوت أسناني لثوي
جانبي مجهور يتكون بمرور الهواء بالحنجرة
فيتحرك الوتران الصوتيان ثم يتخذ
مجراه في الحلق وعلى جانبي الفم في مجرى
ضيق ، يحدث فيه نوعاً ضعيفاً من الحفيف ،
وفي أثناء مرور الهواء من أحد جانبي الفم
أو من كليهما يتصل طرف اللسان بأصول
الثنايا العليا وبذلك يحال بين الهواء ومروره
من وسط الفم فيتسرب من جانبيه (٢) .

وبذلك يتفق الصوتان في المخرج فكلاهما
أسناني لثوي ، ويختلف صوت اللام عن
الضاد في أن الأول جانبي ، ويتفقان من
حيث الجهر بينما يختلف صوت الضاد عن
اللام في ظاهرة الأطباق .

(١) د . أنيس . ص ٤٨ ، د . كمال بشر ص ١٣٣

(٢) د . أنيس ص ٦٤ ، د . كمال بشر ص ١٦٧

الأمثلة		الرمز	الإبدال	
الكلمة بالهوسا	الكلمة العربية		في الصفات	في المخرج
/أَلْ-ق-الِي/	/أَلْ-ق-اضِي/	ض < ل	مطبق < غير مطبق	أسناني لثوي < أسناني لثوي جانبي
/ال-رُورَ/	/اض-رُورَ/			
/إِرْلَ/	/اعِرْضَ/			
/اكَرَلِ/	/اغِرْضَ/			
/فَلْ-ل-ل-/	/فَضْ-ض-ل-/			
/فَوَّوَل-/	/فَوَّوَضَ/			
/هَلْ-مُ/	/هَضْ-مُ/			

التحليل :

/فَضْ-ض-ل-/ < /فَلْ-ل-ل-/

بإبدال صوت الضاد باللام وإنهاء الكلمة بحركة الفتحة القصيرة .

/فَوَّوَضَ/ < /فَوَّوَل-/ بإبدال صوت الضاد باللام وإنهاء الكلمة بحركة الفتحة القصيرة .

/هَضْ-مُ/ < /هَلْ-مُ/ بإبدال صوت الضاد باللام وإنهاء الكلمة بحركة الضمة القصيرة .

(ب) الطاء < تاء (*) :

سبق وصف صوت التاء أما الطاء ، فهو كما يعرف في مصر لا يفترق عن التاء في شيء غير أنه أحد أصوات الإطباق . فالطاء

/أَلْ-ق-اضِي/ < /أَلْ-ق-الِي/

بإبدال صوت الضاد باللام وإنهاء الكلمة بحركة الكسرة الطويلة وإدخال أداة التعريف ضمن بنية الكلمة .

/اض-رُورَ/ < /ال-رُورَ/ بإبدال صوت الضاد باللام وحذف تاء التأنيث من آخر الكلمة .

/اعِرْضَ/ < /إِرْلَ/ بإبدال صوت العين بالهمزة والضاد باللام ، وإنهاء الكلمة بحركة الكسرة القصيرة .

/اغِرْضَ/ < /اكَرَلِ/ (١) بإبدال صوت الغين بالميم القاهرية والضاد باللام وإنهاء الكلمة بحركة الكسرة القصيرة .

(*) بخصوص هذه الظاهرة انظر د . عبد العزيز مطر ، ص ١٨٨ ، د . عبد المنعم سيد عبد العال ص ٨٠ ،

وابن السكيت ، ص ١٢٩ .

(١) /ك/ تنطق كما تنطق الجيم القاهرية .

مقعرا منطبقا على الحنك الأعلى ويرجع إلى الوراثة قليلا^(١).
فكلاهما أسناني إنفجاري مهموس إلا أن صوت الطاء يختلف عن التاء في أنه من أصوات الأطباق.

كما ننطق به الآن صوت أسناني لثوي إنفجاري مهموس مطبق يتكون كما يتكون صوت التاء غير أن وضع اللسان مع الطاء يختلف عن وضعه مع التاء فهو يتخذ مع الطاء شكلا

الأمثلة		الرمز	الإبدال	
الكلمة بالهوسا	الكلمة العربية		في الصفات	في المخرج
/ثِتْ تَا/	/شَطْ طَة/	ط < ت	مطبق < غير مطبق	=
/تَبِي أ/	/طَبِي عَة/			
/تَاسِ/	/طَاسَة/			
/تَاكَا/	/طَاقَة/			
/كَفْتَانِ/	/قُفْ اَطَانِ/			
/كَنْتَرَا/	/قَنْ طَرَة/			

الكلمة ، والطاسة إناء يستخدم في تحمير اللحوم وغير ذلك .

/طَاقَة/ < /تَاكَا/ بإبدال صوت الطاء بالتاء والقاف بالميم القاهرية وحذف تاء التانيث من نهاية الكلمة والطاقة فتحة في الحائط تستخدم كنافذة للهواء .

/قُفْ اَطَانِ/ < /كَفْتَانِ/ بإبدال صوت القاف بالكاف وحركة الضمة القصيرة بالفتحة القصيرة وصوت الطاء بالتاء وإنهاء الكلمة بحركة الكسرة القصيرة ، والقفطان ثوب فضفاض سابغ مشقوق

التحليل :

/شَطْ طَة/ < /ثِتْ تَا/ بإبدال صوت الشين . بصوت التاء وهو ينطق كالصوت الأول في كلمة Chair الإنجليزية ، وإبدال صوت الطاء بالتاء وحذف تاء التانيث من نهاية الكلمة وإنهاءها بحركة المفتحة الطويلة .

/طَبِي عَة/ < /تَبِي أ/ بإبدال صوت الطاء بالتاء والعين بالهمزة وحذف تاء التانيث من نهاية الكلمة .
/طَاسَة/ < /تَاسِ/ بإبدال صوت الطاء بالتاء وحذف تاء التانيث من نهاية

(١) د. أنيس ، ص ٦٢ ، د . كمال بشر ص ١٣٠

المقدم يضم طرفيه حزام . ويتخذ من الحرير أو القطن وتلبس فوق الحبة .

/قنْ طَرَّة/ < /كَنْ تَر/ بإبدال صوت القاف بالكاف والطاء بالتاء وحذف تاء التأنيث من نهاية الكلمة .

(ج) الطاء < تساء :

صوت الطاء سبق وصفه ، أما صوت /ط/ فهو صوت مركب لثوى مهموس يتركب من جزئين الجزء الأول وهو صوت الفاء والثاني هو صوت السين ، وعند النطق به يخرج الهواء من الرئتين مارا بالوترين الصوتيين فلا يحركهما ثم يصل إلى الفم

حيث يرتفع طرف اللسان نحو اللثة ولكن لا يتم النطق الانفجاري للجزء الأول وهو التاء ، بل ينتقل اللسان إلى موضع السين حيث يسمع الصوت الاحتكاكي الذي يعرف بصوت ts ويرمز له عند الكتابة بالحط العرقي برمز الطاء فوقها ثلاث نقط /ط/ .

وبذلك يتفق صوتا الطاء وتساء في المخرج فكلاهما أسناني لثوى كما يتفقان في صفة الحمس ويختلفان فيما عدا ذلك ، فصوت الطاء انفجاري مطبق ، أما صوت تساء فهو احتكاكي غير مطبق .

الأمثلة		الرمز	الإبدال	
الكلمة بالهوسا	الكلمة العربية		في الصفات	في المخرج
/هَ طَر/	/خَ طَر/	ط < ط	مطبق < غير مطبق . انفجاري < احتكاكي	=
/هَ طَب ي ب/	/طَب ي ب/			
/كَا ي ط/	/غَا ط/			
/كَل ط/	/غَل ط/			

التحليل :

/خَ طَر/ < /هَ طَر/ بإبدال صوت الخاء بالهاء وصوت الطاء بـ /ط/ وإنهاء الكلمة بحركة الكسرة القصيرة .

/طَب ي ب/ < /هَ طَب ي ب/ بإضافة صوت الهاء إلى بداية الكلمة وإبدال صوت الطاء بتساء ، وإنهاء الكلمة بحركة الكسرة القصيرة .

/غَا ط/ < /كَا ي ط/ بإبدال صوت الغين بالميم القاهرية والهمزة بالياء والطاء بتساء وإنهاء الكلمة بحركة الكسرة القصيرة .

/غَل ط/ < /كَل ط/ بإبدال صوت الغين بالميم القاهرية والطاء بتساء وإنهاء الكلمة بحركة الكسرة القصيرة .

٤ - الأصوات الثبوتية :

(أ) الصاد < سين(*) :

صوت السين سبق وصفه أما صوت الصاد فهو لثوي احتكاكي مهموس مطبق يشبه في تكوينه صوت السين في كل شيء سوى أن الصاد أحد أصوات الأطباق، فعند النطق به يتخذ اللسان وضعاً مخالفاً لوضعه مع

السين ، إذ يكون مقعراً منطبقاً على الحنك الأعلى مع ارتفاع أقصى اللسان وطرفه نحو الحنك ورجوع اللسان إلى الوراء قليلاً^(١) وبذلك يتفق الصوتان في كل شيء من حيث المخرج والصفة، فكلاهما لثوي احتكاكي مهموس إلا أن صوت الصاد يتميز بالأطباق .

الأمثلة		الرمز	الإبدال	
الكلمة بالهوسا	الكلمة العربية		في الصفات	في المخرج
/أَسَلِ/	/أَصَلِ/	ص < س	مطبق < غير مطبق	=
/بَسِيْرَ/	/بَصِيْرَةَ/			
/سَهَانِ/	/صَخْنِ/			
/سَدَكْ/	/صَدَقَةَ/			
/سَنَانِ/	/صِنَانِعَةَ/			
/فَسَاهِ/	/فَصَاحَةَ/			
/مُسَابَهَ/	/مُصَافَحَةَ/			
/مَسْرُوفِ/	/مَصْرُوفِ/			
/نَسْرَارِ/	/نَصْرَارِ/			
/نَسِيْهَ/	/نَصِيْحَةَ/			
/وَسِيِيِي/	/وَصِيِيِيَةَ/			

(*) بخصوص هذه الظاهرة انظر د . عبد العزيز مطر ص ١٨٩ ، أحمد حسين شرف الدين طبعات اليمن قديماً وحديثاً، القاهرة سنة ١٩٧٠ ، ص ٤٦ ، د . عبد المنعم سيد عبد العال ص ٨٠ ، أحمد علم الدين الجندى ص ٣٣٤

(١) د . أنيس ص ٧٦ ، د . كمال بشر ص ١٥٤

التحليل :

/مُصَافَحَةٌ/ < /مُسَابَهٌ/
 بإبدال صوت الصاد بالسين والفاء بالياء
 والحاء بالهاء وحذف تاء التانيث من نهاية
 الكلمة :

/مَصْرُوفٌ/ < /مَسْرُوفٌ/
 صوت الصاد بالسين وإنهاء الكلمة بحركة
 الفتحة القصيرة .

/نَصِيحَةٌ/ < /نَسِيهٌ/
 صوت الصاد بالسين والحاء بالهاء وحذف
 تاء التانيث من نهاية الكلمة .

/وَصِيئَةٌ/ < /وَسِيئَةٌ/
 بإبدال صوت الصاد بالسين وإطالة حركة
 الكسرة القصيرة بعدها وحذف تاء التانيث
 من نهاية الكلمة .

٥ - الأصوات الحنكية القصية :

(أ) القاف < كاف :

القاف صوت لهُوى انفجارى مهموس
 وللنطق به يندفع الهواء من الرئتين مارا
 بالحنجرة فلا يحرك الوترين الصوتين ،
 ثم يتخذ مجراه فى الحلق حتى يصل إلى
 أدنى الحلق من الفم وهناك ينحبس الهواء
 باتصال أدنى الحلق بما فى ذلك اللهاه بأقصى
 اللسان ثم ينفصل العضوان انفصالا مفاجئا
 فيحدث الهواء صوتا إنفجاريا شديدا (١) .

أما صوت الكاف فهو حنكى قصى
 انفجارى مهموس ، يتكون باندفاع

/أَصْلٌ/ < /أَسْلٌ/
 صوت الصاد بالسين وإضافة حركة الفتحة
 القصيرة بعدها . وإنهاء الكلمة بحركة الكسرة
 القصيرة .

/بَصِيرَةٌ/ < /بَسِيرٌ/
 بإبدال صوت الصاد بالسين وحذف تاء
 التانيث من آخر الكلمة :

/صَخْنٌ/ < /سَهَانٌ/
 صوت الصاد بالسين والحاء بالهاء وإضافة
 فتحة طويلة بعدهما وإنهاء الكلمة بحركة
 الكسرة القصيرة ، والصحن إناء من أوانى
 الطعام .

/صَدَقَةٌ/ < /سَدَكٌ/
 صوت الصاد بالسين ، والقاف بالكاف
 وحذف تاء التانيث من نهاية الكلمة .

/صِنَاعَةٌ/ < /سِنَاءٌ/
 صوت الصاد بالسين وحركة الكسرة
 القصيرة بعدها بالفتحة القصيرة ، وحركة
 الفتحة القصيرة بعد النون بالفتحة الطويلة
 وصوت العين بالهمزة وحذف تاء التانيث
 من نهاية الكلمة .

/فَصَاحَةٌ/ < /فَسَاهٌ/
 بإبدال صوت الصاد بالسين والحاء بالهاء
 وحذف تاء التانيث من نهاية الكلمة :

(*) بخصوص هذه الظاهرة انظر د . عبدالعزيز مطر ص ١٨٨ ، وابن السكيت ، ص ١١٣

(١) د . أنيس ص ٨٧ ، د . كمال بشر ص ١٣٨

فإذا انفصل العضوان انفصالا مفاجئا اتبعث الهواء إلى خارج الفم محدثا صوتا إنفجاريا هو صوت الكاف^(١) والصوتان يتفقان في الصفة والمخرج إلا أن القاف صوت لهوى .

الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة فلا يحرك الوترين الصوتيين ثم يتخذ مجراه في الحلق فاذا وصل إلى أقصى الفم قرب اللهاة انحبس الهواء انحباسا كاملا لاتصال أقصى اللسان بأقصى الحنك الأعلى فلا يسمح بمرور الهواء ،

الأمثلة		الرمز	الإبدال	
الكلمة بالهوسا	الكلمة العربية		في الصفات	في المخرج
/إتتِفَاكَن°/	/إتتِفَاقَن°/	ق < ك	=	لهوى < حنكى قصى
/آزَزِكِ/	/أررِرِزُق/			
/ألْكَلَمِى/	/ألْقَلَمِ/			
/هَكْهَكَن°/	/حَقَّقَن°/			
/هَكِىَكِ/	/حَقِىَقَة/			
/فَاسِكِى/	/فَاسِقِ/			
/كَلَامِ/	/قَلَامِ/			
/كَبِىَلِ/	/قَبِىَلَة/			
/كَلِىَلَن°/	/قَلِىَلَن°/			
/مَهَلْوَكِ/	/مَخْلُوقِ/			

/ألْكَلَمِى/ < /ألْقَلَمِ/
 بإبدال صوت القاف بالكاف وإنهاء الكلمة بحركة الكسرة الطويلة وإدخال أداة التعريف فى بنىة الكلمة .

/حَقَّقَن°/ < /هَكْهَكَن°/
 بإبدال صوت الحاء بالهاء وصوتى القاف

تحليل :
 /إتتِفَاقَن°/ < /إتتِفَاكَن°/
 بإبدال صوت القاف بالكاف وإدخال التنوين ضمن بنىة الكلمة :

/أررِرِزُق/ < /آزَزِكِ/
 بإبدال صوت الراء بالزاي وحذف صوت الزاي الأصلي وإبدال صوت القاف بالكاف وإنهاء الكلمة بحركة الكسرة القصيرة ،

(١) د . أنيس ص ٨٤ ، د . كمال بشر ص ١٣٨

بصوتى الكاف ، وإدخال التنوين فى بنية الكلمة .

ح- ق- ي- ق- ة / < / ه- ك- ي- ك- / بإبدال صوت الحاء بالهاء وصوت القاف بصوتى الكاف وحذف تاء التأنيث من نهاية الكلمة .

ف- ا- ي- س- ق- / < / ف- ا- ي- س- ك- ي- / بإبدال صوت القاف بالكاف وإنهاء الكلمة بحركة الكسرة الطويلة .

ق- ا- ا- م- / < / ك- ا- ا- م- / بإبدال صوت القاف بالكاف وإنهاء الكلمة بحركة الكسرة القصيرة .

ق- ب- ي- ل- ة / < / ك- ب- ي- ل- / بإبدال صوت القاف بالكاف وحذف تاء التأنيث من نهاية الكلمة .

ق- ل- ي- ل- ن- ° / < / ك- ل- ي- ل- ن- ° / بإبدال صوت القاف بالكاف وإدخال التنوين فى بينة الكلمة .

م- خ- ل- و- ق- / < / م- ه- ل- و- ك- / بإبدال صوت الحاء بالهاء وإضافة حركة الضمة القصيرة بعدها وإبدال صوت القاف بالكاف وإنهاء الكلمة بحركة الكسرة القصيرة .

م- ن- اف- ق- / < / م- ن- اف- ك- ي- / بإبدال حركة الكسرة القصيرة بعد صوت الفاء بالضمة القصيرة وصوت القاف بالكاف وإنهاء الكلمة بحركة الكسرة الطويلة .

(ب) القاف < جيم (١) :

صوت القاف سبق وصفه أما صوت الجيم فهو شبيه بالجيم القاهرية ، وهو صوت حنكى قصى إنفجارى مجهور يتكون باندفاع الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين ، ثم يتخذ مجراه فى الحلق أولا فإذا وصل إلى أقصى الحنك قرب اللهاة انحبس الهواء تماما لاتصال أقصى اللسان بأقصى الحنك فلا يسمح بمرور الهواء فإذا انفصل العضوان انفصلا مفاجئا انبعث الهواء إلى خارج الفم محدثا صوتا إنفجاريا وهو ما يعرف بصوت الجيم القاهرية (٢) .

والصوتان يتفكان فى المخرج فكلاهما حنكى قصى ويختلفان فى الصفة إلى حد ما فالقاف صوت مهموس أما الجيم فمجهور وكلاهما انفجارى .

(١) يرمز لهذا الصوت فى لغة الهوسا بالرمز -غ- وينطق كالجيم القاهرية ، ويرمز للجيم المعطشة بالرمز -ج- ومنعاً للبس آثرت استعمال الرمز -ك- للدلالة على الجيم القاهرية .

(٢) د . أنيس ص ٧٧ ، د . كمال بشر ص ١٤١

الأمثلة		الرمز	الابدال	
الكلمة بالهوسا	الكلمة العربية		في الصفات	في المخرج
/ ت ا ك ا /	/ ط ا ق ا ة /	ق < ك	مهموس < مجهور	=
/ ات ا ك ي ي /	/ ط ا ق ي ي ة /			
/ ك ب ب ا /	/ ق ب ب ا ة /			
/ ك ر ا /	/ ق ر ع ا ة /			
/ ك ه و ا /	/ ق ه و ا ة /			

حركة الفتحة القصيرة بعد الهاء وحذف

تاء التانيث من نهاية الكلمة هـ

٦ - الأصوات الحلقية :

(١) الغين < جيم :

سبق وصف صوت الجيم أما الغين فهو صوت حلقى احتكاكي مجهور مخرجه أدنى الحلق إلى الفم ، وعند النطق به يندفع الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين ثم يتخذ مجراه في الحلق حتى يصل إلى أدناه . إلى الفم حيث يضيق فيحدث الهواء نوعاً من الخفيف وبذلك يتكون صوت الغين (١)

ويختلف الصوتان من حيث المخرج ، فالغين صوت حلقى أما الجيم القاهرية فصوت حنكي قصي ، ويتفقان من حيث الجهر إلا أن صوت الغين احتكاكي بينما صوت الجيم القاهرية فهو إنفجاري .

التحليل :

/ ط ا ق ا ة / < / ت ا ك ا / بإبدال صوت الطاء بالتاء والقاف بالجيم القاهرية وحذف تاء التانيث من نهاية الكلمة هـ

/ ط ا ق ي ي ة / < / ات ا ك ي ي / بإبدال صوت الطاء بالتاء والقاف بالجيم القاهرية . وحذف تاء التانيث من نهاية الكلمة .

/ ق ب ب ا ة / < / ك ب ب ا / بإبدال صوت القاف بالجيم القاهرية وحذف تاء التانيث من نهاية الكلمة .

/ ق ر ع ا ة / < / ك ر ا / بإبدال صوت القاف بالجيم القاهرية هـ وإضافة حركة الكسرة القصيرة بعد الراء وإبدال صوت العين بالهمزة وحذف تاء التانيث من نهاية الكلمة .

/ ق ه و ا ة / < / ك ه و ا / بإبدال صوت القاف بالجيم القاهرية وإضافة

(١) د . أنيس ص ٨٨ ، د . كمال بشر ص ١٥٥ .

الأمثلة		الرمز	الإبدال	
الكلمة بالهوسا	الكلمة العربية		في الصفات	في المخرج
/أَلْ كَايَ/	/أَلْ غَايَةَ/	غ < ك	إحتكاكي < إنفجاري	حلقى < حنكى قصى
/بَلْ كَا/	/بَلْ غَاة/			
/كَا دِيرِي/	/غَا دِيرِي/			
/كَا رُكَا رَا/	/غَا رُغَا رَاة/			
/كَا نِي مَآ/	/غَا نِي مَآة/			
/كَا يَرَا/	/غَا يَرَا/			

التحليل :
 /غَا نِي مَآة/ < /كَا نِي مَآة/ بإبدال
 صوت الغين بالميم القاهرية وحذف تاء
 التأنيث من نهاية الكلمة .

/غَا يَرَا/ < /كَا يَرَا/ بإبدال
 صوت الغين بالميم القاهرية وإنهاء الكلمة
 بحركة الفتحة القصيرة .

(ب) الخاء < هاء :

صوت الخاء هو النظير المهموس لصوت
 الغين فكلاهما صوت احتكاكي يخرجان
 من مخرج واحد هو الحلق ، فعند النطق
 بالخاء يندفع الهواء مارا بالحنجرة فلايحرك
 الوترين الصوتيين . ثم يتخذ مجراه في الحلق
 حتى يصل إلى أذناه (١) .

/أَلْ غَايَةَ/ < /أَلْ كَايَ/ بإبدال
 صوت الغين بالميم القاهرية ، وحذف تاء
 التأنيث من نهاية الكلمة وإدخال أداة التعريف
 في بنية الكلمة .

/بَلْ غَاة/ < /بَلْ كَا/ بإبدال
 صوت الغين بالميم القاهرية وحذف تاء
 التأنيث من نهاية الكلمة .

/غَا دِيرِي/ < /كَا دِيرِي/ بإبدال
 صوت الغين بالميم القاهرية وإنهاء الكلمة
 بحركة الكسرة الطويلة .

/غَا رُغَا رَاة/ < /كَا رُكَا رَا/ بإبدال
 صوتي الغين بالميم القاهرية وحذف تاء
 التأنيث من نهاية الكلمة .

(١) د . أنيس ص ٨٨ ، د . كمال بشر ص ١٥٥

المزمار، ويتخذ الفم عند النطق بالهاء وضعاً يشبه الوضع الذي يتخذه عند النطق بالحركات (٢).

ويختلف الصوتان من حيث المخرج فالحاء صوت حنكي قصي أما الهاء فهو حنجري ويتفقد في الصفة فكلاهما إحتكاكي مهموس:

أما صوت الهاء فهو صوت حنجري احتكاكي مهموس ، عند النطق به يظل المزمار مفتوحاً دون أن يتحرك الوتران الصوتيان ولكن اندفاع الهواء يحدث نوعاً من الخفيف يسمع في أقصى الحلق أو داخل

الأمثلة		الرمز	الإبدال	
الكلمة بالهوسا	الكلمة العربية		في الصفات	في المخرج
/ آل هـ ي ر /	/ آل خ ي ر /	خ < هـ	=	حلقى < حنجري
/ إس ت هـ آر /	/ إس ت خ آر /			
/ ت ا ر ي هـ /	/ ت ا ر ي خ /			
/ هـ س و م /	/ خ س و م /			
/ هـ ن س /	/ خ ن ث ا /			
/ هـ ن س ر /	/ خ ن ص ر /			
/ م هـ ل و ك /	/ م خ ل و ق /			

التحليل :
/ ت ا ر ي خ / < / ت ا ر ي هـ /
بإبدال صوت الحاء بالهاء وإنهاء الكلمة بحركة الكسرة القصيرة .

/ خ س و م / < / هـ س و م / بإبدال صوت الحاء بالهاء والصاد بالسين وحذف تاء التانيث من نهاية الكلمة .

/ خ ن ث ا / < / هـ ن س / بإبدال صوت الحاء بالهاء والثاء بالسين ، وتقصير حركة الفتحة الطويلة بعد الثاء .

أ ل خ ي ر / < / آل هـ ي ر / بإدخال أداة التعريف في بنية الكلمة وإبدال صوت الحاء بالهاء والياء بالكسرة الطويلة الممالة وإنهاء الكلمة بحركة الكسرة القصيرة .

/ إس ت خ آر / < / إس ت هـ آر / بإبدال صوت الحاء بالهاء وحذف تاء التانيث من نهاية الكلمة .

(١) د. أنيس ص ٠٨٨ ، د. كمال بشر ص ١٥٦

(٢) ي = حركة الكسرة الممالة .

اخن° ص ر / < / ه ن° س ر / بابدال
صوت الخاء بالهاء والصاد بالسين وإنهاء
الكلمة بحركة الكسرة القصيرة . والخنصر
هو الأصبع الأصغر .

م خ ل و ق / < / م ه ل و ك /
يابدال صوت الخاء بالهاء وإضافة حركة
الفتح القصيرة بعدها وإبدال صوت القاف
بالكاف وإنهاء الكلمة بحركة الكسرة القصيرة .

(ج) العين < همزة (*) :

العين صوت مجهور يخرج من وسط
الحلق فعند النطق به يندفع الهواء مارا
بالخنجرة فيحرك الوترين الصورتين حتى
إذا وصل إلى وسط الحلق ضاق الجرى
ولكن ضيق مجراه أقل من ضيقه مع صوت

الغين مما جعل صوت العين أقل إحتكاكا
من الغين (١) .

أما صوت الهمزة فهو صوت انفجاري
يتكون بانطباق فتحة الزمار انطباقاً
تاماً فلا يسمح بمرور الهواء إلى الحلق ثم
تنفجر فتحة الزمار فجأة فيسمع صوت
انفجاري هو صوت الهمزة (٢) .

وبتقارب الصوتان في المخرج فالعين صوت
حلقى أما الهمزة فهو صوت حنجري
ويختلفان في الصفة فالعين صوت مجهور
أما الهمزة فهو صوت بين الجهر والهمس ،
وصوت العين أحتكاكي أما الهمزة فهو
انفجاري .

الأمثلة		الرمز	الابدال	
الكلمة بالهوسا	الكلمة العربية		في الصفات	في المخرج
/ ل آ د /	/ أ ل ع آ دة /	ع < أ	مجهور < وسط بين الجهر والهمس . إحتكاكي < انفجاري	=
/ ج م آ /	/ أ ج م آ عة /			
/ ج م إ ي ئ /	/ أ ج م ع ي ئة /			
/ ز ر ا ل /	/ أ ز ر ا ع /			
/ آ ا د ل ر ي /	/ أ ع ا د ل ر ي /			
/ ل ب آ دة /	/ أ ع ب آ دة /			
/ إن د ل ل آ ه /	/ أ ع ن د ل ل آ ه /			
/ ك ل آ د م /	/ أ ك ل ع د م /			

(*) بخصوص هذه الظاهرة انظر ابن السكيت ص ٨٤ .

(١) د . أنيس ص ٨٨ .

(٢) د . أنيس ص ٨٩ ، د . كمال بشر ص ١٤٢ .

التحليل :

/ ع بَ ادّة / < / إِبَّ ادّ / بإبدال
صوت العين بالهمزة وحذف تاء التانيث
من نهاية الكلمة .

/ ع ن دَلْ اَهْ / < / إِنْ دَلْ لَهْ / بإبدال
صوت العين بالهمزة وإنهاء الكلمة بحركة
الكسرة القصيرة ويلاحظ إدخال الظرف
في بنية الكلمة .

/ كَلْ لْ عَ دَمِ / < / كَلْ لْ دَمِ / بإبدال
صوت العين بالهمزة وإنهاء الكلمة بحركة
الكسرة القصيرة ، ويلاحظ إدخال حرف
الجر في بنية الكلمة .

(د) الحاء هاء (*) :

صوت الحاء هو النظير المموس لصوت
العين فمخرجهما واحد ولا فرق بينهما
إلا أن الحاء صوت مهموس والعين صوت
مجهور (١)

ويتقارب صوتا الحاء والهاء في المخرج
فصوت الحاء حلقى أما الهاء فحنجري
ويتفان في الصفة فكلاهما إحتسكاكى
مهموس .

/ لْ عَ ادّة / < / لَ لْ دَ / بحذف همزة
الوصل وإدخال أداة التعريف في بنية
الكلمة ، وإضافة حركة الفتحة القصيرة بعد
صوت اللام ، وإبدال العين بالهمزة
وتقصير حركة الفتحة الطويلة بعدها ،
وحذف تاء التانيث من نهاية الكلمة .

/ جَ مَاعَة / < / جَمَّآ / بتقصير حركة
الفتحة الطويلة بعد صوت الميم وإبدال
العين بالهمزة وحذف تاء التانيث من آخر
الكلمة .

/ جَ مَ عَ يَ ية / < / جَ مَ إِي
يَ / بإبدال صوت العين بالهمزة
وإطالة حركة الكسرة القصيرة بعدها
وحذف تاء التانيث من نهاية الكلمة .

زِرَاع / < / زِرَّالْ / بإبدال صوت
الذال بالزاي والعين بالهمزة وإنهاء الكلمة
بحركة الكسرة القصيرة .

/ عَ ادِلْ / < / اِدِلْ لِي / بإبدال
صوت العين بالهمزة وحركة الكسرة
القصيرة بعد اللام بكسرة طويلة .

(*) بخصوص هذه الظاهرة انظر د . عبد العزيز مطر ص ١٥٠ ، ١٨٨ ، د . أحمد عبد العليم

الهندى ص ٣٦٤ ، وابن السكيت ص ٩٠

(١) د . أنيس ص ٨٨ ، د . كمال بشر ص ١٥٥

الأمثلة		الرمز	الابدال	
الكلمة بالهوسا	الكلمة العربية		في الصفات	في المخرج
/أَسُّبَ هِ/	/أَصُّصُ بَح/	ح < ه	=	حاق < حنجري
/بِلَّأَهَّ دُ دِنْ/	/بِلَّأَحَّ دُ دِنْ/			
/هَّازِ كَنْ ثِي/	/أَحَّ أَذِق/			
/هَّ كِمِي/	/أَحَّ كِم/			
/هَّ تَتَا/	/أَحَّ تَتَا/			
/هَّ دِي سِ/	/أَحَّ دِي ثِ/			
/هَّ رَمَنْ/	/أَحَّ رَمَ/			
/سِ هِرِ/	/سِ خِرِ/			
/سُلْ هُ/	/أَصُّ لُ حِ/			
/لَّأَهَّ وُلْ/	/لَّأَحَّ وُلْ/			
/مُ هِبَّ بَا/	/مُ حِبَّ بَا/			

ث - للدلالة على المصدرية ، وإنهاء الكلمة بحركة الكسرة الطويلة .

/أَحَّ كِم/ < /هَّ كِمِي/ بابدال صوت الحاء بالهاء وإنهاء الكلمة بحركة الكسرة الطويلة .

/أَحَّ تَتَا/ < /هَّ تَتَا/ بابدال صوت الحاء بالهاء وإنهاء الكلمة بحركة الفتحة القصيرة .

/أَحَّ دِي ثِ/ < /هَّ دِي سِ/ بابدال صوت الحاء بالهاء والكسرة بالسين وإنهاء الكلمة بحركة الكسرة القصيرة .

/أَحَّ رَمَ/ < /هَّ رَمَتْ/ بابدال صوت الحاء بالهاء وحذف صوت الراء الأولى

التحليل :

/أَصُّصُ بَح/ < /أَسُّبَ هِ/ بابدال صوت الصاد بالسين وحذف الصاد الأولى وإضافة حركة الفتحة القصيرة بعد صوت الياء وإبدال الحاء بالهاء وإنهاء الكلمة بحركة الكسرة القصيرة .

/بِلَّأَحَّ دُ دِنْ/ < /بِلَّأَهَّ دُ دِنْ/ بابدال صوت الحاء بالهاء واعتبار حرف الحار (الباء) وأداة النفي والتنوين من بنية الكلمة .

/أَحَّ أَذِق/ < /هَّ أَزْكَ نْ ثِي/ بابدال صوت الحاء بالهاء والذال بالذاي والقاف بالكاف وإضافة صوت النون وصوت

١ - ظاهرة الإبدال غير المشروط وتحدث للأسباب التالية :

(أ) للتخلص من الأصوات التي تخرج مما بين الأسنان على النحو التالي :

- / ث / < / س / أو / ت /

- / ذ / < / ز /

- / ظ / < / ز /

(ب) للتخلص من بعض الأصوات الحاقمة على النحو التالي :

- / ح / < / هـ /

- / خ / < / هـ /

- / ع / < / أ /

- / غ / < / ك /

للتخلص من صفة الأطباق على النحو التالي :

- / ص / < / س /

- / ض / < / ل /

- / ط / < / ت / أو / ث /

٢ - ظاهرة الإبدال المشروط وهي تقع في بعض الكلمات التي ترد فيها الأصوات التالية :

- / ب / < / ف /

- / م / < / ن /

- / ق / < / ك / أو / ك /

وإضافة صوت التاء بعد الميم وإنهاء الكلمة بحركة الفتحة القصيرة .

/ س ح ر / < / س هـ ر / بإبدال صوت الحاء بالهاء وإضافة حركة الكسرة القصيرة بعدها وإنهاء الكلمة بحركة الكسرة القصيرة

/ ص ل ن ح / < / س ل ن هـ / بإبدال صوت الصاد بالسين والحاء بالهاء وإنهاء الكلمة بحركة الضمة القصيرة .

/ آ ح و ل / < / آ هـ و ل / بإبدال صوت الحاء بالهاء وإنهاء الكلمة بحركة الفتحة القصيرة . وإدخال أداة النفي في بنية الكلمة.

/ م ح ب ب / < / م هـ ب ب / بإبدال صوت الحاء بالهاء وإنهاء الكلمة بحركة الفتحة القصيرة .

الخلاصة :

كما سبق يتضح أن متكلمي الحرسا الأصليين حينما يستعملون كلمة مقترضة من اللغة العربية يستبدلون الأصوات التي يصعب نطقها بأصوات أخرى على النحو الذي ورد في الأمثلة السابقة و يمكن أن نوجزها فيما يلي :



ثانياً - ابدال الحركات

١ - حركة الكسرة :

(أ) الكسرة < فتحة قصيرة :

حدثت هذه الظاهرة فيما جمعت من مادة علمية في أربع كلمات في المقطع الأول في كلمة واحدة وهي :

/نِ عَ نَ ا ع / < / نَ نَ اَ نَ أ / بإبدال حركة الكسرة بعد صوت النون بالفتحة ، والعين بالهمزة ، وتقصير حركة الفتحة الطويلة بعد صوت النون الثانية .

وفي المقطع الثاني في ثلاث كلمات هي :

/ فَ رِحَ / < / فَ رَ اَ / بإبدال حركة الكسرة بعد صوت الراء بالفتحة ، وصوت الحاء بالهمزة وإنهاء الكلمة بحركة الفتحة ، / كَ لَ فَ / < / قَ لَ لَ فَ اَ / بإبدال صوت الكاف بالقاف وتضعيف اللام ، وإبدال حركة الكسرة بعد اللام الثانية بالفتحة القصيرة ، وإنهاء الكلمة بحركة الفتحة الطويلة .

(ب) الكسرة الطويلة < فتحة قصيرة :

حدثت هذه الظاهرة في كلمة واحدة في المقطع الثاني من الكلمة التالية :

/تَ سَ بَ يَ حَ / < / تَ سَ بَ هَ / بإبدال حركة الكسرة الطويلة بعد الباء بالفتحة القصيرة ، وصوت الحاء بالهاء ، وإنهاء الكلمة بحركة الفتحة القصيرة .

(ج) الكسرة القصيرة < ضمة قصيرة :

حدثت الظاهرة في خمس كلمات ، في ثلاث منها بعد الأصوات الشفوية وهي : / فِ سَ قَ / < / فُ سُ كُ / بإبدال حركة الكسرة القصيرة بعد صوت الفاء بالضمة القصيرة وإضافة حركة الضمة القصيرة بعد صوت السين ، وإبدال صوت القاف بالكاف وإنهاء الكلمة بحركة الضمة القصيرة .

/مُ نَ ا فِ قَ / < / مُ نَ ا فُ كِ يَ / بإبدال حركة الكسرة القصيرة بعد صوت الفاء بالضمة القصيرة ، وإبدال صوت القاف بالكاف وإنهاء الكلمة بحركة الكسرة الطويلة .

/وِ رَ دَ / > / وُ رُ دِ يَ / بإبدال حركة الكسرة القصيرة بعد الواو بالضمة القصيرة وإضافة حركة الضمة القصيرة بعد الراء وإنهاء الكلمة بحركة الكسرة الطويلة .

وفي كلمة واحدة قبل الصوت الشفوي وهي : /ظَ ظَ ا لِمَ / > / أ زَ زَ ا لُ مِ يَ / بإبدال حركة الكسرة القصيرة بعد صوت اللام بالضمة القصيرة وإنهاء الكلمة بحركة الكسرة الطويلة .

وفي كلمة واحدة بعد صوت الحميم القاهرية وهي : / لُ غَ شَ شَ / <

/أَلْ شْ /^(١) بإبدال حركة الكسرة القصيرة
بعد صوت الغين بالضممة القصيرة وإبدال
صوت الشين المضعفة بصوت الشين وإنهاء
الكلمة بحركة الكسرة القصيرة .

٢ - حركة الفتحة :

(أ) الفتحة < كسرة :

حدثت هذه الظاهرة في تسع كلمات
فما جمعت من مادة علمية ، منها ثمان
حالات في المقطع الأول من الكلمة وهي :

/شَطْ طَة / < / ثِتْ تْ /^(٢) بإبدال
صوت الشين بـ / ثْ / وحركة الفتحة
القصيرة بعدها بالكسرة القصيرة وإبدال
صوتى الطاء بالتاء وحذف تاء التأنيث من
نهاية الكلمة وإنهاء الكلمة بحركة الفتحة
الطويلة .

/غَ يَ رَ / < / كِ يَ رَ / بإبدال صوت
الغين بالجيم القاهرية وحركة الفتحة القصيرة
بعدها بكسرة قصيرة . وإبدال تضعيف
الياء بالياء المفردة وإحالة حركة الفتحة
القصيرة بعدها / وإنهاء الكلمة بحركة
الفتحة القصيرة .

/وَدَلْ لَ ال / < / دِ لْ لَ ال / بإبدال
حركة الفتحة القصيرة بعد الدال بالكسرة

القصيرة ، وإنهاء الكلمة بحركة الكسرة
القصيرة .

و /سَ رَ اج / < / سَ رَ دِ / بإبدال
حركة الفتحة القصيرة بعد السين بالكسرة
وصوت الجيم القاهرية بالدال ، وإنهاء
الكلمة بحركة الكسرة القصيرة .

و /فَ سَ اد / < / فِ سَ ادِ / بإبدال
حركة الفتحة القصيرة بعد الفاء بالكسرة
القصيرة ، وإهاء الكلمة بحركة الكسرة
القصيرة .

و /فَ نَ ارَ ة / < / فِ نَ ارَ /
بإبدال حركة الفتحة القصيرة بعد الفاء
بالكسرة القصيرة ، وتضعيف صوت
النون وإطالة حركة الفتحة القصيرة بعدها
وحذف حركة الفتحة القصيرة بعد الراء
وتاء التأنيث من نهاية الكلمة .

و /مَ ثَ ثَ لَ / < / مَ سَ لَ تَ / بإبدال
حركة الفتحة القصيرة بعد الميم بالكسرة
القصيرة وإبدال صوت التاء المضعف
بالسين وحذف حركة الفتحة القصيرة
بعد اللام وإضافة صوت التاء وحركة
الفتحة القصيرة في نهاية الكلمة .

وفي المقطع الثاني في كلمة واحدة وهي
/أَلْ فَ جَ رَ / < / أَلْ فِ جَ رِ يَ / بإبدال

(١) يكتب رمز / ج / في لغة الهوسا وينطق جيما معطشة ، بينما يكتب رمز / غ / وينطق كالجيم القاهرية ،
وقد أثرت أن أرمز لها بالرمز - ك - منعاً للبس .

(٢) ينطق الرمز / ثْ / كـ مـ ينطق المقطع الأول من كلمة Chair الإنجليزية

حركة الفتحة القصيرة بعد الفاء بالكسرة وإضافة حركة الكسرة القصيرة بعد صوت الجيم المعطشة، وإنهاء الكلمة بحركة الكسرة الطويلة .

(ب) الفتحة < كسرة طويلة :

حدثت هذه الظاهرة في المقطع الثاني من كلمة /أَلْ جَ يَ بَ / < /أَلْ جَ يَ فَاوْ / بإبدال الجيم القاهرية بجيم معطشة وحركة الفتحة القصيرة بعدها بالكسرة الطويلة وحذف الياء وإبدال صوت الباء بالفاء وإنهاء الكلمة بحركة الضمة الطويلة .

(د) الفتحة < ضمة :

حدثت هذه الظاهرة في ثمان كلمات في أربع منها قبل الأصوات الشفوية وهي /أَمَرًا / < /أَمُرًا رَ نَ يَ / بإبدال حركة الفتحة القصيرة بعد الهمزة بالضممة القصيرة ، وإبدال حركة الفتحة بعد صوت الميم بالضممة القصيرة وحذف حركة الفتحة القصيرة بعد الراء، وإضافة صوت النون وحركة الكسرة الطويلة إلى نهاية الكلمة .

و / تَبَرُّكًا / < / تَبَرُّرًا / بإبدال حركة الفتحة القصيرة بعد التاء بالضممة القصيرة وإنهاء الكلمة بحركة الكسرة القصيرة .

و / تَهَمُّرًا / < / تَهَمُّرًا / بإبدال صوت الفتحة القصيرة بعد التاء بالضممة

القصيرة وكذلك إبدال حركة الفتحة القصيرة بعد الماء بالضممة القصيرة وحذف حركة الفتحة القصيرة بعد الميم وإنهاء الكلمة بصوت التاء وحركة الفتحة القصيرة .

و / كَمَّأًا / < / كُمَّأًا / بإبدال حركة الفتحة القصيرة بعد الكاف بالضممة القصيرة وإنهاء الكلمة بحركة الفتحة الطويلة .

وفي كلمتين بعد الأصوات الشفوية وهما / أَسُنُّنًا / < / أَسُنُّنًا / بحذف صوت الهمزة وحركة الفتحة القصيرة بعدها ، وإضافة حركة الضمة القصيرة بعد السين وإبدال حركة الفتحة القصيرة بعد الميم بالضممة القصيرة . وإنهاء الكلمة بحركة الكسرة القصيرة .

و / خَلِيْفَةً / < / خَلِيْفَةً / بإبدال صوت الخاء بالكاف . وحركة الفتحة القصيرة بعد الفاء بالضممة الطويلة وحذف تاء التأنيث من نهاية الكلمة .

وفي كلمتين قبل صوت الجيم القاهرية والنون وهما : / سَجَدًا / < / سَجَدًا / بإبدال حركة الفتحة القصيرة بالضممة القصيرة وإنهاء الكلمة بحركة الفتحة القصيرة .

و / ظَلَمًا / < / ظَلَمًا / بإبدال صوت الظاء بالزاي وحركة الفتحة القصيرة بعد اللام بالضممة القصيرة وإبدال صوت الميم بالنون وحذف حركة الفتحة القصيرة

بعدها وإضافة التاء وحركة الفتحة القصيرة إلى نهاية الكلمة .

(د) الفتحة الطويلة < ضمة :

حدثت هذه في كلمة واحدة فيما جمعت من مادة علمية وهي | جَ اسَ | < | كُ سَ | بإبدال حركة الفتحة الطويلة بالضمة بعد صوت الجيم القاهرية وإنهاء الكلمة بحركة الفتحة القصيرة .

٣ - حركة الضمة :

(أ) الضمة < كسرة :

حدثت هذه الظاهرة في كلمة واحدة وهي | جُ مَ لَ ة | < | جِ مَ لَ ة | بإبدال حركة الضمة القصيرة بعد الجيم بالكسرة القصيرة وإضافة حركة الكسرة القصيرة بعد الميم وتضعيف اللام وحذف تاء التأنيث من نهاية الكلمة وإنهائها بحركة الفتحة القصيرة .

(ب) الضمة < فتحة :

حدثت هذه الظاهرة في أربع كلمات في ثلاث منها في المقطع الأول وهي :

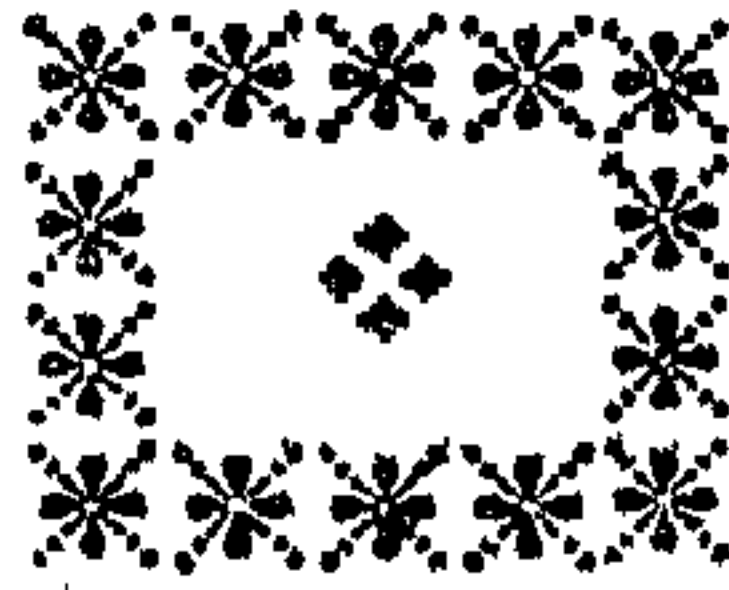
! سُ حُ و ر | < | سٌ هُ ر - بإبدال حركة الضمة القصيرة بعد السين بالفتحة القصير وإبدال صوت الحاء بالهاء وتقصير حركة الضمة الطويلة بعدها . وحذف الحركة من نهاية الكلمة .

و | مٌ صِ ي بَ ة | < | مَ سِ ي فَ |
بإبدال حركة الضمة القصيرة بعد الميم بالفتحة القصيرة ، وصوت الصاد بالسين ، والباء بالفاء وحذف تاء التأنيث من نهاية الكلمة

و | خٌ صٌ و مَ ة | < | هٌ سٌ و مَ |
بإبدال صوت الخاء بالهاء وحركة الضمة القصيرة بعدها بالفتحة القصيرة وإبدال صوت الصاد بالسين وحذف تاء التأنيث من نهاية الكلمة .

وفي كلمة واحدة في المقطع الثاني منها وهي
| أَظٌ ظٌ هٌ ر | < | أَرٌ هٌ ر | بإبدال صوت الظاء المضعفة بالزاي وحركة الضمة القصيرة بعدها بالفتحة القصيرة وإضافة حركة الفتحة القصيرة بعد الهاء وحذف الحركة من نهاية الكلمة .

مصطفى حجازى السيد حجازى



أهم مصادر المادة العلمية :

1. Abraham : Dictionary of the Hausa Language' University of London Press. 1973
2. Ahmed, Umaru Balarabe : Bora Da M'ora ' N.N.P.C 1972
3. Balewa , Abubakar Tafawa : Shaiha Umar ' N.N.P.C , 1973
4. Bamali , Nuhu : Bala Da Babiya ' N.N.P.C 1973
5. Iello. Walin Katsina : Gandoki ' N.N.P.C 1973
6. Dembo. Umaru : Wasannin yara ' N.N.P.C 1972
7. Gogge, Adanu, Dauda kano : Tabarmar Kunya ' N.N.P.C 1973
8. Imam, Abubakar : 1. Magana Jari ce ' I.N.N.P.C 1973
2. Ruwan Bagaja IV. N.P.C 1973
9. Ingawa, Ahmadu : Iliya Dan Maikarfi ' N.N.P.C 197e
10. Ka' oje, Abdullahi : Dare Daya ' N.N.P.C ' 1973
11. Makarfi, Shu'aibu : Jatau Na Kgallu N.N.P.C 1970
12. Rimmer, Ahmadu Ingawa, Abu Musawa Yakubu Auna
Zaman Mutum Da Sana'arsa ' N.N.P.C ' 1970
13. Tunau. Abubakar : Wasan Marafa N.N.P.C 1974
14. Wusasa, Tafida : Jiki Magayi ' N.N.P.C ' 1973
15. Yahaga. Ibrahim Yaro :Daren Sha Biyu ' N.N.P.C ' 1971
Karamin Sani Ii ' N.N.P.C ' 1973
Ka Kara karatu ' N.N.P.C ' 1971
Ka gi Ta karatu ' N.N.P.C ' 1973
N.N.P.C = Northern Nigerian Publishing Company Zaria.



من التزات اللغوى

القراز الصيرواني وكتابه في ضرورة الشعر للدكتور رمضان عبدالنور

- ٢ -

ما كانوا يجربون على تخطيط الشعراء، الذين كان يضطرونهم وزن الشعر وموسيقاه إلى مخالفة النظام اللغوي في بعض شعرهم، سواء في بنية الكلمات أو في الإعراب، أي أنهم لم يعترفوا بما يسمى: «ضرورة الشعر» وراحوا يتكلفون في التأويل والتخريج مالا يحتمل، أو يصنعون روايات أخرى تخلو من التحليل الواقع في هذا الشعر^(١).

على أن منهم - وهم قلة - من لم يغال في تقدير كل ما وصل إلينا، من كلام الشعراء الأقدمين، بل اعترف بأن هناك ضرورات للوزن الشعري، تلجىء الشعراء أحيانا إلى مخالفة المؤلف، من ألفاظ اللغة وقواعدها؛ ولذا عد ما جاء من ذلك في أشعار القدماء، شذوذا عن القاعدة، ومن هؤلاء العالم اللغوي حمزة بن الحسن

موضوع الضرورة الشعرية، بنظرة علماء العربية القدامى، إلى لغة

يرتبط

الشعر والنثر من حيث وجوب خضوع كل منهما، لخصائص لفظية وتعبيرية واحدة. وانطلاقا من هذه النظرة، أخذ علماء العربية يستشهدون بالمنظوم والمنثور، على قضايا اللغة والنحو، بيد أنهم سرعان ما لاحظوا وجود بعض التغييرات في البنية أو التركيب أو الإعراب، في بعض لغة الشعر، تنحرف بها عن سنن العربية وقواعدها العامة.

واختلف موقف هؤلاء العلماء من هذه الظاهرة، فذهب من كان منهم يؤمن بالسليقة اللغوية، وارتباطها بالجنس والوراثة إلى عد كل ما جاء عن العرب حجة لا تنقض، ولو خالف القياس أو الشائع والمألوف في اللغة، وترتب على هذا أنهم

(١) للائزادة في هذا الموضوع، راجع الفصل الذي عقده بعنوان: «ضرورة الشعر والخطأ في اللغة»

في كتابنا: «فصول في فقه العربية» ص ١٤٢ - ١٦٨

الإصهاني (المتوفى سنة ٣٥٠ هـ)^(١) ، والعالم الناقد القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني (المتوفى سنة ٣٦٦ هـ)^(٢) ، وأبو عبدالله محمد ابن شرف القيرواني (المتوفى سنة ٤٦٠ هـ)^(٣) وغيرهم .

ومن هنا اتجه بعض العلماء إلى البحث في الضرورات الشعرية ؛ فمنهم من خصص للكلام فيها فصولاً من كتبهم في اللغة والنحو ، ومنهم من أفردها بالتأليف ، كأبي العباس المبرد^(٤) ، وغيره ، حتى قال ابن فارس اللغوي (المتوفى سنة ٣٩٥ هـ) في رسالته ذم الخطأ في الشعر^(٥) : « وصنفوا في ضرورات الشعر كتباً » .

ومن هؤلاء العلماء ، الذين خصصوا الضرورة الشعرية بالتأليف أبو عبدالله القزاز في كتابه الذي تقدمه هنا ، حيث وقفه على البحث فيما يسوغ للشاعر دون الناثر ، من وجهة نظر علماء اللغة .

وقد أشار القزاز في مقدمة كتابه هذا (نشرة تونس ٢٣ = نشرة الإسكندرية ٢٩) إلى موضوع الكتاب ، والغرض منه ، فقال : « هذا الكتاب أذكر فيه إن شاء الله ، ما يجوز للشاعر عند الضرورة ، من الزيادة والنقصان ، والاتساع في سائر المعاني ، من التقديم والتأخير ، والقلب والإبدال

وما يتصل بذلك من الحجج عليه ، وتبيين ما يمر من معانيه ، فأرده إلى أصوله ، وأقيسه على نظائره ، وهو باب من العلم ، لا يسع الشاعر جهله ، ولا يستغنى عن معرفته ليكون له حجة لما يقع في شعره ، مما يضطر إليه ، من استقامة قافية ، أو وزن بيت ، أو إصلاح إعراب » .

فالغرض الذي يرمى إليه القزاز تعامياً كما يظهر من العبارة السابقة ، ويعزز ذلك قوله بعدها : « وذلك أن كثيراً ممن يطلب الأدب ، وأخذ نفسه بدراسة الكتب إذا مر بيت لشاعر من أهل عصره ، أو لطالب من نظرائه ، فيه تقديم أو تأخير ، أو زيادة أو نقصان ، أو تغيير حركة عما حفظ من الأصول المؤلفة له في الكتب ، أخذ في التشنيع عليه ، والطعن على علمه ، والإجماع على تخطئه . ولو نظر بعين الحق لعلم أن ذلك لا يخرج إلا من وجهين : إما أن يكون ذلك جائزاً ، لعل تغيب عنه لم يبلغ النهاية من علمها ، وهو كذلك ، ووهمه الذي لعله إن نبه عليه ، أو أعاد نظره فيه رجع عنه إلى الصواب ، وتخطاه إلى ما لا مطعن فيه من الكلام ؛ إذ كان غير معصوم من الخطأ ، ولا ممنوع من الزلل » .

(١) انظر التنبيه على حدوث التصحيف ١٥٧ - ١٥٨

(٢) انظر الوساطة بين المتنبي وخصومه ٤ ، ٩

(٣) انظر اعلام الكلام ٣٧

(٤) انظر إنباه الرواة ٣ / ٢٥٢ وبغية الرعاة ١ / ٢٧٠

(٥) انظر ذم الخطأ في الشعر ٢٩

وتدعي لهذا الاتجاه التعليمي ، يبدأ المؤلف
بمناقشة بعض الأخطاء ، التي أخذها علماء
العربية القدامى على بعض الشعراء ، محاولاً
أن يجد لها وجهاً من الصواب ، مستغلاً
بعض الشواهد الشعرية ، التي يعدها هؤلاء
العلماء من الضرورات الشعرية ، فيقول
مثلاً - في بيت أبي نواس :

نَسَبَهُ نَدِيمَكَ قَدْ نَعَسَ
يَسْقِيكَ كَأْساً فِي غَلَسِ

« قالوا : كان الوجه : (يسقك) كما
تقول في مثله : (ارم زيدا يرمك)
فتحذف الياء للجزم ، وهذا على ما أصل في الكتب
المختصرات ، على ما قيل ، غير أن لجوازه
وجهاً من العربية ، وهو أن الشاعر له أن
يجرى المعتل مجرى السالم ، فيتوهم أن الياء
كانت متحركة ، وأنه أسكنها للجزم ، على
أصل ما يفعل في السالم . ومثله قول الشاعر .

ثم نادى إذا دخلت دمشقاً

يا يزيد بن خالد بن يزيد

فقال : (نادى) ، وهو أمر ، فأثبت الياء
على ما ذكرنا .

وقد يستغل بعض القواعد العامة ، المبنية
على السماع أو القياس ، والتي أقرها بعض
النحويين ، فيستدل بها على صحة مذهب
الشاعر ، فيما عد خطأ عليه ، كقوله في
بيت أبي نواس :

كَبَنَ الشَّنَانُ فِيهِ لَنَا

كَكْمُونِ النَّارِ فِي حَجْرِهِ

« قالوا : والنار مؤنثة ، فكان الوجه أن يقول :
ككمون النار في حجرها . وهذا ظاهره على
ما قالوا ، ولكن العرب تنسج ، فتذكر
المؤنث لمعنى تخرجه له ، يثول به إلى التذكير
كما قال امرؤ القيس :

بِرَهْرَهَةِ رَخِصَةِ رُوْدَةٍ

كخُرْعوبَةِ البَانَةِ المنْفَطِرِ

فذكر (الخرعوبية) و (البانة) ،
لأنه يريد : (الغضن) أو نحوه من المذكر .

وبعد أن يورد شاهداً آخر من شعر أبي
ذؤيب الهذلي ، يقول : « هذا ، على أن
بعض النحويين يقول : كل ما لا روح له
يجوز تذكيره وتأنيثه ، وهذا وإن لم يكن
بشيء فقد ذكرنا بعض ما يعضده من شعر
العرب » .

وقد يدفع الخطأ عن الشاعر ، بالاتجاه
إلى تفسير النص الشعري ، على نحو جديد
من الفهم ، ينأى عن العيب الذي أخذ عليه
فيذكر مثلاً أن العلماء أخذوا على أبي تمام
قوله :

أظن دموعها سنن الفريد

وهي ساكاه من نجر وجيد

وأنهم قالوا : « فالسنن الطريق ، وأضاف
إليها الفريد ، وشبه الدموع بها ، وكان
الوجه أن يقول : أظن دموعها الفريد ،
لأنه هو الذي يشبه الدمع لا طريقه » ، ولكن
القزاز يخالفهم في هذا الفهم ، ويرى أن

الشاعر إنما أراد : « أظن سنن دموعها سنن الفريد ، يريد أن يشبه تتابع الدموع ، وهو سننه ، بتتابع الفريد إذا وهى سلكه » .

وعلى الرغم من أن القزاز ، يصرح بأنه لن يخرج في مناقشته لعيوب الشعر في هذا الكتاب ، عن دائرة النحو ، وأنه لن يلتفت إلى ما أخذ على الشعراء في غير النحو ، من عيوب المعاني والألفاظ والأوزان وما إليها ، حتى لا يكثر ما أراد تقليله ، ويصعب ما قصد تسهيله ، ويبعد ما أمّل تقريبه - نقول : على الرغم من ذلك ، فإنه تعرض لعيوب المعاني والألفاظ والأوزان ، وناقش كثيراً منها ، وأسرف في الاستشهاد عليها ، حتى شغل الكلام عليها حوالى ثلاثين صفحة من صفحات الكتاب ، ليدلل على أن « من طلب عيباً وجده ، ومن طلب مخرجاً لم يفته » .

ولذا نراه يتلمس المخرج ، لهما أخذ على الشعراء من هذه العيوب ، فيذكر - مثلاً - ما أخذ على المرقش في قوله يذكر امرأة :

صحبا القلب عنها على أن ذِكْرَة

إذا خطرت دارت به الأرض قائماً

فقد قالوا : كيف يصحو عنها من إذا ذكرت ، دارت به الأرض ؟ ويدفع ما عابوه بقوله : « وهذا أيضاً من العنت ، لأنه يريد أنه ترك طلابها ، على أنه في هذه الحال من الوجد بها » .

وعلى هذا النحو ، يحاول تصويب المعنى ، في قول زهير بن أبي سلمى ، يذكر الضفادع :

يخرجن من شربات ماؤها طحل

على الجذوع يخفن الغم والغرقا

فقد عابه العلماء بقولهم : « ليس خروج الضفادع من الماء ، مخافة الغم والغرق ، إذ كانت حياتهن إنما تكون مع كثرة الماء » . ولكن القزاز يرد ما عابوه بقوله : « وهذا أيضاً ليس بعيب ، وإنما أراد التبالغ ، أن يخبر أن هذه الضفادع ، التي إنما حياتها مع كثرة الماء ، قد زاد الماء عليها حتى صارت تهرب منه ، وجعل ذلك خوف الغم والغرق ، لأنه عادة من هرب من الماء من الحيوان » .

وبمثل هذا المنهج يعالج عيوب اللفظ والوزن ، يصوب ما ذهب إليه الشاعر حيناً ، ويسكت عنه أحياناً ، إلى أن يختم هذه المقدمة بقوله : « وهذا كثير إن تقصيته طال الكتاب ، وخرج عما قصدته من الاختصار » .

ولا تمنعنا هذه العبارة ، من القول بأنه قد خرج فعلاً في هذه المقدمة عن حد الاختصار ، كما أننا نستطيع أن نضيف إلى هذه الملاحظات ، ملاحظة أخرى تتصل باضطراب منهجه في العرض والمعالجة لهذه العيوب ، حيث تناول أولاً بعض عيوب المعاني ، ثم انتقل إلى الحديث عن عيوب الألفاظ ، وأتبع ذلك بالرجوع إلى ذكر

غيوب أخرى من عيوب المعنى ، ثم تكلم على عيوب الوزن :

وهذا الاضطراب المنهجي ، سوف نلاحظه كذلك في معالجته مسائل الضرورات كما سيأتي . بعد هذا يأخذ القزاز في عرض ما يجوز للشاعر في شعره ، من غامض العربية ومستنكرها في المنثور ، على حد تعبيره ، ولنا على هذا العرض ملاحظات أهمها :

١- لم يختط المؤلف لعرضه هذا منهجا متناسقا ، يجمع فيه النظر إلى نظيره ، والمسألة إلى ما يشاكلها ، بمعنى أنه لم يلتزم جمع مسائل الضرورة المتصلة بالإعراب ، ومسائلها التي ترجع إلى الحذف ، والأخرى التي يكون موضوعها الزيادة ، أو التغيير والتبديل في بنية الكلمة ، وغير ذلك في مكان واحد ، بل كان يعرض مسألة أو مسائل من هذه ، ويتبعها بأخرى من تلك ، ثم يعود إلى ما يشاكل الأولى : . وهكذا .

خذ مثلا حديثه عن ضرورات الإعراب في أول كتابه ، حيث يورد عدة مسائل من هذا الضرب ، ثم ينتقل (في المسألتين ١٣ ، ١٤) إلى الكلام على وضع المفرد في موضع الجمع وبالعكس ، ويتبع ذلك بذكر بعض ضرورات المعاني والحذف ، ثم يعود (في المسائل ١٧ - ٢٠) إلى ضرورات الإعراب . وفي المسألة رقم (٢٠) يتناول مسألة من مسائل الضرورة في الصيغ ، يعود بعدها مباشرة إلى عدة مسائل أخرى في ضرورات الإعراب :

ونستطيع أن ننتبع هذا الاضطراب في الكتاب كله ، مما يجعله أشبه بكتب الأملی ، من حيث فقدان المنهجية في عرض المسائل ومعالجتها ، وتنسيق تناولها :

٢- يتبع المؤلف أسلوباً ، يكاد يكون واحداً في معالجة كل ضرورة ، حيث يبدأ ببيان نوع الضرورة الجائزة للشاعر ، ويسوق شاهداً أو أكثر على جوازها ، مبيّناً في كل شاهد - موضع الضرورة ، ووجه مخالفة الشاعر للأصل فيها ، ويعلل لجوازها : وكثيراً ما يورد من أقوال علماء اللغة ، ما يكشف عن وجه الصواب فيها ، وقد يدلي برأيه مؤيداً وجهة النظر التي ارتضاها ، والأمثلة على ذلك كثيرة في الكتاب كله :

٣- التوسع في التماس الضرورات ، ويدخل في هذا الباب ماتعده بعض المذاهب ضرورة ، على حين ترفضه المذاهب الأخرى من ذلك على سبيل المثال :

حذف الإعراب على قول قوم من النحويين إذا اضططر الشاعر إلى ذلك ، وهذا لا يجوز عند أكثرهم في كلام ولا شعر (المسألة ٤١) ومنها : إفراد واحد « كلتا » عند الكوفيين وهذا لا يجوز عند البصريين (المسألة ٩٦) ومنها : حذف ألف الاستفهام ، وليس في الكلام عليها دليل ، وهذا جائز في الضرورة عند الكوفيين ، ويمنعه البصريون (المسألة ١١٨) ، وغير ذلك كثير ، مما جعل كتابه يحوى ١٤٣ مسألة في الضرورة :

٤ - كثيراً ما يستدل القزاز بأقوال العلماء السابقين ، على بعض القضايا التي يعالجها ، ويهمل نسبة هذه الأقوال إلى أصحابها ، مما يجعل البحث عن هذه الأقوال في مصادرها صعب المرام ، وعباراته التي يصدر بها هذه الآراء كثيرة ومتنوعة منها مثلاً : « قالوا » و « قال قوم » و « أنكر قوم » و « قد زعم قوم » و « بعضهم يرويهِ » و « أنكر بعض أهل النظر » و « زعم بعض أهل النظر » و « قال بعض النحويين » وغير ذلك :

٥ - لم يكن المؤلف دقيقاً دائماً ، فيما ينقله من نصوص أقوال سابقيه ، إذ نلاحظ بعض التغيير في عبارة النص في كتاب القزاز ، وعبارته في مصدره الأصلي ، فإذا أخذنا مثلاً ، ما نقله القزاز عن سيويوه في التعليق على بيت أبي قيس بن الأسلت (المسألة ٩) :

ألا من مبلغ حسان عني
أسحر كان طيبك أم جنون
وبيت الفرزدق :

أسكران كان ابن المراغة إذ هجا
تميماً بجوف الشام أم متساكر
حيث يقول القزاز : « قال سيويوه :
فهذا إنشاد بعضهم ، وأكثرهم ينصب
سكران ويرفع الطب ، وينصب سحرا ،
ويرفع متساكرا وجنونا ، على قطع وابتداء
كأنه قال : أم هو متساكر » .

ونرجع إلى نص سيويوه في كتابه فإذا هو : « فهذا إنشاد بعضهم ، وأكثرهم ينصب السكران ويرفع الآخر على قطع وابتداء » فانظر كيف صارت عبارة سيويوه في كتاب القزاز !

٦ - كثرة الشواهد الشعرية في كتابه ، فمما يلفت النظر أن المؤلف قلما كان يكتفي بشاهد أو اثنين في المسألة التي يعرضها ؛ ولذلك جاء كتابه هذا جامعا لعدد كبير من الشواهد ، لا يتناسب مع حجمه

الصغير نسبيا ، وهسهذه ناحية من النواحي التي تجعل للكتاب أهمية خاصة ، لدى الباحثين والمحققين ، في ميدان اللغة والنحو .

ولم يقتصر القزاز في شواهدة على الشعر ، بل كان يستمد بعض شواهدة من القرآن الكريم ، وإن كان ذلك على قلة ، إذ لم تتعد شواهدة القرآنية ٢١ شاهدا ، وهو يسوق الآيات القرآنية ، للاستشهاد على جواز الضرائر التي يستشهد عليها ، بلا تفرقة بين القراءة المتواترة والقراءات الشاذة .

أما الأحاديث النبوية ، فلم يأت منها بشاهد واحد ، وقد استشهد بأمثال العرب ومأثور قولها ، مثل : افتد مخنوق . أطرق كرا . ذهب فلان السمهي . أعز من الكبريت الأحمر . استنوق الحمل . قالت نخلة لأختها : أبعدى ظلي من ظلك أحمل حملي وحملك ... إلى غير ذلك :

٧- وهناك ميزة أخرى لهذا الكتاب ، تتمثل في عناية المؤلف - إلى حد ما ، بالتنبيه على الروايات المختلفة ، للشعر الذى يستشهد به ، تحلو من الضرورة التى تؤخذ على الشاعر ، فإذا عرفنا أنه ترك شيئاً من النص على تلك الروايات التى تحلو من الضرورة ، أمكننا أن ندرك مدى استفادة الدارسين والباحثين فى موضوع الضرورة من هذه الروايات ، وما يمكن أن يستخلصوه على ضوءها من نتائج كبيرة فى هذا الموضوع .

٨- كذلك ينفرد القزاز من حيث الاستشهاد بالشعر ، بما أورده من بعض الشواهد ، التى يغلب على ظننا أنها من اختياره الخاص ؛ إذ لم نجد لها فى كل ما وصل إلينا من مؤلفات العلماء ، الذين تعرضوا لهذا الموضوع قبله ، وأوردوا الشواهد عليه . بل إننا لم نجد مصدراً من هذه المصادر ، يضم كثرة من شواهد كتابه الأخرى ، وإنما هى مفرقة فى هذه المصادر وغيرها من تراث العربية فى فنونها المختلفة ، مما يدل على سعة اطلاع الرجل ، وتمكنه من مادة موضوعه الذى عالجها .

٩- لم يعن المؤلف كثيراً بنسبة الشعر إلى قائله ، فعظم شواهد غير معزوة إلى أصحابها ، شأنه فى ذلك شأن كثير من المؤلفات القديمة ، وعلى رأسها كتاب سيبويه المشهور .

١٠- يسوق القزاز بعض الشواهد مصدرة بعبارة : « قال الأول » ، وهى عبارة لم نهدأ إلى وجه المراد بها ، فهى توحى فى بعض

المواضع بأن المراد بها الشاعر الجاهلى ، كالربيع ابن ضبع الفزارى (المسألة ٣٤) وزهير ابن أبى سلمى (المسألة ٤٤) ، على حين يصدر بها بيتا للفرزدق فى موضع آخر (المسألة ٩٨) والفرزدق شاعر أموى إسلامى (وانظر كذلك المسألة ٤٢ والمسألة ٤٧) .

١١- يمكن الوقوف على بعض المصادر ، التى استقى منها القزاز بعض مادة كتابه ، على ضوء ما أورده من عبارات ، عثرنا عليها بنصها فى مصادر أقدم من كتاب القزاز ، ومن أشهر هذه المصادر ، وأكثرها دورانا عند القزاز : كتاب سيبويه ؛ فهو يصرح بالنقل عنه فى ١٧ موضعاً من كتابه . وقد عثرنا على بعض هذه النقول بنصها فى كتاب سيبويه بلا تغيير أو تبديل (انظر مثلاً : المسألة ١٧ والمسألة ٥٦) ، وهناك بعض النقول التى أصيبت بالتغيير والتبديل ، كالمثال الذى سقناه هنا فى الملاحظة الخامسة ، كما أن هناك نقولاً لم نعر عليها فى الكتاب (انظر مثلاً : المسألة ١٢ والمسألة ١٧)

ويشير القزاز فى كتابه إلى أن بعض المحمدين عاب عدداً من الشعراء ، وأخذ عليهم سقطات فى أشعارهم ، وفضل قوله على قولهم . فإذا عرفنا من كتاب العمدة (١ / ١٣٤) أنه يعنى بذلك « أبا العباس الناشئ » ، الذى ألف كتاباً فى تفضيل شعره على شعر الفحول ، مثل جرير وغيره ، وسماه : « تفضيل الشعر » ، أمكننا أن نعد هذا

الكتاب للناشيء ، أحد المصادر التي نظر فيها القزاز ، وأفاد منها .

كذلك نستطيع أن نعد من الكتب التي أفاد منها القزاز : « كتاب الشعر والشعراء » ، لابن قتيبة ؛ ففي المسألتين (٥٣ ؛ ٥٤) نصوص تكاد تتفق مع ما في هذا الكتاب في العبارة وترتيب الشواهد .

ويروى القزاز عن المبرد ، في ثلاثة مواضع من كتابه ، ولم نعثر على نص رواية المبرد في كتبه التي بين أيدينا ، كالكامل ، والفاضل ، والمتعصب ، والمذكر والمؤنث ، وأغلب الظن أنه كان متأثرا فيها بكتاب المبرد المنقود ، في ضرورة الشعر .

كذلك يروى القزاز عن الفراء ، في مواضع ثلاثة من كتابه ، وقد راجعنا كتب الفراء ، التي بقيت لنا من مؤلفاته ؛ وهي : معاني القرآن ، والمذكر والمؤنث ، والأيام والليالي ، والمنقوص والممدود ، فلم نجد هذه النقول بنصها في هذه الكتب ، غير أنه مما يلفت النظر أن القزاز أورد في موضع واحد (المسائل ٨٦ ؛ ٨٧ ؛ ٨٨) عددا من الشواهد ، نجدها بترتيبها في معاني القرآن للفراء ١ / ٦٦ - ٦٨ فاعله نظر فيه ، وأفاد منه .

وقد أشار القزاز في موضعين من كتابه هذا ، إلى كتاب آخر له ، هو كتاب : « الحروف » ، وأحال عليه ، ويبدو أنه كان قد فرغ من تأليفه قبل كتابه في الضرائر .

هؤلاء هم العلماء الذين نص عليهم القزاز في كتابه ، ولا يعني هذا أنه لم يفد من مؤلفات غيرهم ، ففي كتابه إشارات كثيرة إلى أقوام غيرهم ، لم ينص على أسمائهم ، وإن كان قد نقل عنهم واستفاد من مؤلفاتهم ، بصريين وكوفيين وغيرهم ؟

أما عن تأثر اللاحقين في مؤلفاتهم ، بكتاب القزاز الذي نتحدث عنه ، فإن التأثر لا يظهر إلا عند تلميذه ابن رشيقي القيرواني في كتابه : « العمدة » ، فقد نقل عن أستاذه قصة ملاحاة مسلم بن الوليد ، وأبي نواس ، كما رواها القزاز في هذا الكتاب (انظر العمدة ١٩١ / ٢) .

١٢ - بقيت ملاحظة أخيرة ، تتصل بلغة القزاز في مؤلفه هذا ، وهي في مجموعها لا تخرج عن طابع الفصاحة ، غير أن له بعض الاستعمالات اللغوية ، غير المألوفة في اللغة ، من مثل قوله : « وهذا فليس منه » (المسألة ٦) ، وقسوله : « واللام فعلها الإعراب » (المسألة ٨١) ، وقوله : « والعرب فمن كلامها » (المسألة ٨٥) ، ودخول الفاء في مثل هذه العبارات من أساليب القرآن الكريم .

كما أنه يستخدم كلمة « سائر » حيناً بمعنى « الباقي » (المسألة ٨١) وهو الاستعمال الفصيح ، وأحيانا يستخدمها بمعنى « جميع » (المقدمة ، والمسألة ٣٨) ، وهذا الاستعمال

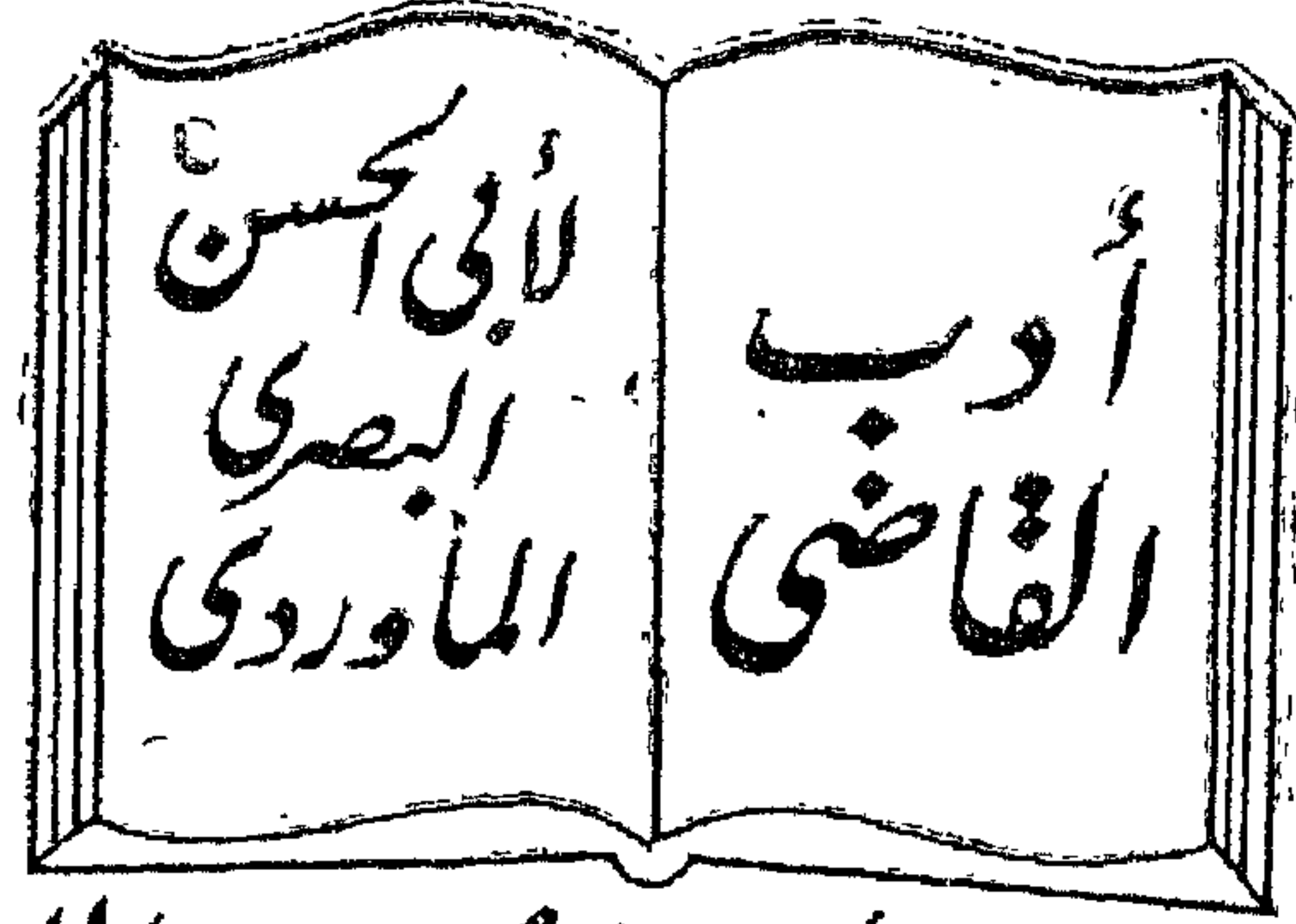
صياغة التعجب ، مما الوصف منه على أفعال
مباشرة ، كذلك لا يجوز في التفضيل (المسألة ١٢٢)
هذه ملاحظات ، أردنا بها أن نحدد بعض
الملامح العامة ، لمنهج القزاز ومادته في هذا
الكتاب ، تهدي الباحث فيه والمهتم بقضاياها .
والله أعلم .

رمضان عبد التواب

من أوهام الخاصة وأغلاطهم ، عند الحريري
في كتابه ذرة الغواص في أوهام الخواص ٢
وهناك قلة من العبارات ، اختصرها القزاز
اختصاراً ، أضفى غير قليل من الغموض على
المراد منها ، وأحوجنا إلى شرحها ، ليظهر
معناها ، فن ذلك قوله : « وهذا بمعنى
التعجب » ، يعني أن التفضيل بمعنى التعجب
في شروط صياغة كل منهما ، فحيث لا يجوز



تعريف ونقد



تحقيق : الأستاذ محيى هلال السرحان تعريف ونقد : الأستاذ محمد عبد الفتى هب

ولكنه جزء ضخمة من كتاب كثير الضخامة هو كتاب (الحاوى) الذى بلغت عدة أجزائه ثلاثين جزءا ، والذى لا يزال مخطوطا كله لم يخرج إلى نور الحياة بالطبع ، إلا هذا الجزء فى أدب القاضي الذى تصدى الأستاذ العراقى محيى هلال السرحان لإخراجه وتحقيقه والتعليق عليه والتقديم له ضمن أطروحة جامعية لنيل درجة الماجستير فى الشريعة الإسلامية من جامعة بغداد .

ولقد فاز الأستاذ المحقق بنيل درجة الماجستير ، كما ظفرت المكتبة العربية بكتاب (أدب القاضي) مطبوعا فى جزئين كبيرين ، تبلغ صفحات الأول أربعين وسبعمئة صفحة ، وصفحات الثانى ثمانمئة صفحة ، وهو عمل طباعى عظيم نهضت به رياسة ديوان الأوقاف بالعراق مشكورة ، على الرغم مما بذل فيه من مال كبير . ولكن أين المال من إحياء أثر علمى كبير لعالم عربى مسلم اشتهر بالفقه

كتاب جيد نفيس مما
هذا صنفه الفقيه الإمام
الماوردى صاحب كتاب (الأحكام
السلطانية) المشهور ، وكتاب (أدب الدنيا
والدين) ، و (أعلام النبوة) وكتاب
(قوانين الوزارة وسياسة الملك) الذى ظن
الأستاذ الحليل الشيخ أبو الوفا المراغى الأمين
السابق لمكتبة الأزهر أنه مفقود لم يصل إلى
أيدي العلماء ، على حين أنه طبع فى دار
العصور بمصر سنة ١٩٢٩ تحت عنوان
(أدب الوزير) . . .

ويزيد فى قيمة كتاب (أدب القاضي)
للماوردى أنه يرى النور بطبعه فى المطابع
العربية لأول مرة ، بعد أن ظل حبيسا
فى نسخة المخطوطة كل هذا الزمن الطويل
منذ وفاة الماوردى سنة ٤٥٠هـ إلى يومنا هذا .

والحق أن كتاب (أدب القاضي)
للماوردى ليس كتابا مستقلا قائما بذاته ،

والأدب فكان فيهما حجة ، على فلة من يجمع بين الفقه والأدب في شخص واحد ، إلا ما ندر من أمثال الماوردي الذي جمع بين الفقه والقضاء والأفتاء ، والأصول ، والتفسير ، والحديث واللغة ، والنحو ، والشعر ، والأدب ، والسياسة ، فكان في ذلك كله سابقاً لا يلحق . . .

ولقد عاش الإمام الماوردي خمسين سنة من القرن الخامس كانت أنضج سنوات عمره ، وأحفلها بالأعمال الجليلة . أما الست والثلاثون سنة التي عاشها في القرن الرابع قبل ذلك فقد كان أكثرها في الطلب والعلم في مدينة البصرة أولاً ، وفي العاصمة بغداد بعد ذلك . وقد شهد ألوانا من الصراع الفكري والسياسي والمذهبي في العراق ، وخرج من ذلك كله شخصية عظيمة من العلم والتجربة أهاته لأن يكون فقيهاً على المكان ، ومفتياً ، وقاضياً . ولم يكتف من القضاء بمنصبه العادي ، بل بلغ به الشأن أن يفوز بلقب (أفضى القضاة) ، وأن يظل هذا اللقب الجليل ملازماً له إلى أن لا وجه ربه سنة ٤٥٠ هـ

ومن العجب أن هذا اللقب العظيم ظل ملازماً له بعد وفاته بقرون ، فبقى المؤرخون والمصنفون وكتاب التراجم والطبقات يصفونه بهذا اللقب ، كالذي نجده في « طبقات الشيرازي » ، و « تاريخ دولة آل سلجوق

للبنديري » ، و « الأنساب » للسمعاني ، و « الوافي بالوفيات » للصفدي ، و « شذرات الذهب » لابن العماد الحنبلي ، و « روضات الجنات » للخوارزمساري ، وغيرهما .

وقبل المضي في التعليق على أول طبعة لكتاب (أدب القاضي) ينبغي أن نشير إلى أن بعض الكتاب المعاصرين يخطئون في كتابة اسم (الماوردي) فيجعلونه (المواردي) يواو بعدها ألف وراء ، كأنها نسبة إلى (الموارد) جمع (مورد) . وهو وهم غليظ ، وخطأ فاحش ، فإن الماوردي - بميم بعدها ألف ، وواو ، وراء ، نسبة إلى بيع الماورد - وهو ماء الورد - كما قال بذلك الحافظ ابن ماكولا ، في (الإكمال) والسمعاني في (الأنساب) وكما جاء في (وفيات الأعيان) لابن خلكان ، و (شذرات الذهب) لابن العماد الحنبلي و (كشف الظنون) لخاصجي خليفة وغيرها في القديم ، وكما جاء في (الأعلام) للزركلي ، و (معجم المؤلفين) لعمر رضا كحالة و (كنوز الأجداد) لمحمد كرد علي في الحديث .

نضيف إشارة ثانية لعلها تفيد القارئ وتريده علماً بما دون في أدب القضاء على مذهب الإمام الشافعي من كتب ، وقد أحسن المحقق محيي هلال السرحان حين دون في مقدمته لكتاب الماوردي ما ألف من كتب في أدب القاضي والقضاء منذ بداية عصر

للإمام السيوطي المؤرخ المصري المتوفى سنة ٩١١ هـ ، و (جواهر العقود ، ومعين القضاة والموقعين والشهود) لشمس الدين المهاجى ، و (الديباج المذهب ، فى أحكام المذهب ، فى أدب القضاء) لمؤلف مجهول ، وهو مخطوط بدار الكتب المصرية . . .

هذا ولا حاجة بنا إلى الإطالة فى الحديث عن القاضى الإمام الماوردى ، فليس هنا موضعه . ويكفى أن نحيل القراء الكرام إلى طائفة من الكتب فى القديم والحديث ، ترجمت للماوردى ، ليرجع إليها من شاء من القراء . وقد ذكر المحقق أكثر هذه الكتب وكاد يوردها على سبيل الحصر فى هامش الصفحتين ١٤ ، ١٥ من الكتاب . فهو ثبت واف أربى على الثبوت الذى أورده الطناحى وعبد الفتاح محمد الخلو فى هامش الجزء الخامس من كتاب (طبقات الشافعية) للإمام السبكي فى معرض ترجمة السبكي للإمام الماوردى . ص ٢٦٧

وبهذه المناسبة أود أن أشير إلى أن السبكي فى طبقاته الجلييلة قد أضفى على الماوردى من نعوت التقدير والإجلال ما يليق بقدره ، مع أن تاج الدين السبكي متحفظ ومقتصد فى نخل الألقاب والنعوت والصفات على من يترجم لهم فى طبقاته . فوصف صاحبنا الماوردى بقوله : (على بن محمد ابن حبيب الإمام الجليل القدر الرفيع الشأن أبو الحسن الماوردى)

التدوين والتأليف فى الأدب العربى حتى عصر الماوردى فى القرن الخامس الهجرى ، وهذه الكتب مذكورة فى الصفحتين السادسة والستين والسابعة والستين من الكتاب الذى نحن الآن بسبيل نقده والتعليق عليه . فليرجع إليها القراء . . . أما ما ألف من كتب أدب القاضى وآداب القضاء بعد ذلك - على المذهب الشافعى كذلك - فنذكره هنا جريا على عادتنا من إفادة الباحث بما قد لا يستطيع التهدى إليه ، وهذه الكتب هى : (روضة الحكام وزينة الأحكام) للرويانى المتوفى سنة ٥٠٥ هـ ، و (العمدة ، أو أدب القضاء) لابن جميع القرشى قاضى القضاء بمصر والمتوفى سنة ٥٥٠ هـ ، و (أدب القاضى) للسمعانى صاحب كتاب الأنساب المشهور ، والمتوفى سنة ٥٦٢ هـ ، و (ملجأ الحكام ، عند التباس الأحكام) لابن عتاب الأسدى المتوفى سنة ٦٣٢ هـ ، و (أدب القضاء) لابن أبى الدم المتوفى سنة ٦٤٢ هـ - وقد صدر مطبوعا عن مجمع اللغة العربية بدمشق ، ومحققا بمعرفة الدكتور محمد مصطفى الزحيلي الأستاذ بجامعة دمشق - وكتاب (أدب القضاء) لابن مسلم القرشى الدمشقى المتوفى سنة ٧٩٣ هـ ، و (آداب الحكام ، فى سلوك طريق الأحكام) لشرف الدين الغزى المتوفى سنة ٧٩٩ هـ ، و (عماد الرضا ، ببيان أدب القضاء) لذكريا الأنصارى المتوفى سنة ٩١٠ هـ ، و (أدب القضاء)

ثم عاد في خلال الترجمة له يقول عنه :
 (وكان إماما جليلا رفيع الشأن ،
 له اليد الباسطة في المذهب ، والتفنن التام
 في سائر العلوم) ، ثم عاد لينقل في الترجمة
 كلاما لابن خيرون عن الماوردي يقول فيه :
 (كان رجلا عظيم القدر ، مقدا عند
 السلطان ، أحد الأئمة ، له التصانيف الحسان
 في كل فن من العلم) .

والحق أن كل كلام قيل في الماوردي
 هو دون ما يستحق ، وأقل مما يستوجب ،
 فقد جمع إلى العلم الخلق الكريم . فقد قال
 عنه تلميذه عبد الملك الهمداني - ونقلها عنه
 صاحب معجم الأدباء - : (لم أر أوقر منه ،
 ولم أسمع منه مضحكة قط ، ولا رأيت
 ذراعه منذ صحبتته إلى أن فارق الدنيا . . .) .
 وما الظن برجل لم يكشف عن ذراعه أمام
 واحد من تلاميذه ، توقرا وتصونا ؟ وقال
 عنه المؤرخ ابن كثير صاحب البداية والنهاية :
 (وقد كان حلما وقورا ، أدبيا ، لم ير
 أصحابه ذراعه يوماً من الدهر ، مع شدة
 تحرزه وأدبه) . وقد بلغ من مروعة الماوردي
 وجلال قدره أنه رأى كشف الذراع أمام
 الرجال منقصة من قدر الكريم .

ويكشف كتاب (أدب القاضي) للإمام
 الماوردي عن عقليته رجل فقيه لا يقل قدره
 عن قدر الأئمة السابقين ، فهو حين يعالج
 المسألة من الفقه يتناولها تناول الفقيه الأصولي
 الرائد المجتهد غير المقلد ، ففي بحثه حول

موضوع مذهب القاضي وهل يشترط أن
 يكون موافقا لمذهب الإمام يقول في حجية
 ونصوح بيان : (ولا يلزم في تقليد القضاء
 أن يكون مذهب المولوي موافقا لمذهب المولوي ،
 ولا يمنع اختلاف مذهبيهما من التقليد بينهما ،
 فيجوز للشافعي أن يقلد حنفيا ، وللحنفي
 أن يقلد شافعيًا ، لأن على القاضي أن يحكم
 بمذهبه لا بمذهب غيره ، ويعمل على اجتهاد
 نفسه لا على اجتهاد غيره) .

وقد اجتمع له من سابق الخبرة في القضاء
 على امتداد رقعة الإمبراطورية الإسلامية
 ما جعله يضع للتقاضي والقضاء آدابا وشروطا
 تعد دستوراً صحيحاً لسلامة الإجراءات
 القضائية على تطاول الدهور ، لأن طبائع
 الناس هي دائماً بعينها على اختلاف الأزمنة
 والأمكنة ، ومن تدقيقاته واحترازاته في أول
 قيام القاضي بعمله - بعد أن ينعقد القضاء
 له من الخليفة أو الوالي - أن (يتسلم ديوان
 الحكم بمن كان قبله ، أو من أمين إن كان
 في يده ديوان الحكم هو حجج الخصوم
 من المحاضر والسجلات وكتب الوقوف ،
 لأن الحكام يستظهرون في حفظ الحقوق على
 أربابها بحفظ حججهم ووثائقهم في نسختين ،
 يتسلم المحكوم له إحداهما ، وتكون الأولى
 في ديوانه حجة يرجع إليها إذا احتاج ليكون
 على ثقة مما في يده . . .) .

ويجربنا الحديث عن « القاضي » إلى جنسه
 من البشر . أيكون ذكرا فقط أم يصح

لقد سبق القول أن كتاب (أدب القاضي) للماوردي يكون جزءاً من كتاب (الحاوي الكبير) للمؤلف نفسه ، ولم ير النور من كتاب الحاوي إلا هذا القسم الخاص بأدب القضاء ، وقد رجع المحقق في تحقيقه لهذا الكتاب إلى نسخ خطية متفرقة في أنحاء من العالم ، باع عددها تسعا . واتخذ الجزئين المودعين مكتبة متحف استنبول ، ومكتبة السلمانية باستنبول النسخة الأم ، وإن كان قد تفرق جزءاها في موضعين من العاصمة القديمة لتركيا ، ووضع المحقق لنفسه منهجاً في التحقيق ساقه إلى كثير من الجهد والمعاناة ، وطول المراجعة ، وكثرة المقابلة . فقابل بين النسخ الخطية ، وقرأها قراءة واع فطن ، ونبه على التصحيحات الواردة وهي كثيرة ، وضبط هيئة الكلمات ضبطاً لغوياً صحيحاً ، وشرح ما رأى ضرورة شرحه للقارئ ، وخرج الأحاديث الكثيرة التي أوردها الماوردي ، وبين أرقام الآيات القرآنية وسورها ، ودل على المصادر التي تناولت مسائل الكتاب في كتب الإمام الشافعي ، وكتب أصحابه وهي كثيرة جداً ، وكان على رأس هذه الكتب « مختصر المزني » تلميذ الشافعي ، ومختصر كلام الشافعي في كتبه المختلفة ، ونسق المحقق مسائل الكتاب ، وقسم إلى فقرات ، وخرج أقوال الصحابة ، وآثار التابعين ، وأبيات الشعراء فأحاطها إلى مكانها هداية للباحث ، وتيسيراً على الدارس

أن يكون أنثى ؟ وهنا نستعرض ما ذكره الماوردي - وهو هنا يمثل رأى الشافعية ، ثم يذهب إلى عرض رأى الحنفية ، فيقول : (. . . والشرط الثاني - أي من شروط ولاية القضاء - الذكورة : فيكون رجلاً . فأما المرأة فلا يجوز تقليدها . وجوزه ابن جرير الطبري كالرجل . وقال أبو حنيفة : يصح قضاؤها فيما تصح فيه شهادتها . وشهادتها عنده تصح فيما سوى الحدود والقصاص ، فأما ابن جرير فإنه علل جواز ولايتها - يعني القضاء - بجواز فتياها ، وأما أبو حنيفة فإنه علل جواز ولايتها بجواز شهادتها) . ويبدى الماوردي رأيه بفساد رأى القائلين بجواز ولاية المرأة للقضاء قائلاً : (والدليل على فساد ما ذهبوا إليه قوله تعالى : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض » يعني في العقل والرأى ، فلم يجوز أن يقمن على الرجال ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم « ما أفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة » . وقوله صلى الله عليه وسلم : « أخروهن من حيث أخرهن الله » ولأنه لما منعها نقص الأنوثة من إمامة الصلوات مع جواز إمامة الفاسق كان المنع من القضاء - الذي لا يصح من الفاسق - أولى . ولأن نقص الأنوثة يمنع من انعقاد الولايات ، كإمامة الأمة ، ولأن من لم ينفذ حكمة في الحدود ، لم ينفذ حكمه في غير الحدود كالأعمى) .

* * *

ولم يكتب بذلك - وهو فوق الكفاية -
فترجم للأعلام في هوامش الكتاب تراجم
موجزة جامعة ، دقيقة ، وكشف عن مصادر
الترجمة لهم : ورجع في ذلك كله إلى مئات
من الكتب أعانته على إيفاء الترجمة ، ودقة
التحقيق ، حتى بلغت مصادر أربعة وستين
وأربعمئة مصدر ، ما بين مخطوط ومطبوع ،
وما بين غفل ومعروف ، وما بين كتاب
ومجلة ، حتى كأنه لم يترك مرجعاً يعينه على
الوفاء بالتحقيق الكامل إلا رجع إليه ،
واستأنس به ، وبالطبع لم يذكر هذه المصادر
الكثيرة تكاثراً وتفاهراً وادعاء لما لم ينهض به ،
ولكنه غربل هذه المصادر كما يبدو من
هوامشه الكثيرة المفيدة الممتعة .

وإذا كان هذا هو جهد المحقق الفاضل
في أطروحة قدمها لنيل الماجستير ، فماذا
يكون جهده في أطروحة يتقدم بها لنيل
الدكتوراه ؟

وعلى الرغم مما بذله الأستاذ محيي هلال
السرхан من جهد في هذا الكتاب ، وقعت
فيه بعض هفوات من أثر الطبع أو غير
الطبع ، لعلها وقعت لتؤكد معنى قول الشاعر
القديم :

ما كان أحوج ذا الكمال إلى

عيب يوقيه من العين

ونسوق الآن بعض هذه المآخذ الواقية
من عيون الحساد :

صفحة ١٢ - (مقرونة بتوثيق الثقة)
وصوابها : الثقات لأنها
جمع مؤنث سالم .

صفحة ٢٤ - (فجعلته لنفسه عذراً ،
ولغيرك جرماً) . وصوابها -
كما يقتضيه السياق : (فجعلته
لنفسك عذراً ، ولغيرك
جرماً) .

صفحة ٥١ - (فإنني لم أعر على نسخة
عنه) . وصوابها : منه

صفحة ٥٧ - (وقد يتبادر إلى الذهن أن
الكتاب كتب وعظ وإرشاد)
وصوابها : كتاب وعظ .

صفحة ١٣٥ - (. . . أما لشبهه تدخل على
من تدين) . وصوابها :
(لشبهه) بالتاء المربوطة هـ

صفحة ٢٤٥ - (عبادته المرضي) هـ
وصوابها : عيادته ، بالياء
المثناة التحتية ، من الفعل :
عاد ، لاعباد :

وما لنا نذكر هذه المآخذ ، وحسنات
المحقق كفيلاً أن تذهب بعض ما وقع في
الكتاب من سيئات الطبع ؟ وقد فاتنا أن نشير
إلى مزية أخرى يمتاز بها هذا الكتاب الجليل ،
وهي تلك الفهارس الخمسة عشر التي أضفت
على النص الثمين ذاته قيماً كبرى ، بتيسير
الإفادة منه ، والرجوع إليه ، وقد بلغت

عدة صفحاتها ثمانين وثلاثمائة صفحة كاملة ،
وهي فهارس المصادر ، والأعلام ، والكتب ،
والألفاظ العلمية والحضارية ، والمصطلحات ،
والأمثال ، والأيام والوقائع ، والأوائل ،
وآيات القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية ،
والمواضع الجغرافية ، والفرق والقبائل ،
والشعر والكتب التي نقلت عن الماوردي ،
وموضوعات الكتاب ومواده ، وتكون هذه
الفهارس كتاباً يكاد يقوم بذاته .

ولن ندع القلم هنا دون أن نشير إلى المزية
الأدبية التي امتاز بها كتاب (أدب القاضي)
بالإضافة إلى المزية الفقهية فيه . فقد أضنى
الإمام الماوردي ذوقه الأدبي على كل موضوع
فقهي تناوله حتى جعله سائغاً لكل قارئ .
فلا تحس في هذا الكتاب ، ولا في كل ما ألفه
الماوردي مما بين أيدينا من كتب ، ذلك
الحناف والجمود والتزمتم الذي تجده عند
أكثر الفقهاء ، ولكن تجده على أسلوب الرجل
مسحة من الأدب والذوق البلاغي الرفيع ؛
ومن هنا كان حبه للشعر وروايته له والإكثار
من روايته في كثير من مصنفاته . وتبدو هذه
الظاهرة بكثرة في كتابه : (أدب الدنيا
والدين) الذي نشرته « وزارة المعارف » منذ
أكثر من نصف قرن ليوزع على طلاب
المدارس الثانوية والمعاهد فيما كانت توزع
على الطلبة تزودهم بزاد طيب من القراءة .

ولقد نشر « أدب الدنيا والدين » يومئذ
بتحقيق الفقيه العلامة الشيخ أحمد إبراهيم بك
رحمه الله وتقديمه بترجمة وجيزة للماوردي .
وما رأيت فقيها ينسب الشعر الذي يسوقه
للاستشهاد إلى قائله كما يفعل القاضي
الماوردي . وهو لا يخط أو يخلط في النسبة ،
بل يأتي بها على وجهها الصحيح . ولقد كثر
الشعر المروي في « أدب الدنيا والدين »
وكررت فيه نسبته إلى أصحابه . ما عدا مواضع
محدودة مما لم يستطع الرجل أن يتحقق منه .
وياليت « أدب الدنيا والدين » تعيد طبعه
اليوم وزارة الثقافة أو وزارة التعليم ، ضنا به
أن يحجب عن الناشئين :

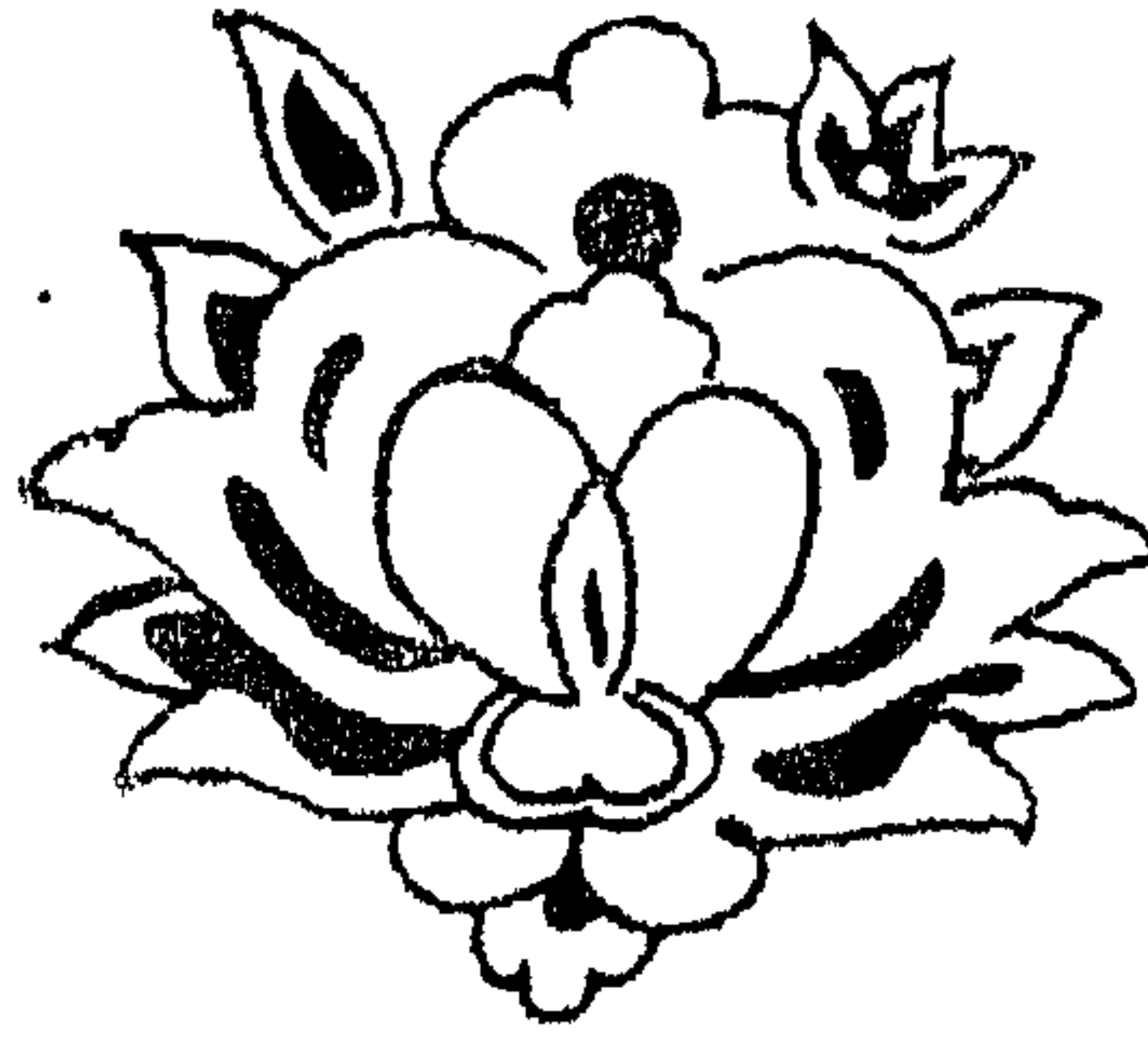
وباغ من حب الماوردي للشعر أنه كان
يدخله في مسائل الفقه ، بل كان يدخل فيه
أبيات الغزل مما لفت نظر السبكي
في طبقات الشافعية وهو يترجم له . وبلغ
من حبه له كذلك أنه صنف كتاباً عنوانه
(كتاب الأمثال والحكم) ، يجمع فيه من
السنة النبوية ثلاثمائة حديث ، ومن الحكمة
ثلاثمائة فصل ، ومن الشعر ثلاثمائة بيت .
وعرف منه أخوه المقيم بالبصرة حبه للشعر
فكان يرسل إليه البيتين أو المقطوعة يستروح
بها مما كان يعانيه من الغربة في بغداد .

وقد كان منتظراً أن رجلاً يروي الشعر
ويطرب له ويتلقاه من أخيه أحسن لقاء ،

رحم الله الإمام الفقيه القاضى الماوردى ،
وحيا محقق كتابه (أدب القاضى) على هذا
المنهج العلمى السليم ، وحيا الهيئة العراقية
التي أفضلت بإحياء هذا التراث الإسلامى
العظيم .

محمد عبد الغنى حسن
عضو المجمع

ينظمه ، ولكنه لم يكلف نفسه ذلك : وما
أكثر ما عنيت نفسى بالوقوع على شعر
للماوردى ، فلم أرجع بعد طول البحث ،
وكثرة السعى إلا بيتين اثنين نسبا إليه ، وهما :
وفى الجهل قبل الموت موت لأهله
فأجسادهم دون القبور قبور
وإن امرأ لم يحيى بالعلم صدره
فليس له حتى الممات نشور





من أنباء المجمع

أعضاء راحلون :

- استأثرت رحمة الله تعالى بثلاثة من أعضاء المجمع هم المرحومون :
- الأستاذ ابراهيم عبد المجيد اللبان (الذى توفى فى ١٢\٧\١٩٧٧) .
 - الدكتور عثمان أمين (الذى توفى فى ١٧/٥/١٩٧٨) .
 - الأستاذ الشيخ على الخفيف (الذى توفى فى ١٢/٧/١٩٧٨) .
 - وستنشر الكلمات التى ألقىت فى حفلات التأبين فى الأجزاء القادمة .

تحديد انتخاب المجلس :

- تم تجديد انتخاب الدكتور ابراهيم مذكور رئيسا للمجمع لمدة أربع سنوات أخرى وذلك باجماع أعضاء المجمع فى جلسة الاثنين (الموافق ٥/٦/١٩٧٨) .

أعضاء جدد :

- تم انتخاب ثلاثة أعضاء جدد بجلسة الاثنين (الموافق ٢/٢/١٩٧٨) وهم :
- الدكتور حسن ابراهيم ، فى المكان الذى خلا بوفاة المرحوم الدكتور أحمد زكى .
 - الدكتور سليمان حزين ، فى المكان الذى خلا بوفاة المرحوم الأستاذ زكى المهندس .
 - الأستاذ محمد عبد الغنى حسن ، فى المكان الذى خلا بوفاة المرحوم الأستاذ محمد رفعت .

خبراء جدد :

- وافق المجلس على ترشيح السادة الآتية أسماءهم خبراء بلجان المجمع المختلفة وهم :
- الدكتور محمد حلمى أحمد (استاذ التاريخ الاسلامى بكلية دار العلوم) خبيرا بلجنة التاريخ .
 - الدكتور محمد سيف الدين فهمى (استاذ التربية بكلية التربية بجامعة الأزهر) خبيرا بلجنة علم النفس والتربية .
 - الدكتورة عائشة واتب (استاذ القانون الدولى بكلية الحقوق بجامعة القاهرة) خبيرا بلجنة القانون .
 - الدكتور على حسن حبيبة (استاذ التاريخ الاسلامى بكلية دار العلوم) خبيرا بلجنة التاريخ .
 - الدكتور على على السكرى (الأستاذ المساعد بهيئة الطاقة الذرية) خبيرا بلجنتى الجيولوجيا ، والنفط .

- الدكتور عبد السميع مصطفى (الأستاذ السابق بكلية الهندسة بجامعة الإسكندرية) خيرا بلجنة الهندسة .
- الدكتور سليمان محمود سليمان (أستاذ ورئيس قسم الجيولوجيا بكلية العلوم بجامعة عين شمس) خيرا بلجنة الجيولوجيا .

●●● صلوات المجمع الثقافية :

- ورد المجمع كتاب من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم يفيد أن مهرجان ابن رشد ، قد تقرر عقده في المدة من ١٧ الى ٢٦ من أبريل سنة ١٩٧٨ بمدينة الجزائر .
- وقد قبل الدكتور ابراهيم مذكور رئيس المجمع تمثيل المجمع فيه بعد أن اعتذر الدكتور عثمان أمين بسبب ظروفه الصحية .
- ورد كتاب من مجمع اللغة العربية الأردني بشأن الندوة التي عقدها حول أسباب « ضعف اللغة العربية » .
- تلقى المجمع كتاب من مؤسسة الملك فيصل الخيرية بشأن الترشيح لجائزتين قررت منحهما في شهر ربيع الأول من عام ١٣٩٩ هـ وهي :
(أ) جائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي .
(ب) جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية .
- كتاب آخر من مجمع اللغة العربية الأردني بشأن الاعلان عن مسابقة لتأليف كتاب « المرشد في اللغة العربية » .
- بعث الأستاذ محمود عبد الرازق عيسى من الأردن بحثه حول « معاني مقدمات السور » يطلب رأى المجمع فيه وأحيل على لجنة الاصول لأبداء الراى فيه .
- كتاب معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالمغرب ، بشأن الطريقة « المعيارية » في الكتابة العربية .
- قرر المجلس بجلسته المنعقدة يوم الاثنين (الموافق ١٩٧٨/٥/٢٩) اختيار الأستاذ محمد شوقي أمين لتمثيل المجمع في اجتماع الخبراء العرب لمراجعة الجزء الأول من مشروع دليل مصطلحات الحاسبات الالكترونية في المدة من أول يوليو ١٩٧٨ الى ١٣ من هذا الشهر بعمان بالأردن .
- رشح المجمع الأستاذ عبد العليم فودة مستشار اللغة العربية لحضور ندوة اتحاد الجامع اللغوية العلمية العربية لبحث موضوع « تعليم اللغة العربية في ربع القرن الأخير » التي ستعقد في أكتوبر في عمان بالأردن .

مسابقة المجمع الأدبية

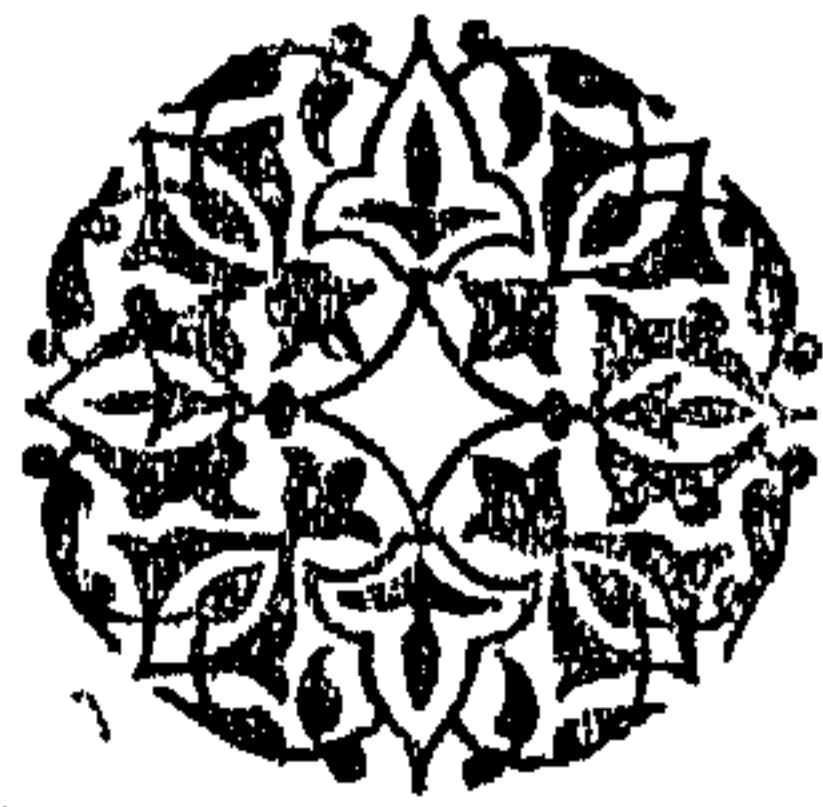
أعلنت نتيجة مسابقة المجمع الأدبية لعام ٧٨/٧٧ وموضوعها :
« الدكتور محمد كامل حسين عضو المجمع - مفكرا وأديبا » وقد فاز
بالجائزة الأولى الأستاذ محمد الجوادى .

وقد فاز بالجائزة الثانية كل من :

- الأستاذ اميل توفيق .
- الأستاذ عبد الوهاب محمد العفيفى .
- الأستاذ فكرى الخولى .

وأعلنت المسابقة الأدبية الجديدة لعام ٧٩/٧٨ وموضوعها :
« الطفولة فى الأدب العربى » .





طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية

رئيس مجلس الادارة
مهندس/ رجاى الهادى محمد عناره

رقم الايداع بدار الكتب ٤٦٧٥/١٩٨٠

الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية
٢٠٠٠-١٩٨٠-٧٥٧٣

